التربية

بين

المفهوم و المحتوي

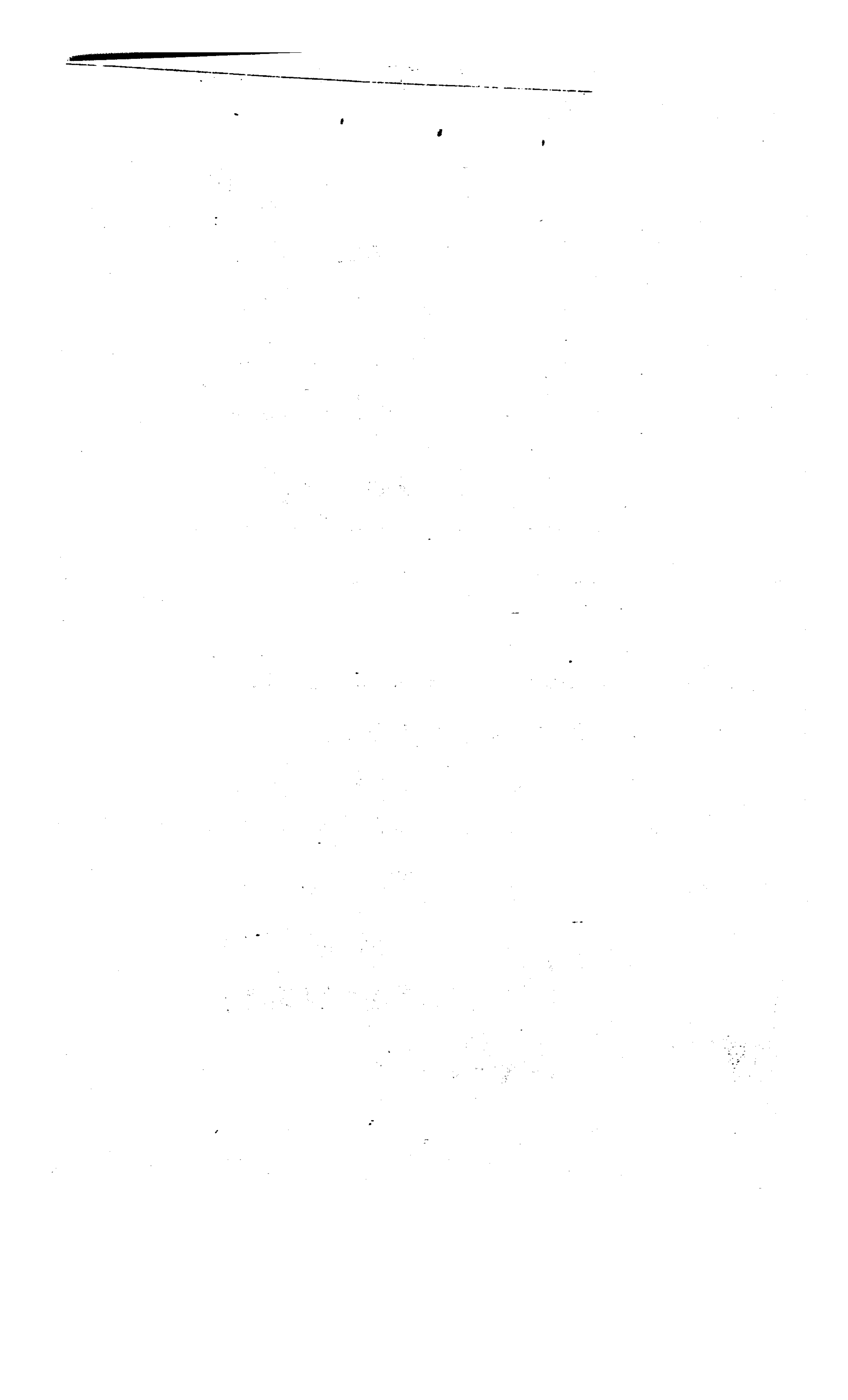
الجزء الأول

إعداد

أ.د / فاروق عبده فلية

٢٠٠١

التربية بين
المفهوم والمحتوى



« بسم الله الرحمن الرحيم »

« قل كل يعمل على شاكلته »

« صدق الله العظيم »

الفصـــــل الأول

التربية بين المعنى واللفظ

أ- التعريف بالتربيــــة :

يختلف معنى التربية وتعريفها ، ومفهومها من مجتمع لاخر ،ومن ثقافة لاخرى ، بل ومن فرد لاخر ، وعلى الرغم من اختلافات المعنى والتعريف والمفهوم ، قديما وحديثا ، الا انها جميعا تنطوى على ابعاد مشتركة بصورة كلية او جزئية .

أ- معنى كلمة التربية فى اللغة العربية :

اذا استقصينا المعنى اللغوى لكلمة التربية فى اصـــولها اللغوية ، نجد انها تدور فى اللغة العربية حول المعانـــى التالية :

- أن كلمة التربية يمكن ان تكون مشتقة من الفعل الماضى الثلاثى " ربا " ومضارعه " يربو " بمعنى نما وزاد . قال الله تعالى : " يمحق الله الربا ويربى الصدقات " اى يزيد الله الصدقات، ويمحق الربا ، اى الزيادة الدنيئة فى الاشياء . ان هـــذا الاشتقاق هو على وزن " دعا " و " يدعو " ويقال : ربوت فى البادية اى نشأت فى البادية .

- ويمكن ان تكون كلمة " التربية " مشتقة من الفعل الماضى " ربى "

ومضارعه " يربى " بمعنى ترعرع وتغذى ، وهى على وزن رمى ويرمى .

- ويمكن ان تكون كلمة التربية مشتقة من اصل الفعل الماضى "ربب" اى ربى ومضارعه يربى ، وهى على وزن حلى ويحلى وغطى ويغطى .

وتعنى هنا : اصلح الشئ وقومه .

ان هذا المعنى هو اقرب المعانى لما نقصده من التربية اى ربى ويربى وتربية . نقول : رب الشئ ، اى اعتنى به واصلحه ، ورب الاب ولده : اى رعاه واعتنى به واحسن القيام عليه

قال البيضاوى فى تفسيره "رب العالمين" من سورة الفاتحة : الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية ، والتربية تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا .

من كل ما مر يمكن استخلاص معنى التربية بانها عملية ايصال الشئ الى كماله ، والكمال هنا يتوقف على طبيعة الشئ الذى يخضع لعملية التربية ، فخير الفرد ولخير مجتمعه ، ولخير الانسانية فهى عملية مستمرة ، ولكن وفقا لمرضاة الله سبحانه

وتعالى استجابة لقوله : " ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون " .

ويرى البعض ان استعمال كلمة التربية لا يتناسب مع المقصود منها انسانيا ، بل هى كلمة تصلح فى اطار تربية الحيوانات لانها مقصورة على الزيادة الكمية وتربية الانسان لا تقتصر على ذلك ، ويفضلون استعمال كلمة التأديب والتهذيب على اساس ان التأديب والتهذيب يشتملان على المعانى الانسانية المقصودة من عملية التربية فى الاطار الانسانى ، وهى انماء الاخلاق والسلوك والتصرف بما يزيد الانسان وبهذه .

٢ـ معنى كلمة التربية فى اللغات الاجنبية :

تقابل كلمة التربية باللغة العربية كلمتان اجنبيتان هما : Education pedagogy اما كلمة Pedagogy مشتقة من اصل لاتينى يتكون من مقطعين pedo ويعنى طفل و Gogy يعنى عبد ، ومعنى كلمة Pedagogy العبد الذى يرافق الطفل فى اثناء ذهابه الى اماكن التعلم

وعودته منها ، ويستنتج من كلمة Pedagogy فى اصلها اللاتينى ان التربية (التعليم) ، كانت مقصورة على أبناء الاسر الغنية التى كان بمقدورها توفير العبيد لمرافقة اطفالهم فى اثناء ذهابهم والى اماكن التعليم وايابهم منها .

واما كلمة Education فهى مشتقة من اصل لاتينى هو Nourish Educare ومعناها انتعاش الحياة ورعايتها وتنشئتها ودوامها وصلاحيتها ، كما يفيد قاموس اكسفورد ان كلمة eduction فى اصلها اللاتينى تعنى ساق ، يسوق او استخرج ، بالرغم من اختلاف المعانى لكلمة التربية فى اللغات العربية والاجنبية ، الا انه يوجد قدر مشترك بين هذه المعانى بصورة مباشرة او غير مباشرة ، فالتربية فى كل اللغات تعنى التنشئة والنهوض والاصلاح واظهار القوى .

٣ـ المعنى الاصطلاحى للتربية :

قد تتباين المعانى الفنية المشتقة من التعريفات لكلمة التربية بسبب اختلاف الايديولوجية الاجتماعية التى توجه العمل التربوى داخل المجتمعات الانسانية ، لكن جميعها تتوجه نحو

الانسان والمجتمع والثقافة والتراث والايديولوجية .

ومن التعريفات التي يمكن الاخذ بها التعريف بان التربية عملية ضبط التعليم وتوجيهه .

ان هذا التعريف يجمع في معناه ابعاد التربية فمفهوما الضبط والتوجيه يستلزمان وجود اهداف محددة ، يمكن الوصول اليها وتحقيقها في حياة جماعة المتعلمين ، كما ان الاهداف هذه تحتم وجود منهاج دراسي بمواد وادوات ومبادئ وفنون وطرائق صحيحة ، واصول ادارية مجدية ، وتسهيلات مناسبة من ابنية وساحات وبيئة طبيعية اجتماعية مواتية للتعلم والنماء البشري الافضل .

كما يقتضي المفهومان المذكوران وجود هيئة مدربة ومؤهلة علميا في اصول التخطيط والادارة والتنظيم المدرسي والتعليم الفعال ، من اجل تحديد الأهداف وضبط عمليات التعليم وتوجيه التعلم لبلوغ الاهداف .

ومن التعريفات التي يمكن الاخذ بها ايضا هي ان "التربية عملية انماء الشخصية بصورة متوازنة متكاملة" .

وجوانب الشخصية المتوازنة المتكاملة هي :

- الجانب الجسدى.
- الجانب العقلى .
- الجانب الوجدانى .
- الجانب الروحى .
- الجانب الاخلاقى.
- الجانب الاجتماعى .
- الجانب الجمالى .

فالعناية بالجانب الجسمى تعنى الوصول بالانسان الى قدر معقول من الصحة الجسمية العامة عن طريق ممارسة ومعرفة الاسس العامة للصحة والوقاية من الامراض .

ويقصد بالتربية العقلية او النماء العقلى والكشف عن القدرات العقلية وانمائها ، سواء فى ذلك القدرة على التفكير او التذكير او التخيل او اتباع التعليمات او القدرة على التفكير الابتكارى ، وممارسة القدرة اللغوية وغيرها من القدرات المختلفة التى تكون الجانب العقلى للانسان .

واذا كان الافراد يشتركون فى احد الاستعدادات الفطرية ، وهى المشاركة الوجدانية ، بحيث زود كل واحد منهم بجهاز انفعالى يستطيع ان يحب ويكره ، ويغضب ويخاف ، ويقبل ويدبر ، وغير ذلك من امور تتعلق بالنواحى الانفعالى التى اودعها الله الانسان ، فان وظيفة التربية فى هذه الناحية ان لا تجعل من هذا الانسان باردا ولا جامدا ، ولا متبلد العواطف حتى لا يتألم لالم غيره ، ولا يفرح لفرحه ، ولا يغار على مصلحة مجتمعه ، بحيث تسهل اثاراتهم ، وما يصحب ذلك من عنف ورعونة ، ولذا فانه لابد ان تعمل التربية على تنمية افراد يتسمون بالاتزان الانفعالى ، الذى يعتبر شرطا هاما ، ومؤشرا صادقا على نضج شخصية الفرد ، بمعنى مساعدتهم على تثبيت الانفعالات وصقلها والوصول الى مستوى النضج والاتزان الذى يدل على نضج الشخصية ، والاستفادة من عامل الاستثارة والدافعية فى تعليم الافراد بحيث يستمر الدفع الى التعليم مدى الحياة .

اما الجانب الاخلاقى فهو من اساسيات التربية . فالشجاعة ، والايثار ، والتضحية ، وحب الناس ، والعطف ، وغيرها من مكارم الاخلاق التى يجب ان تنمى فى نفوس الناشئة ، حتى يكون مثالا

لمجتمع متعاطف فى سبيل تقدم هذا المجتمع وتطوره .

وتنمية الجانب الاجتماعى شرط من شروط التربية المتوازنة ، لان له ابعاده المتعددة الواسعة ، فالفرد يولد وينمو فى مجتمع ، ولا يمكن ان يعيش بمعزل عن بيئته ، فهو يعيش فى مجتمع الاسرة والصف والحى والمدرسة ، والكلية والنادى ، والقرية والمدينة ثم الاقليم والوطن ، ثم هو فضلا عن هذا عضوا فى المجتمع الانسانى .

ويمثل الدين واقع البشرية وآمالها ومستقبلها ، وليس من الممكن اهمال الجانب الروحى للانسان ، لانه مفطور عليه ، وتطور مع مسيرته على هذه الارض التى تمثل الحقيقة مسرح الانسان للبحث عن الحقيقة ، فقد عبد الانسان الاول الله ثم انحرفت عقيدته ، فعبد النار والشجر وقدس الحجر ، والكائنات الحية ، خوفا منها لشرها وجلبا لمنفعتها حتى جاءت الرسالات السماوية لترد الانسان الى العقيدة الاساسية فيه ، وهى توحيد الخالق وتنظيم العلاقات بين الانسان وبين خالقه وبين بنى جنسه .

اما الجانب الجمالى فان تربية الجانب الجمالى ضرورى لحياة

الانسان على هذه الارض،وهو عامل لانماء الشخصية المتكاملة والمتوازنة

لانه يسمو بالانسان فوق حيوانيته ويجعله يعيش وسط انسانيته ، وهذا

هو السر فى مناداة المصلحين واصحاب الرسالات بضرورة التـــذوق

والكشف عن اسرار الكون والطبيعة وعما فى المخلوقات من كمال وجمال

ولا يعقل ان تكون الحياة خلوا من القيم الجمالية السامية التى تجعل

من الانسان ذا حس جمالى وهو يؤدى دوره الاجتماعى والوظيفى

فيكون مرهف الحس ، رقيق الشعور ، لا متبلدا ولا جامدا بل حســن

الذوق والتذوق .

٤ـ اختلاف المفاهيم التربوية :

عندما نستعرض الفكر التربوى قديما وحديثا ، نجد تباينــا

فى النظرة الى التربية من مجتمع الى اخر ، ومن فترة زمنية الــى

اخرى ، لان المجتمعات تختلف فى فلسفاتها الاجتماعية وتتغير

فى ظروفها وامكاناتها وحاجاتها التربوية فى مراحلها التاريخية .

فالمجتمعات الرعوية تختلف فى مفهومها واهدافها التربوية عــن

المجتمعات الزراعية ، والمجتمعات الزراعية تختلف فى مفهومها

واهدافها التربوية عن المجتمعات الصناعية ، والمجتمعـــات

الانسانية تتفاوت فى درجة حضارتها وانماط معيشتها وبالتالى ينعكس ذلك على مفهوم التربية واهدافها ·

لهذا نلاحظ ان الاختلاف فى مفاهيم التربية واهدافها من مجتمع الى اخر طبيعى ، بسبب الارتباط الوثيق بين حالة المجتمع والنظام التربوى فيه ، فالتربية عادة ما تكون صياغة المجتمع بما فيه من معطيات وما له من تطلعات يسعى لتحقيقها · فاذا اخذنا هذا الاختلاف فى منظوره التاريخى بين الامم والشعوب فاننا نجد ان التربية كانت تتفاوت فى مفهومها واهدافها وطرائقها عند المصريين القدماء واليونانيين والرومانيين والمجتمعات المسيحية فى القرون الوسطى والمجتمعات الاسلامية ، وهى ما زالت مختلفة فى المجتمعات المعاصرة تبعا للفكر الايديولوجى التى تتبعه ، ودرجة تصنيفها فى سلم التنمية الاجتماعية والاقتصادية الذى يبدأ من المتخلفة الى النامية الى الصناعية الى المتقدمة · واذا حملت التربية كنظام فعال يشتغل فى اطار اجتماعى يقع فى احد دوائر هذا التصنيف ، فان المسئوليات التى تقع على عاتق هذا النظام التربوى ، تختلف من مجتمع لاخر ، فمسؤوليات النظام التربوى فى المجتمعات المتخلفة تختلف عن

مشئوليات النظام التربوى فى المجتمعات المتقدمة ، لهذا فانه من الطبيعى ان تختلف التربية من مجتمع لاخر ، فى مفهومها واهدافها الوظيفية .

- أبعاد التربية :

يمكن النظر الى ابعاد التربية من منظورين :

الاول :

وهو التربية فى ضوء اسسها والعوامل الفاعلة فيها وهذه الاسس هى : الاساس الفلسفى ، والاساس الاجتماعى والاساس النفسى ، ويمكن اضافة الاساس المعرفى . وهذه الاسس والابعاد هى كل موضوعات المساق .

الثانى :

هو التربية فى توسعها وامتداد تأثيراتها من الفرد الى المجتمع ، فالانسانية .

اننا هنا سنناقش الابعاد التالية :

أ ـ البعد الفردى فى التربية :

يركز اصحاب البعد الفردى فى التربية على الفرد ، فيكون الفرد فيها محور الاهدافوالمحتوى والانشطة ،فتعمد الى تنمية شخصيته ، واشباع حاجاته ، وتلبية رغباته ، واحترام قدراتـه ، وتتيح له فرص التعليم فى ضوء امكاناته واستعداداته دون أن تضحى باية خاصية من خصائصه الفردية مهما كانت المبررات ، لان انماء الفرد يؤدى الى انماء المجتمع.

ب ـ البعد الاجتماعى فى التربية :

يقصد بالبعد الاجتماعى فى التربية ، ادخال المفاهيم والقيم والاتجاهات والخصائص ذات الصبغة الاجتماعية فى النظـــام التربوى ، اى اظهار الخصائص الاجتماعية العامة فى تخطيـــط العملية التربوية ، وتصميم بنيتها وتحديد اهدافها ومضمونها وطرائقها ، ومدخلاتها الاخرى ، بحيث تظهر العوامل التى تؤكد على روح المجتمع والمحافظة على كيانه وتراثه صــــيرورته واستمراره وتجديده .

ان الجماعة والفرد ، قطبان فى نظام وجود واحد لا يمكـن

فصلهما ، لان كيانيهما متداخلان تداخلا حيويا ناشطا فعالا يكيف الواحد الاخر ويتكيف به ، فى عملية تفاعل مستمر دائم ، وهذه الحقيقة بالغة الاهمية فى تربية النشئ وتعليمه ووضع المناهج واختيار الاعمال والخبرات والطرائق والتسهيلات لهذه التربية .

ومن هذا الواقع يمكن استخراج اهم المبادئ التى تشير الى معنى البعد الاجتماعى فى التربية وتحديدها :

- فى وضع البرنامج التربوى السليم : يجب ان يعد الفرد والمجتمع على اساس نظامان من القوى النشطة يعملان بصورة مستمرة لتحقيق نمط من التفاعل والنماء .
- يجب ان تهتم المؤسسة التربوية بتراث وثقافات الاجيال الماضية لتفسير واغناء خبرة الاجيال الحاضرة وثقافاتها .
- ينبغى لكل مؤسسة تربوية ان تحافظ على التوازن الصحيح بين الفرد والجماعة ، فيزود الفريقان بالمؤثرات للنماء الفردى والتطور الاجتماعى المحمود .

- لابد لكل مؤسسة تربوية أن تدرك الدور الذى تمثله الحيـــاة الجماعية فى تنمية الفرد ، فتبذل اقصى الجهد لانشاء جـو مدرسى طبيعى اجتماعى بناء للشخصية المحمودة وتوجه العمل التربوى فيه على نحو يضمن لكل ناشئ صغير وكبير اقصد العوامل فاعلية فى النماء الفردى الاجتماعى المتكامل .

جـ - البعد الانسانى فى التربية :

عندما توصف التربية بانها ذات بعد انسانى فان ذلـــك يعنى ان هذه التربية تهتم بما يلى :

- ابراز الخصائص المشتركة بين الافراد والمجتمعات والثقافة والفكر البشرى بغض النظر عن الاختلاف فى العرق والزمان والمكان .
- تطوير السمات التى تؤكد انسانية الانسان وتميزه عن غيره من الكائنات ، وهى العقل والنفس والروح والوجدان والاخلاق .
- تؤكد انماء العقل والتفكير ، ومن خلال تقديم نموذج معرفـــى فعال ، ومنهجية فى العمل ، تساعد الانسان على الضبط والمراقبة والتنبؤ ، والقدرة على الاكتساب والتمييز والمحاكمة .
- الاهتمام بكل ما يؤكد وحدة المجتمعات البشرية فى الخلـــق

والحياة والحاجات والفعل والتراث والمعرفة والمصير وتحقيق النماء الاجتماعى والتربوى والاقتصادى والاخلاقى ، وتشكيل المجتمع الديمقراطى الذى يؤمن اهله بالقيم الديمقراطية الصحيحة المشهودة فى شتى مجال الحياة .

- تؤكد انماء وجدان الانسان بحيث يتمكن هذا الوجدان من ان يتمثل الحق والعدل فى اقواله وافعاله وانماط سلوكه ، وان يختار نموذج القيم الاعلى وليس الادنى من وسط البدائل المتاحة ، اى توجيه من النزعات الفردية او الطائفية او الاقليمية او القومية .

- افساح المجال امام كل انسان ليستقى من بحر المعرفة ، ويتمتع بالفنون والاداب التى أنتجتها كل الشعوب ، ويشارك فى تقدم العلم فى كل ارجاء العالم ، وفى الخبرات الناتجة من كل ما تقدم ، على ان يسهم هو ايضا فى اغناء الحياة الثقافية بدوره ، ولا بد على كل حال ، من تحسين اوضاع حياة الانسان المادية والروحية فى كل بقعة من بقاع العالم .

- النظر الى التراث الثقافى من منظار انسانى عام ، يتجاوز مستوى الاطار المحلى والقومى الى مستوى الاطار العالمى الانسانى ، الذى يضع التراث الثقافى الانسانى فى المجتمعات الانسانية ،

تراث متكامل فى سبيل خدمة الانسان وترقية مجتمعاته وتدعيم العوامل التى توحد المجتمعات البشرية فى فلسفاتها واهدافها وخبراتها المشتركة ..

- تعزيز النزعة الانسانية باختيار العناصر الثقافية والخبرات البشرية والمعرفة العلمية والقيم الكلية والمفاهيم العامة والاتجاهات الانسانية والمبادئ المشتركة التى تؤكد ابعاد التربية الانسانية فى العمل التربوى .
- تحديد الثقافة على اساس كل خبرة تؤهل الانسان لكى يحيا حياة انسانية حقيقية ، تحرره وتجعله قادرا على تغيير الاطار الاجتماعى الذى يعيش فيه .

واذا كانت بعض الاصوات قد ارتفعت ، قديما وحديثا ، تنادى بتبنى الاتجاه الانسانى فى التربية من قبل انصار المذهب الانسانى والوجودى ، فان الاسلام قد اكد تبنى هذا الاتجاه فى التربية الاجتماعية منذ اكثر من خمسة عشر قرنا ، حيث طلب من الناس كافة الايمان بوحدانية الخالق وبوحدة الاصل للمخلوق

ووحدة النفس ، ووحدة المصير ، ووحدة البعث ، ووحدة الرسل ووحدة الرسالة ، وهذه المبادئ تمثل ارقى الدعوات الى تبنى البعد الانسانى فى تربية الانسان والمجتمع.

٦ـ نماذج الاتجاهات التربوية :

تتباين الاتجاهات التربوية ، فبعضها يأخذ الاتجاه الثقافى فينظر الى التربية على انها اداة نقل الثقافة واحدى مكوناتها ، وبعضها يأخذ بالاتجاه الاجتماعى وينظر الى التربية انها احدى ادوات التنشئة الاجتماعية ، وبعضها يأخذ الاتجاه الانتاجى الاقتصادى ويتعامل مع التربية على انها انتاج واستهلاك وبعضها ينحو بالتربية نحو المنحنى الانسانى فيؤكد انسانية الانسان اينما وجد ، وبعضها يسعى الى الاخذ بالاتجاه الاسلامى ، ويرى فى التربية انها تربية الفرد فى الدنيا واعداد الفرد للاخرة طبقا لشريعة الله سبحانه وتعالى .

وفيما يلى تفصيل لهذه الاتجاهات :

أ ـ الاتجاه الثقافى :

عندما نفهم التربية على انها احدى مكونات النظام الثقافى

فان عملياتها تتوجه الى جعل الفرد يتمثل النموذج الثقافـــى السائد فى المجتمع بكل محتوياته ، بهدف تحقيق المســـاواة بين الناس وازالة الطبقة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم تكون المجتمع الديمقراطى الحقيقى فى قيمه وانتاجه وممارساته ونوعيـة الحياة فيه •

ان الاخذ بالاتجاه الثقافى يحتم امورا معينة ، مثـــل : التعامل مع جميع مكونات الثقافة المادية والمعنوية فى المجتمـع ، دون اغفال لاحدهما ، والتعامل مع جميع جوانب النمـو لـــدى الانسان ، والتعامل مع جميع فئات المجتمع وافراده كل حســـب امكاناته ومطالبه واحاجاته •

ب ـ الاتجاه الاجتماعى :

وعندما نفهم التربية على انها تنشئة اجتماعية فان عملياتها تتوجه الى صيانة النظام الاجتماعى وحمايته ، فتصبح التربية اداة لتنشئة الاجيال وفقا للقيم الاجتماعية من حيث ولائهم للمجتمـــع وانتمائهم للنظام الاجتماعى الذى يعيشون فيه وبذلك يصبح من اهم اعمال التربية المحافظة على كيان المجتمع ونقل انظمتــــه

وصيانته باستمرار عن طريق التنشئة الاجتماعية وجعل النظـــام الاجتماعي محورا لاهداف العمل التربوى وبرامجه •

جـ ـ الاتجاه الانتاجى الاقتصادى:

عندما تتبنى التربية الاتجاه الانتاجى الاقتصادى ، فانها تركز على مفهوم النموذج التربوى المنتج الذى يراعى ان تقـــوم بنيته التنظيمية ومؤسساته التعليمية ومحتواه وطرائقه وأدوات تقييمه على ربط التعليم بالانتاج ، بما يحقق التوفيق بين استجابة كافية لقدرات المتعلمين وميولهم من جهة ، وحاجات سوق العمل المتنوعة من جهة اخرى •

وتبنى المناهج التعليمية فى هذا النموذج على ايجـــاد التوازن بين مختلف المواد الادبية والعلمية والتطبيقية ، بهدف جعل المعرفة فى مختلف الميادين الى اقرب ما يكون الى الانتاج وهكذا يصبح التعليم النظرى فى التطبيق العلمى ويزول التناقض بين الدراسات النظرية والمهنية وبين الدرس والعمل •

ويتحقق هذا اللون من التربية بادخال التكنولوجيا فـــى التربية وربط العمليات المهنية والتقنية بالدراسات الاكاديميـــة

على محور التعلم كله لجميع الناشئين ، والاهتمام بتطبيق العلوم المتنوعة ، وتقديم انماط من المعرفة العلمية والمهارات والكفايات والتقنيات التى تفيد فى انتاج الاشياء والادوات الناقصة .

وان النموذج التربوى المنتج الذى يستهدف ربط التعلم بالانتاج ، لا يحقق بالضرورة على مستوى التطبيق ، القدر نفسه من العدالة الاجتماعية فى التعليم ، اى ان ديمقراطية النموذج التربوى المنتج تبقى مشروطة بديمقراطية النموذج الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع الذى يعمل فيه . ويمارس الاتجاه الانتاجى الاقتصادى اليوم فى البلدان المتقدمة حيث يتم الربط مباشرة بين خطط الانماء الاقتصادى والتوسع فى التعليم ، ويظهر التقدم التعليمى فى هذه البلدان وكأنه جزء من صميم التقدم الاقتصادى .

د ـ الاتجاه الانسانى :

يرى هذا الاتجاه ان التربية عملية انسانية ، لذا ينبغى ان تركز على الانسان وكرامته وحريته ، وابراز امكاناته وقدراته العقلية والنفسية والوجدانية والجسمية وتنميتها ، كما تركز على

ابراز العناصر المشتركة بين المجتمعات الانسانية .

ويعمل الاتجاه الانسانى فى التربية على دفع المعرفة الانسانية للعالم الجميع دون حواجز اجتماعية واقتصادية التى تعرقل الجهد البشرى فى تطوير التراث الثقافى والاجتماعى وتحسين نوعية الحياة الانسانية فى بعديها : المادى والروحى فى مختلف بقاع العالم .

كما يؤكد الاتجاه الانسانى مبادىء التعاون الانسانى من خلال ادخال البعد العالمى فى التربية ، وذلك بتجاوز الاطر المحلية والاقليمية ، والتوجه الى الاطار الانسانى الذى يبرز الخصائص الانسانية فى الفرد ويظهر العوامل التى تساعد على تكامل الجهد البشرى فى انماء المجتمعات الانسانية ماديا وعقليا واخلاقيا .

ولعل لهذا التوجه واقع مثالى فى المجتمعات المعاصرة ولكنه تيار فكرى ينادى بادخال هذه النزعة الانسانية فى النظم التربوية داخل المجتمعات الانسانية ، من حيث فلسفتها

هـ ـ الاتجاه الاسلامي :

يختلف الاتجاه الاسلامي عن الاتجاهات التربوية السابقة ، لانه اتجاه مميز في غاياته وفلسفته في الحياة فيرى ان التربيــة ينبغي أن تقوم على مبادئ واصول توجه الانسان في الحيــاة لتحقيق ذاته والغاية من وجوده ، واداء رسالته نحو اللــــه سبحانه وتعالى والمجتمع والكون .

وتتطلع التربية الاسلامية الى تربية الانسان تربية متكاملــة تأخذ ابعاده الروحية والعقائدية والجسدية او المادية وتأخــذ الابعاد العلمية والعملية والسلوكية والاخلاقية والفردية الاجتماعية والقيمية والانسانية معا .

وتهدف هذه التربية الى الايمان بالله طبقا لمفاهيمه الذاتيه والعملية وتمثل العقيدة والتشريع الاسلامي ، وتربية الجســم تربية متوازنه تقوم على اشباع الحاجات الاساسية فيه وتهذيبه ، كما تؤكد التربية الاسلامية انماء عقل الانسان وتفكيره ومنهجيتــه في اكتساب المعرفة مدى الحياة ، وكذلك انماء الضمير والوجدان وتوكيد ربط مبدأ القول بالفعل ، والسلوك بالاخلاق ، والعمل

بالاحسان ، واستبدال المراقبة الخارجية المحسوسة بالمراقبة الالهية والوجدانية من اجل تكوين الانسان الذى يسعد بشخصيته وحياته فى الدنيا والاخرة ، ويكون انسانا صالحا يعمل على انماء مجتمعه والمجتمعات الانسانية الاخرى.

وتنظر التربية الاسلامية الى ان التربية على انها الحياة فى الدنيا والاخرة وهى حياة نامية متجددة ، تسعى لرخاء الانسان ومجتمعاته من خلال تطبيق مبدأ الخالقية والمخلوقية ، من اجل اقامة النموذج الاسلامى الذى يتمثل فى تشكيل الحياة الاسلامية فى اهدافها العاجلة والاجلة ، وتكوين الانسان المؤمن فى عقله ووجدانه المبدع فى تفكيره النافع فى انتاجه.

ويعد هذا النموذج التربوى الاسلامى مطلبا ملحا للمجتمعات الاسلامية المعاصرة لكى تتحرر من النتائج التربوية الغربية عن تراثها الحضارى وغاياتها فى الحياة ، ولن تتمكن المجتمعات الاسلامية من العودة الى اصولها الحضارية ، الا بتبنى النموذج التربوى الاسلامى فى نظامها الاجتماعى ، ومؤسساتها المختلفة ، ووسائطها التربوية الفاعلة فى المجتمع.

و ـ الاتجاه الانتقائى :

يرى اصحاب هذا الاتجاه ، ان تأخذ التربية من كل الاتجاهات السابقة ، بحيث تنطوى على شئ من النموذج المعرفى والنموذج الاجتماعى والنموذج الثقافى والنموذج الانسانى والنموذج الاسلامى ، والنموذج الانتاجى الاقتصادى ، لان التربية نظام متكامل لا يشتغل فى فراغ ، بل يشتغل فى اطار نظام ثقافى يشتمل على وظائف مختلفة ، اذ لا يجوز ان تتوجه التربية الى نموذج بعينه ، لان العملية التربوية عملية شمولية ، ينبغى ان تراعى جميع الوظائف الاجتماعية التى يتطلبها الانسان فى حياته الخاصة والعامة . لهذا فان اهدافها ينبغى ان تتضمن على ما يعين الهيمنة الاجتماعية وتحقيق الوفاق الاجتماعى وتحقيق الانسجام داخل البيئة الاجتماعية وانماط السلوك وكذلك العمل على اكساب الافراد الكفاية الاجتماعية داخل ثقافةمجتمعهم لغايات الدمج الثقافى علاوة على تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية عند الافراد وذلك باكسابهم القدرة على التكيف مع قيم الجماعة .

فالاتجاه الانتقائى ينظر الى التربية من منظار واسع ولا يجعلها

قادرة لمواجهة كل الوظائف الاجتماعية داخل المجتمعـــات الانســانية حتى تكون مرضية لكل وجهات النظر المختلفة حول طبيعة التربية من جهة وظائفها الاجتماعية من جهة أخرى .

الفصل الثانى

البعد الاجتماعى

فى

التربية

البعد الاجتماعي في التربية

عاش الافراد الانسانيون فى مجتمعات منذ القدم ، وظهر السوءال عن العلاقة التى تربط الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه منذ القدم ايضا : لماذا يعيش الناس فى مجتمعات ؟ هل الحياة الاجتماعية فرضت على الافراد ؟ ام انها ظاهرة طبيعية فطر الانسان عليها ؟.

لقد ظهرت فلسفات اجتماعية مختلفة تفسر العلاقة بين الفرد والمجتمع. ومن هذه الفلسفات ما أكد على الفرد اهميته فى الحياة الاجتماعية ، ومنها ما ركز على الجماعة وثقافتها ، ومنها ما كان وسطا اهتم بالجانبين الفردى والاجتماعى معا . وازدادت حدة السوءال عن علاقة الفرد بالمجتمع فى عصرنا الحاضر نتيجة لزيادة التعقيد فى المجتمع وموءسساته وتخصصاته التى طغت على الفرد واصبحت تهدد فرديته .

والبعد الاجتماعى فى التربية يدور حول هذا المحور محور الفرد ممثلا بامكاناته وقدراته واهتماماته ، والمجتمع ، ممثلا بثقافته وطريقة

حياته ، فالسؤال الذى يطرح هو : الى اى مدى يجب ان تكـــون وظيفة التربية اجتماعية ، اى تركز على تنشئة الفرد اجتماعيا ودمجه فى ثقافة الجماعة ؟ والوجه الاخر للسؤال : هو الى اى مدى يجب ان تحافظ التربية على فردية الفرد فى اطار الجماعة ، بشكل يحفظ لـــه حيويته وينمى قدرته ، ليكون مبادئا ، ويصبح قوة تدفع عجلة التغـــير والتطور فى حياة الجماعة ؟

وفى هذه الوحدة من الكتاب ، سوف نحاول الاجابة عن هـــذه الاسئلة ،من خلال مناقشة المفاهيم والقوى ذات العلاقة ، كمفهـــوم المجتمع وعلاقته بالفرد ، والقوى والمؤثرات المرتبطة بتنشئته اجتماعيا كما سنناقش مفهوم الثقافة وصلتها بالمجتمع والتغير الثقافى وعلاقتـــه بالتربية .

المجتمـــــع

ماذا يقصد بالمجتمع الانسانى ، وما خصائصه ، وما مكوناته ؟

١ـ طبيعة المجتمـــع :

ينظر البعض الى المجتمع على انه نظام يتكون من عدد مـــن

المكونات بينها قنوات اتصال وتواصـــــل .

الافــراد

الادوار

نظام القيم

المؤسسات العلاقات الارض

مكونات نظـام المجتمـع

وفيما يلي اهم المبادئ التي تقوم عليها طبيعة كل مجتمع فلى ضوء مكونات نظام المجتمع :

أ ـ يتكون المجتمع من افراد آدميين ، ومن مؤسسات متنوعة تشير نشاطات الافراد وتضبطها بقصد تحقيق اهداف مشتركة ومن بقعة جغرافية تقوم عليها حياة الافراد ، وتصبح جزءاً من المجتمع نتيجة لتفاعل الافراد معها والارتباط العاطفي والمادي بينهما .

ب ـ تسود بين مكونات المجتمع الثلاثة : الافراد والمؤسسات والبقعة الجغرافية قنوات اتصال وتواصل تتمثل بنظام للقيم يحمل عمل المعايير الاجتماعية ، وبأدوار اجتماعية تنتظم على أسـاسها

العلاقات بين الافراد ، وبعلاقات وروابط اجتماعية منتظمة تستند الى المعايير والادوار الاجتماعية ، وتقوم على اساس المصالح والاهتمامات المشتركة والتبادل والتكامل بين هذه المصالح والاهتمامات •

جـ ـ ليس المجتمع كيانا ماديا فحسب بل ومعنويا ايضا ، والجانب المعنوى فى المجتمع هو قنوات الاتصال والتواصل ، ولهذا فيوجد المجتمع فى عقولنا ونفوسنا ، وهو حقيقة سيكلوجية نشعر بها ونلمس اثارها لكننا لا نلمسها هى نفسها •

د ـ أن (كل المجتمع) هو كل مترابط متكامل فلا يمكن فهم اى جزء فيه او جانب بمعزل عن الاجزاء والجوانب الاخرى • فعلى سبيل المثال ، لا يمكن فهم طبيعة العلاقات بين الجنسين الذكور والاناث فى المجتمع العربى بمعزل عن المعتقدات الدينية والنظام القيمى •

هـ ـ ان كل مكون وقناة اتصال فى نظام المجتمع هو نظام ايضا وتنطبق عليه نفس المبادىء •

و ـ ان اى تأثير فى احد المكونات او قنوات الاتصال والتواصل ينتقل

الى بقية المكونات والقنوات الاخرى •

ز ـ لكل مكون من مكونات المجتمع ولكل قناة اتصال وتواصل وظيفة وعلاقات تبادلية مع بقية المكونات والقنوات•

ح ـ للمجتمع اهداف يسعى الى تحقيقها •

ط ـ يوجد المجتمع فى حدود بيئية محددة وتعرف تلك البيئة بانها المجال الحيوى الذى تقع فيه المؤثرات فى النظام على غيره من النظم•

ى ـ تحدد الادوار فى المجتمع حقوق الافراد وواجباتهم ازاء غيرهم•

ك ـ تتم العلاقات بين مكونات النظام فى ضوء الادراك المتبادل فعلى الفرد ان يدرك دور الاسرة كمؤسسة اجتماعية وكنظام فى الوقت نفسه ، وعلى المؤسسة ان تدرك الفرد ، وفى ضوء هذين الادراكين والاحساس بوجود شىء ما او تحقيق ما يشترك فيهما افراد الجماعة كلهم • تتحدد الحقوق والواجبات•

ل ـ تركز العلاقات الاجتماعية على فكرتى المشابهة والمخالفة ، ان المشابهة فكرة اساسية لقيام المجتمعات ، فلا يمكن ان يقوم المجتمع الا اذا وجدت المشابهة بين اعضائه فى الجسم والعقل والخبرة وغيرها ، وفى المجتمع القديم انصبت فكرة المشابهة على

القرابة العائلية اى صلات الدم ، واتسع التصور الاساسي للمشابهة فى المجتمعات الحديثة فاقترن بمبدأ اكبر شمولا من الاسرة ، وهو الامة كما اتسع هذا المبدأ ليشمل النضال من اجل خلق عالم موحد يركز على المشابهة الاساسية بين افراد الجنس البشرى بأسره. ويعتمد المجتمع على المخالفة كما يعتمد على المشابهة ، فلو كان الناس جميعا متشابهين لتضاءلت علاقاتهم الاجتماعية حتى تصير كعلاقات النحل والنمل ففى مثل هذه الحالة يقل الاخذ والعطاء ، ولا يكون هناك الا النزر اليسير من الاحاسيس المتبادلة ، والاسهام المحدود فى سعادة الغير.

ان المخالفة اساس التبادل والتكامل فى جميع العلاقات الاجتماعية. وهناك انواع متباينة للمخالفة ، فيها الفروق البيولوجية بين الذكر والانثى مثلا وفروق تتعلق بالمهارة والمصلحة وهكذا.

م - فى النظام مكون او جزء يشكل بؤرته ومحوره ، وبالنسبة لنظام المجتمع فهناك من يعتقد بان الفرد هو بؤرته ، والبعض يعرى بان المجتمع هو محوره والبعض الاخر يوازن بينهما.

ن - أنه مجتمع مستقر مستمر ، بفضل قدرة الانسان على استخدام

الرموز ونقل تراثه من جيل الى جيل .

س- انه مجتمع حى متطور ، بفضل تراكم التراث الانسانى واستفادة الانسان من هذا التراث ، فمكتشفات الانسان فى ازدياد ومعرفته فى نمو مستمر ، واساليب حياته فى تغير دائم . فبينما بقيت طريقة الحصول على الغذاء وخزنه فى مجتمع النحل ، على سبيل المثال ، كما هى ، لم يطرأ عليها تغير ، نلاحظ انها تطورت تطورا هائلا لدى الانسان .

ص- انه مجتمع معقد التركيب من حيث مؤسساته ، والتخصصات فيه ، والعلاقات بين افراده ، ويزداد هذا المجتمع تعقيدا يوما بعد يوم .

٢- العلاقة بين الفرد والمجتمع :

لقد سبقت الاشارة الى ان القضية الاساسية فى الفلسفات الاجتماعية هى طبيعة العلاقة بين المجتمع والافراد الذين يعيشون فى نطاقه . والى ان الانسان منذ القدم سأل عن طبيعة هذه العلاقة ، وما زال السؤال قائما : هل وجد المجتمع بوجود الفرد ام ان وجود الفرد سابق على وجود المجتمع ؟

وبتفصيل اكثر : هل الانسان اجتماعى بالطبع ؟ اى هل هو مفطور على ان يكون اجتماعيا ويعيش فى مجتمع ؟ ام ان المجتمع شئ مصطنع ؟ اى هل وجد الفرد اولا بشكل حر ، ثم اصطنع المجتمع فيما بعد وعاشه الافراد ؟ واذا كان المجتمع مصطنعا - فهل اصطنعه الافراد بمحض اراداتهم واختيارهم لاغراضهم ، ام انه فرض عليهم من افراد آخرين ؟

ان الاسئلة السابقة تمثل وجها من وجهى قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع . اما الوجه الاخر فهو : ما الصيغة التى يجب ان تكون عليها علاقة الفرد بالمجتمع ؟ هل الجماعة هى التى يجب ان تعطى الاهمية وما على الفرد الا ان يتبعها ؟ ام هل يجب ان يعطى اهتمام لفردية الفرد فى اطار الجماعة ، بحيث لا تطغى الجماعة على هذه الفردية ؟ ولهذه القضية انعكاساتها على التربية . فهل يجب ان نركز على تربية الفرد ونعطيه قدرا كافيا من الحرية ، نحفظ له فرديته المتميزة فى اطار الجماعة ؟ ام يجب ان نركز على ما هو اجتماعى فى تربية النشئ ؟ وقد عرف الانسان فى تاريخه الطويل تفسيرات مختلفة لعلاقة

الفرد بالمجتمع ، كما عرف فلسفات مختلفة اعطى بعضها الاولوية فى الاهتمام بالجماعة ، واعطى بعضها الاخر الاولوية للفرد •

ومن النظريات فى تفسير علاقة الفرد بالمجتمع نظريـــة " العقد الاجتماعى " او " التعاقد الاجتماعى " و " النظريـة العضوية للمجتمع " ، والنظرية القائلة بتوقف كل منهما علـــى الاخر •

أ ـ نظرية التعاقد الاجتماعى :

وتعنى ان وجود الافراد كان سابقا على وجود المجتمـع ، وانهم ـ اى الافراد ـ تعاقدوا فيما بينهم للعيش فى مجتمـع لحمايتهم وسد حاجاتهم ، والعيش بطريقة افضل مما يمكن ان تكون عليه الحال عندما يعيشون كافراد • وهذه النظرية قديمة قالها فلاسفة قدماء ، ونادى بها مفكرون فى العصور الحديثة ، مثل توماس هوبز (فى القرن السابع عشر الميلادى) الذى قـال ان المجتمع ليس الا وسيلة لحماية الناس من نتائج طباعهـــم الجامحة ، وآدم سميث واتباعه الذين رأوا ان المجتمع ابتـكار مصطنع لتحقيق التبادل الاقتصادى • ومنهم الفرديون فـــى

القرن الثامن عشر الميلادى الذين نادوا بان الانسان ولد حرا ومساويا لغيره فى المرحلة التى عاش على الفطرة ، وان ما ابرمه من عقد اجتماعى لم يكن الا لسد حاجاته وحمايته • ومن المعروفين فى هذا المجال المفكر الفرنسى جان جاك روسو صاحب كتاب " العقد الاجتماعى " •

ومما يستشهد به اصحاب هذا الاعتقاد على صحة اعتقادهم الحنين لدى البعض الى العودة الى اساليب الحياة الطبيعية التى يفترض وجودها قبل ان يقيم الانسان هذا المجتمع "التعب" والنزوات الشائعة التى تدعو الى تناول طعام من غير الطعام المطهو •

ب ـ اصحاب النظرية العضوية للمجتمع :

يعتقدون ان المجتمع اشبه ما يكون بالكائن العضوى فالمجتمع حسب هذه النظرية اشبه ما يكون بنسق بيولوجى • فهو ، اى المجتمع ، يشبه فى تركيبه ووظائفه ووحدة اجزائه جسم الانسان وتتحكم به فى نموه ونضجه واضمحلاله قوانين مشابهة للقوانين التى تتحكم بجسم الانسان • وبعض اصحاب هذه النظرية يبالغون فى

تشبيه المجتمع بالكائن العضوى فيعينون فى المجتمع الاجزاء التى تقابل المخ والرئتين والاطراف فى جسم الانسان ، من اصحاب هذه النظرية عالم الاجتماع ابن خلدون ، والعالم الالمانى ازوولد شبنجلر ، وعالم الاجتماع اوجست كونت.

ومن الاراء المتصلة بالنظرية العضوية ذلك الرأى الذى يعد المجتمع عقلا كاملا . وهذا الرأى قديم وحديث معا فقد قال به افلاطون قديما ، ونادى به هيجل واتباعه فى فلسفاتهم السياسية وايده بعض العلماء علماء النفس ، مثل وليم مكدوجل الذى اعتبر " العقل الجمعى " حقيقة واقعة .

جـ ـ الفرد والمجتمع يتوقف كل منهما على الاخر :

والنظرية الاخيرة التى نريد التعرض فى سياق الحديث عن علاقة الفرد بالمجتمع هى تلك النظرية التى تقول بان الفرد والمجتمع يتوقف كل منهما على الاخر ويتوافق مع الاخر . فوجود المجتمع ، حسب هذا الرأى ، يتوقف على الافراد ـ كافراد اجتماعيين ـ ويتوقف على المجتمع ، ولا فصل بينهما . ولا يمكن الحديث عن احدهما بمعزل عن الاخر ، ومن اصحاب هذا

ما كيفر ويدج فى كتابهما " المجتمع " فالفرد الانسانى ، حسب
هذا الاعتقاد كائن اجتماعى ، وذو طبيعة اجتماعية . والمجتمع
هو المجال الذى تتحقق فيه هذه الطبيعة الانسانية وحسب
هذا الرأى ،فان النظرة الى النظام الاجتماعى ككائن عضوى
تسئ الى فردية الكائن الاجتماعى ، كما ان نظرية العقد
الاجتماعى تسيئ الى طبيعة الانسان الاجتماعية . فالنسق
الاجتماعى ينبغى ان يتميز عن النسق البيولوجى او الالى ،لان
النسق الاجتماعى ينمو ويتغير تبعا لمواقف الافراد ومصالحها ،
او لمواقف ومصالح الافراد الذى تتكون منهم هذه الوحدات.

وحسب الرأى الاخير ايضا ، يستخدم النظام الاجتماعى
اهميته من تأييده لغايات الافراد انفسهم ، وما يمكن ان يسهم
فى هذا السبيل ، وبذلك يكون التوافق بين المجتمع والفردية
ممكنا . وسنوضح مفهوم الفردية بشئ من التفصيل لاحقا ،
ولعل هذا الرأى ، وهو الرأى الاخير فى تفسير علاقة الفرد
بالمجتمع ، اقرب الاراء الثلاثة الى الاقناع ، فهو يقر فردية الفرد
ويظهر اهميتها فى اثارة الحيوية فى الحياة الاجتماعية وتطويرها

وهو من جهة اخرى ، يقر الطبيعة الاجتماعية للفرد ، ويوضح دورها فى تكوين المجتمع • فقد لوحظت الخاصية الاجتماعيـة للانسان منذ القدم ، ووصف الانسان بانه كائن اجتماعى من قبل الكثير من المفكرين ، مثل ارطو وابن خلدون• فلا عجـب اذا رأينا ان الحبس الانفرادى اشد ما يخيف الانسان من العقوبات لانه يحول دون سد الحاجة الاساسية لديه - الحاجة للوجود مع الجماعة•

والان لننظر الى الانعكاسات التربوية لمشكلة علاقة الفـرد بالمجتمع • وقد سبقت الاشارة الى السؤال الناشىء عن هـذه المشكلة وهو : اين نركز فى تربية النشء على فردية الفـرد ام على الجماعة وما هو اجتماعى ؟ وبعبارة اخرى ، وهى صـياغـة برتراند راسل للمشكلة فى كتابة " النظام الاجتماعى والتربيـة " هل واجب التربية ان تدرب النشء ليكونوا افرادا صالحين ام واجبها ان تدربهم ليكونوا مواطنين صالحين ؟ وحتى نفهـم هذه المشكلة لابد من ان نفهم ما يقصد بالفردية فى التربيـة ، وما يقصد بتربية المواطن•

تستخدم عبارة الفردية بالمعنى السوسيولجى لتدل على تلك الصيغة التى تظهر عضو الجماعة وهو الفرد ، وتبرزه كفرد يشعر بنفسه ، ويعبر عن طبيعته الخاصة فى علاقته مع اعضاء الجماعة الاخرين فالكائن الاجتماعى تشتد فرديته عندما لا يكون سلوكه مجرد محاكاة او نتيجة لتعرضه للايحاء ، وعندما لا يكون عبدا بمعنى الكلمة للعادات الجمعية او حتى لعاداته الفردية ، وعندما لا تكون استجاباته للبيئة الاجتماعية حاصلة بطريقة الية وانصياعية بل عندما يفكر هو نفسه ويحدد اغراض سلوكه.

والفردية تعنى الاحتفاظ بالشخصية ـ شخصية الفرد ، وهذا يعنى اصالة الفرد فى التصرف . والاصالة فى التصرف لا تعنى شذوذ الطبع . فمن الممكن للفرد ذى الشخصية القومية ان يعبر تعبيرا واقيا عن صفات بلاده او امته او عصره ، ليس من قبل المحاكاة او ايحاء الغير ، وانما بسبب حساسيته لامته وقضاياها او لمقتضيات عصره ان الخاصية المميزة للفرديه ليست هى درجة الانحراف عن باقى الاقران ، وانما هى كيف يتصرف الفرد معتمدا على نفسه مع قيام العلاقات بينه وبين الاخرين ، وكيف يتفهم مطالب الاخرين منه وعندما

صاحب الشخصية الاجتماعية مع الاخرين فى سلوك ما ، فهو لا يفعل ذلك لمجرد ان الاخرين قد فعلوه ، وانما لانه هو نفسه يقر ذلك السلوك. وعندما يسير وراء اصحاب السلطة ، فانه يفعل ذلك لانه مقتنع بصواب ما يفعل ، وليس لمجرد كونهم اصحاب سلطة . وهو لا يقبل اراء الاخرين دون تمحيص . ان لديه بعض الاستقلال فى الحكم وبعض المبادأة ، وشىء من التمييز ، وقدرة على الابداع ، انه حساس لغاياته وغايات الاخرين .

وللفردية اهمية خاصة فى تقدم المجتمعات . وقد اشار الى هذه الاهمية عالم الاجتماع دوركهايم الذى قال بأن الناس لو فكروا بطريقة متشابهة ، وشعروا بطريقة متشابهة ، وعملوا بطريقة متشابهة ، وكانت جميع مقاييسهم واحدة فان الحضارة الانسانية ما كانت لتتقدم قيد انملة .

هذه هى اهم ملامح الفردية ومن ثم ، اهم اهداف تربية الفرد .
وفى مقابل تربية الفرد هناك تربية المواطن التى تسرف فى التركيز على ما هو اجتماعى ، على حساب شخصية الفرد ، كما يقول برتراند راسل

والاسراف فى تدريب الفرد ليكون مواطنا مستقيما متمشيا مع ما هو اجتماعى ، يجعل من الاستقامة قبرا للذكاء ، كما يقول راسل ايضا ، فمن المحتمل ان يكون المواطن ، بسبب تربيته تلك غير قادرا على الاكتشاف او التغيير ، طالما انه يبالغ فى احترام الرجال العظام من الاجيال الغابرة ويتطلع برعب الى جميع العقائد المدمرة ،

وترتبط تربية المواطن بالعقائدية ، بينما تكون تربية الفرد اقرب الى الروح العلمية ، والعقائدى يرى الحقيقة قد اكتشفت فلا داعى للقلق لاكتشاف ما هو جديد ، بينما الروح العلمية تتصف بغياب النهاية ، ورجل العلم يرى ان الحقيقة قابلة للكشف مع كونها لم تكتشف ، وعندما تكون عرضة لتصحيحات فى المستقبل ويذهب راسل فى هذا الصدد الى القول بانه من الضرورى ان يستثنى الشباب الذين يظهرون كفاءة علمية عالية من التدريب العادى للمواطن وان يمنحوا " رخصة للتفكير ".

ويجدر بنا قبل الانتهاء من مشكلة علاقة الفرد فى النظام الاجتماعى بشكل خاص ، وهو مفهوم الديمقراطية ،

ظهرت الفكرة الديمقراطية فى الازمنة القديمة ـ عند اليونان القدماء ـ بمعنى ضيق وهو حكم الشعب لنفسه. ثم اتسع المفهوم ليصبح له محتوى اجتماعى واقتصادى وتربوى بالاضافة الى محتواه السياسى ، فمن الناحية الاقتصادية تعنى الديمقراطية رفع مستوى الفرد اقتصاديا بشكل يتناسب مع انسانيته وكرامته. كما تعنى حرية العمل وتكافوء الفرص فى الكسب . ومن الناحية الاجتماعية تعنى حرية الفرد فى التعبير عن رأيه ، وحريته فى النقد ، ومشاركته فى اتخاذ القرارات ، كما تعنى مساواته مع الاخرين . وتربويا تعنى الديمقراطية نشر التعليم بين افراد المجتمع وتكافوء فرص التعليم بينهم . ويمكن القول بأن المبادىء الاساسية للديمقراطية هى :احترام الانسان كانسان ، وتكافوء الفرص فى التعليم والعمل ، والمساواة والعدالة بين الافراد فى المجتمع ، والايمان بالاتصال بين الرئيس والمرؤوس والنقد الذاتى .

٤ـ التنشئة الاجتماعية :

والان وبعد مناقشة مفهوم المجتمع الانسانى وعلاقة الفرد به ، نجد انفسنا امام سؤال مهم ، كيف يتحول الفرد الانسانى

الى عضو فى المجتمع ؟ اى كيف يصبح الفرد جزءا من ذلك الكيان الكلى ، وهو المجتمع ويرتبط به ارتباط الجزء بالكل ؟

يكتسب الفرد الانسانى هويته الاجتماعية عن خلال عملية تعرف بعملية " التنشئة الاجتماعية " فما طبيعة هذه العملية ؟ وما القوى التى تتفاعل فيها لتكسب الفرد ذاتا اجتماعية ؟ وما وسائلها ؟ وما مراحلها ؟

ان التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتحول الفرد من خلالها من طور الفردية البيولوجية ـ التمركز حول الذات وحول سد الحاجات الفسيولوجية ـ الى طور الفردية السيكولوجية والاجتماعية ، الوعى على الاخرين وادراك معنى المسؤلية الاجتماعية ، والتحكم بالانفعالات والمسلك فى سد الحاجات وفق ما يسمح به المجتمع ، فعن طريق هذه العملية يكتسب الفرد معايير حياة الجماعة وانماط سلوكها وقيمها ، ومعتقداتها ، ولغتها ، مما يمكنه من مسايرتها والتوافق معها ، ومن خلالها يكتسب الفرد ذاتا اجتماعية يتميز بها عن الحيوانات الاخرى ، وهى باختصار عملية تنشئة اجتماعية للفرد .

ويمكن النظر للتنشئة الاجتماعية كعملية نمو اجتماعى للفرد وللنمو الاجتماعى مطالب كباقى جوانب النمو الاخرى ، وهذه المطالب هى حاجات لدى الفرد يجب اشباعها ، ومن امثلة هذه الحاجات : تقبل الذات والثقة بها ، وتقبل الواقع وتكوين قيم واتجاهات سليمة ، والتقدم نحو السلوك الاكثر نضوجا ، والمشاركة المسؤولة الفعالة فى الاسرة والجماعات الاخرى ، والاتصال السليم مع الاخرين والتفاعل معهم ، والاستمتاع بالحياة التى يستمتع بها الاخرون ، وتنمية المهارات الاجتماعية التى تحقق التوافق الاجتماعى السوى . كما ان هناك حاجات نفسية اخرى لدى الافراد ، لا يمكن اشباعها الا من خلال الجماعة ، مثل الحاجة الى الانتماء والحاجة الى الامن .

وبالاضافة الى الحاجات النفسية والاجتماعية ، هناك مجموعة عوامل اخرى يتفاعل بعضها مع بعض لتجعل الفرد الانسانى عضوا فى جماعة ، وهذه العوامل هى قابلة الفرد الانسانى للتعلم وقدرته على التعامل بالرموز ، ومطاوعة طبيعته ، وطيلة فترة عجزه نسبيا فى اثناء طفولته ، وضغوط الجماعة عليه للانسجام مع معاييرها .

ومن خلال التنشئة الاجتماعية ينمو مفهوم الذات (الأنا) ومفهوم

الذات الجماعية " النحن " ، والانا لا ينمو ولا يفصح عن امكاناته وجوانبه المختلفة الا من خلال البيئة الاجتماعية ، فهو اجتماعي في جوهره ، لان نموه داخل المجتمع يجعل فكرة الذات عبارة عن شعور بما يميز حياة الفرد عن حياة الاخرين ، فلا معنى لوجود الضمير " انا " بدون وجود " اخر " ومن اهم جوانب " الانا " ما يعرف بـ " الذات المنعكسة " وهي تخيلنا لما تبدو عليه في نظر الاخرين وتخيلنا لحكم الاخرين علينا ، وما يترتب على ذلك من شعور بالزهو او الهوان .

والذات الجماعية " النحن " شكل من اشكال النمو للانا ، يتحقق اذا توافرت شروط معينة ، اهمها عضوية الفرد في جماعة معينة يسود التعاون بين اعضائها ، ويسود التعارض بينها وبين جماعات اخرى .

والتنشئة الاجتماعية عملية تبدأ بالولادة ولادة الفرد وتستمر لتشمل جميع مراحل حياته في الطفولة ، والمراهقة ، والبلوغ ، والشيخوخة ، وتكون بدايتها في الاسرة ثم تتسع باتساع دائرة حياة

الفرد كلما كبر ، فتشمل المدرسة ، وجماعة الرفاق ، والمهنة ، والنادى ، ودار العبادة ومؤسسات الاعلام وغيرها ٠

ويقسم بارسونز عملية التنشئة الاجتماعية الى اطوار ، ويرتبط كل طور بانظمة اجتماعية على النحو التالى :

الطور الاول : ويتم داخل الاسرة ويستمر حتى دخول المدرسة ٠

والطور الثانى : ويتم فى اثناء مراحل الدراسة المتعددة ٠

الطور الثالث : وهو الخروج الى العمل والحصول على مركز فى النظام المهنى ٠

الطور الرابع وهو البدء بتكوين الاسرة حيث يبدأ الفرد بتكوين أسرة جديدة ويتداخل هذا الطور مع الطور الثالث وقد يسبقه ٠

وبالرغم من تعدد المؤسسات التى تتم من خلالها التنشئة الاجتماعية للفرد (الاسرة ، المدرسة ، دار العبادة ، النادى ٠٠) الا ان اكثر هذه المؤسسات تأثيراً فى عملية التنشئة الاجتماعية للفرد هى الاسرة والمدرسة ، وتكمن اهمية الاسرة فى كونها المؤسسة الاجتماعية التى تتم فيها التنشئة الاجتماعية المبكرة ، ولاسباب

بيولوجية وسيكلوجية تتحدد فى هذه المرحلة المبكرة من مراحل تنشئة الفرد اجتماعياً ، اساسيات شخصيته الاجتماعية وملامحها العامة ، ومن الناحية البيولوجية ومن الناحية السيكلوجية على حد سواء تكون قابلية الفرد للتشكيل اكثر ما تكون عندما يكون صغيرا فى العمر .

والفرد البشرى يطول بقاؤه فى الاسرة لطول فترة عجزه نسبيا ، ويكون طيلة هذه الفترة معتمدا على الاسرة فى اشباع حاجاته البيولوجية والسيكلوجية (الطمأنينة والحنان ...) مما يجعل تأثير الاسرة فيه عميقا ، ويجعل من خبراته فى الاسرة اساسا لخبراته اللاحقة ، ومنوالا ينسج عليه فى المراحل الاخرى من حياته ، ومن هنا قيل ان الطفولة عجينة خام تشكلها الاسرة حسب القيم واشكال السلوك السائد ، كما قيل ان التعلم والطفولة اكثر انواع التعلم استقرارا .

والاسرة هى الجماعة الانسانية الاولى التى يكتسب فيها الطفل اول عضوية فى جماعة ، وهى المظهر الاول للاستقرار والاتصال فى الحياة ، وهى البيئة الاجتماعية الاولى التى يبدأ فيها الطفل تكوين مفهوم الذات (الانا) ومفهوم الذات الاجتماعية (النحن) . ومن

طريق التقليد والتلقين والتوحيد يكتسب الطفل الصفات الاجتماعية (انماط السلوك ، المعتقدات ، القيم ..) لهذه الجماعة التي يتواجد بينها ، وهي الاسرة ، ويشترك الطرفان : الاسرة والطفل في عملية اكساب الاخير تلك الصفات ، فتقوم الاسرة بتلقين الطفل حياتها مستخدمة في ذلك الجزاءات والاثابات ، ويقوم هو بدوره بتقليد الاسرة والتوحد مع شخصيات افرادها وطريقة حياتهم .
والفرق بين التقليد والتوحد هو ان التقليد يتم بوعي ، اما التوحد فيتم بدون وعي ، اي ان الطفل عندما يتوحد مع شخصية امه ، مثلا ، فان شخصيته تندمج مع شخصيتها ، ويكتسب صفاتها دون ان يكون واعيا لذلك ، فالتوحد عملية لا شعورية مما يعطيها اهمية خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية ، ويبدأ الطفل بالتوحد مع الام ، وهذا ما يؤكد دور الام وخطورة اثرها في نمو شخصية الطفل .

فالام هي اكبر اعضاء الاسرة اثرا في شخصية الطفل ، وعلاقته بامه هي اولى العلاقات الاجتماعية التي يدركها ، وهي اساس علاقاته بالاخرين ، بمعنى انه ينسج علاقته بالاخرين على منوال تلك العلاقة ولا عجب ان يقلد الطفل امه ويتوحد معها اكثر من غيرها ، فهي

التى تعمل على اشباع حاجاته اكثر من غيرها ، وهى التى تتواجد معه اكثر من غيرها ، وبذلك تصبح الانسان الذى يحبه الطفل ويعجب به اكثر من غيره ، والحب بين الطفل وامه من اهم عوامل التنشئة الاجتماعية السليمة. وقد أكد كل من فرويد وبارسونز اهمية الحب فى تكوين الشخصية وتفتحها ، فالحب بين الام والطفل يتسع ليشمل اعضاء الاسرة ومن بعد هم المجتمع ، وعلى اساسه يتوحد الطفل مع العناصر الثقافية والاجتماعية ، ويذهب بارسونز الى القول بان الحب بين الطفل وامه هو اساس التماسك بين علاقة الطفل والام. ونظام الاسرة والبناء الاجتماعى باسره ، وهو دعامة نظام الشخصية.

فنوع التعامل بين الام والطفل يقرر الى حد بعيد نوع شخصية الطفل فيما بعد ، فاذا كان تفاعله مع امه يشبع حاجاته "البيولوجية" و "النفسية" وبطريقة سليمة ، جاءت شخصيته سليمة ، ويعكس ذلك تتفكك شخصيته ، وقد وجد ارتباط قوى بين سمات شخصية الانسان واساليب تدريبه المبكر : اساليب التدريب على عملية الاخراج اساليب الفطام ...

والمؤسسة الاجتماعية الثانية التى تلعب دورا هاما فى تنشئة

الافراد اجتماعيا هى المدرسة ، وقد ظهرت المدرسة كمؤسسة متخصصة لتربية الفرد وتنشئته اجتماعيا ، نتيجة تراكم التراث الثقافى وتعقيده ، وزيادة التخصص فى حياة المجتمع ، وكانت الاسرة التى تقوم بتنشئة الاطفال اجتماعيا واكسابهم المهارات اللازمة لحياتهم الاجتماعية ، الا انها لم تعد قادرة على القيام بهذه المهمة لوحدها فى ضوء تعقيدات الحياة الاجتماعية وتعدد التخصص فيها .

والمدرسة تشترك مع الاسرة فى نقل تراث الجماعة الى الفرد وتطبيقه اجتماعيا ، الا انها كمؤسسة متخصصة فى تربية الفرد وتنشئته اجتماعيا تتميز عن الاسرة بالتنظيم والشمول ، فهى تقوم بنقل تراث الجماعة الثقافى الى النشئ بعد تبسيط هذا التراث وتنقيته من الشوائب ، وتنظيمه على اسس سيكلوجية تتفق مع مراحل النمو المختلفة التى يمر بها الفرد الانسانى ، فالخبرات التى تقدم للفرد فيها خبرات منظمة ، والتربية فيها تربية منظمة . كما انها توفر بيئة سيكلوجية واجتماعية متزنة ومتكاملة للافراد فيها ، فلا يسمح للسلوك غير المرغوب بالظهور فيها ، وطرق التعامل فيها والعلاقات بين افراد مجتمعها متزنة وتقوم على اسس منظمة .

وهى مكان يتفاعل فيه الفرد (الطالب) مع افراد (طلاب) من مستويات اقتصادية واجتماعية مختلفة ، مما يضفى طابع الديمقراطية على التنشئة الاجتماعية فيها ، والتربية فيها تشمل الجوانب المختلفة للفرد الجسمية والعقلية والانفعالية • فهى بيئة للنمو المتكامل للفرد ، بينما الاسرة تهتم اكثر ما تهتم به بالجوانب الوجدانية فى تربية الفرد •

وتتميز المدرسة ايضا بتنمية الروح الجماعية لدى الفرد وتأكيدها فالمدرسة اطار اجتماعى اوسع من الاسرة ، ويعيش فيها الفرد مع الاخرين من غير افراد اسرته ، ويشاركهم انشطتهم الاجتماعية ، ويتفاعل معهم ، ولعل تأكيد المدرسة على الروح الاجماعية هو ما دفع دوركهايم الى الاعتقاد بان المؤسسة الاجتماعية التى تطبع الفرد بالطابع الاجتماعى هى المدرسة وليست الاسرة ، لان التربية الاسرية ، كما يقول تربية عاطفية واقرب الى الفرد • وتساعد على تنمية المشاعر الفردية •

الفصــل الثـالث

التخطيط التعليمي

ومراكز التدريب المهنية والجامعات ، ونسبة التردد ونسبة الطـــلاب لهيئات التدريس ، ولابد من حساب النسبة المئوية للاطفال والشباب الذين ينتهون من دراساتهم والذين ينتهون من كل فرقة ســـــنويا . والنسبة المئوية لعدد الطلاب الذين سيقبلون بالمدارس والمعاهـــد والكليات ومتابعتهم بعد تخرجهم والتحاقهم باعمالهم ومن المهـــم ضرورة تحديد الاعداد من الاطفال والشباب والخريجين فى مختلـــف مراحل التعليم وانواعه فى الحاضر والمدى القريب والبعيد وما يلـــزم لمواجهة الموقف الحتمى او التوسع او الحرف او الاضافة فى الخدمات التعليمية . والاحصاء المتعلقة بالتموين والتمويل لابد وان تتضمـــن تكاليف التعليم بالنسبة للدخل القومى والمصادر العامة للتمويل مركزية ومحلية والمصادر الخاصة ومصروفات التعليم بالنسبة لدخل الفـــرد . وتوزيع تكاليف التعليم بين مصروفات تمييزه ورأس المال والتكاليف الخاصة بكل مراحله التعليمية وكل نوع من انواع التعليم .

الديمقراطـية :

يحسن الاعتراف بمبدأ هام وهو ان تبدأ عمليات التخطيط للتعليم سواء وما كان يشمل منها الخطة الحاضرة او يشمل التخطيط القريـب

المدى او البعيد المدى يحسن ان تبدأ من القاعدة ولا تقتصر فقط
على تخطيط يصدر عن القمة حتى يكون التخطيط واقعيا ميدانيا فاذا
اريد للتخطيط التعليمى ان ينجح فى بلادنا يجب الا تفرض الخطط
من الجهات العليا بل تتخذ الوسائل الكفيلة باشراك الهيئات
المستنيرة وهيئات التدريس واولياء الامور والجامعات والمجالس التشريعية
والشورى والمؤسسات فى رسم خطط التعليم وفى وسائل تنفيذها لان
التعليم قضية قومية ومن اجل هذا الغرض كان من الافضل الا يقتصر
على مركزه الاستشارات فى خطط التعليم بل تهيأ الوسائل للحصول
على الاقتراحات والاراء من القطاعات المحلية من الفنيين والخبراء
وذوى العلاقة وغيرهم فى المناطق النائية ووصولها الى هيئات
التخطيط المركزية وان يتوفر تبادل وجهات النظر من اسفل الى
اعلى وبالعكس . كما يحسن ان يكون المخطط التعليمى على صلة
دائمة بالمنفذ التعليمى وان لا يغفل المنفذ انه مقوم ومتابع لما يقوم
بعمله فى الميدان وان لا يفقد المخطط صلته بالميدان وان يحذر
المنفذ الذى يتابع العملية التعليمية التقارير الدورية عن العملية .
ولهذا ينصح بوجود تخطيط اقرب الى المركزى وتقويم اقرب الى
المركزى الى جانب التخطيط المحلى والاقليمى والتنفيذ والتقويم

والتقويم المحليين والاقليميين ويلزم للتخطيط للتعليم بمختلف مراحله وانواعه :

١ـ مقابلة مشكلات واحتياجات وتطلعات مجتمعنا اى ربط التعليم بعجلة الانتاج القومى وخطط المستقبل •

٢ـ مقابلة مشكلات واهتمامات وميول وانشطة وقدرات الطلاب اى الاهتمام بالانسان الفرد والعمل الابتكارى المستقل •

٣ـ مقابلة مطالب التراث الثقافى والحضارى والقدر المناسب من المواطنة الصالحة المستمدة من تاريخنا وتقاليدنا وفى اطار مجتمع العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى •

ومن الضرورى تعبئة مصادر القوى فى مجتمعنا وتوعية الشعب بالنسبة للقوى الاجتماعية التى تؤثر بفاعلية فى مجتمعنا ومنها قوى القيم الدينية والعدالة والحرية والتعاون والوحدة الوطنية والقومية العربية والروح الوطنية وتاريخ انتصاراتنا قديما وحديثا وقيمة الانسان الفرد • وان قوة المجتمع فى قوة افراده •••• الخ •

كل هذه القوى كفيلة ـ اذا حسن استغلالها ـ بدفع

مجتمعنا الى افاق ارحب وافضل وتطلعات اكبر واجدى ولا يمكن لقوة لغير التعليم ان تعبئ مصادر القوة فى المجتمع.

التفاعل بين التعليم والمجتمع :

هناك اتجاه دولى عام يدعو الى التنمية الى الدور الذى يؤديه المجتمع للتعليم والعكس بالعكس وهو الدور الذى يتم فى صورة تفاعل بين مؤسسات التعليم من جهة وبين المجتمع من جهة اخرى.

فمن الحقائق المعترف بها ان التعليم يهيئ الظروف التى يتم فيها التحول الاجتماعى الى حد كبير فلا يستطيع احد ان ينكر ان امتداد خدمات التعليم الى سائر الطبقات ادى دوره البارز فى ايقاظ هذه الطبقات لكى تسهم اسهاما فعالا فى ادارة شئون بلادها الخاصة وتشترك فى توجيه مصير العالم المعاصر.

وليس هناك من ينكر ان الحملة الواسعة النطاق ضد الامية وزيادة الالتحاق بالمدارس الثانوية والمهنية والفنية والمعاهد العليا وتدريب العمال والصناع والمهرة الفنيين والعلميين تغيير كل علاقات بارزة تساعد على الاسراع بخطوات التقدم فى الميادين السياسية

والاقتصادية والاجتماعية المختلفة •

هذا هو دور التعليم الذى يؤديه للمجتمع ، وهناك الى جانب ذلك تفاعل المجتمع مع التعليم ، ونعنى به ما للتقدم الاجتماعى من تأثير يسيطر على مجرى الاحداث التربوية ولو اننا وقفنا فى ميدان التربية والتعليم لهالتنا كثرة التغيير الاجتماعى والاصلاحات التربوية التى هى فى الواقع امتداد لحلول وفقت اليها الانسانية وهى تعالج مشكلات اهم واشمل فى مداها من التربية والتعليم فالتربية الرياضية والكشافة العسكرية وما وجدت طريقها الى المناهج معتمدة على ان العقل السليم فى الجسم السليم اول الامر ولكنها تثبتت اقدامها بصورة اقوى واكتسبت اهمية بالغة يوم كانت امم العالم تحاول ان تتغلب على مشكلة التجنيد والتعبئة والاستعداد للدفاع •

واطالة مدة التعليم الالزامى تولدت لدى كثير من الدول كنتيجة للتطور الاجتماعى والتقدم العلمى والخوف من البطالة وآثارها الاجتماعية الوبيلة والرغبة فى تنويع الفرص امام الملزمين اذ خرجوا للحياة الاجتماعية اكثر مما تولدت عن الاعتبارات التربوية والنفسية

واللوائح فاذا كان هذا المبدأ سليما كان من المستحيل ان يتم التشريع فى أمور تتعلق بالتعليم العالى دون الاهتمام بالتأثير الذى سوف يحدثه هذا التشريع الجديد على التعليم الفنى او التعليم الابتدائى او التعليم الثانوى بل وعلى القطاعات الاجتماعية والثقافية المختلفة والتعليم فى كل مرحلة ونوع يرتبط ارتباطا وثيقا بما قبله وما بعده من مراحل٠

ويتجلى مبدأ الحقائق التعليمية بعضها على بعض اكثر مما يتجلى من الفترات التى يخضع فيها نظام التعليم لتعديلات شاملة ففى هذه الفترات يجب ان نولى هذا المبدأ عناية فائقة حتى نتلافى بعض الاثار السيئة البالغة الخطورة مثل الازدواج وانعدام التناسق فى داخل هيكله التعليمى والهيكل الاجتماعى فى آن واحد وهذا امر يكلف القائمون بعد ذلك الشئ الكثير من الوقت والمال والجهد

واخيرا لابد وان نؤكد دائما ان التخطيط للتعليم يقصد به رسم مشروعات لمزيد من العناية بالعملية التربوية والفنية والاجتماعية والتعليمية واستثمار الجهود فيها الى اقصى حد على ان يكون

التخطيط محققا لاهداف كل دولة عربية والوطن العربي ككل متمشيا مع التطور المنشود مشتملا على خطوات التنفيذ ، مبنيا على الواقع وفي حدود الامكانيات مدعما بالاحصاء والنماذج والامثلة ، وعلاج المشكلات تنول واقعية ملائمة للامكانيات ومسايرة لمقومات المجتمع واهدافه •

ولا يقصد بالتخطيط للتعليم كتابة مقالات في بحوث فلسفية بحته او الاقتصار على عرض اهداف او نقد للمسائل القائمة دون تشخيص مقرون بالحلول العملية •

تخطيط التعليم كما وكيفا :

العملية التعليمية متعددة الجوانب والعناصر فهي تشمل اهداف التعليم وبنيته ومحتواه وطرائقه ووسائله وادارته ونظمه وعلاقاته • وكل واحد من هذه العناصر يمكن تجزئته وتفريعه الى ابعاد وعناصر فرعية عديدة اخرى واصبح مؤكدا الان ان اصلاح التعليم لرفع كفائته وزيادة انتاجيته يتطلب ادخال تحسينات واحداث تغييرات ليس فقط على كل عامل من عوامله الرئيسية بل على كل جزء من اجزاء عناصره

المتفرقة لان هذه الجوانب والابعاد والعناصر والاجزاء متفاعلة ومتداخلة اذا اهمل اى جزء فيها يكون له مردود سلبى على الاجزاء الاخرى •

وان تحقيق التوسع والتجديد فى التربية يعتمد على التخطيط السليم التخطيط التربوى الذى يتجاوز الكم الى الكيف ويعتمد العلوم الموضوعية والتجريب اسلوبا كما يتبنى البحث عن البدائل التربوية المستقبلية منهجا • وعلى ذلك يكون التخطيط التربوى الجيد هو كل تخطيط يتجاوز كم التربية الى كيفها يتخذ هذا الكيف محوره وهدفه الرئيس والتربية الجيدة - من ناحيتها - هى كل تربية تقوم على تخطيط جيد وما يتصل بهذا التخطيط من بحث وادارة كفوءة •

التخطيط من بعد الكم:

يقوم التخطيط من بعد الكم اولا بتشخيص واقع التعليم من حيث:

* اعداد الطلاب وتدفقهم •
* اعداد الصفوف المدراسية •
* اعداد المدارس •

* اعداد المدرسين •

* ساعات خطة الدراسة •

* انصبة المدرسين •

* المباني المدرسية •

* التكاليف الرأسمالية والجارية •

وبعد ان يقوم بهذا التشخيص بواقع هذا التعليم يقوم ثانيا بعمل استقراء اتجاهات ومشكلات ثم يقوم بعد ذلك بعمل اسقاطات المستقبل على مدى زمني يختلف طولا وقصرا بحسب نوع الخطة •

الفرق بين منهج التخطيط الكمي ومنهج التخطيط الكيفي :

يمكن حصر اهم الفروق بين منهج كل من التخطيط الكمي في :

منهج التخطيط الكمي :

١ـ ان اهم ما يعني المخطط الكمي هو ان يبدأ نظريته من الحاضر وصولا الى المستقبل •

٢ـ يرى المخطط الكمي اعداد وارقام ينبغي الوصول اليها •

٣ـ يمكن ان يكون المخطط الكمي فردا واحدا او عددا من الاحصائيين التربويين •

٤ـ يعنى المخطط الكمي بالمرمى والغايات ولذلك يقوم بعمليات احصائية يتم بها تقدير اعداد متزايده ويحولها في النهاية الى كلفه •

٥ـ يسير المخطط الكمي على خط واحد بسيط وهو ما يعرف باسم البرمجة الخطية او التوسع الخطي وفيه يقدر النمو اللازم اوالمتوقع مع العملية التعليمية من جميع جوانبها •

منهج التخطيط الكيفي :

ـ اما في حالة مخطط الكيف فالاولوية عنده ان يبدأ نظرته من المستقبل ، ثم يقيس المسافة بين ما يراه من هذا المستقبل وبين الحاضر ليواصل عمله من بعد ذلك •

ـ مرمى مخطط الكيف قيم ومعايير ومستويات وتصورات ثم محاولة الوصول الى تحقيقها •

ـ اما المخطط الكيفي فلا يمكن ان يكون فردا واحدا انما فريقا يتخصص كل منهم في جانب او اكثر من جوانب العملية التربوية •

ـ ان المخطط الكيفى لا يعنى فقط بالغايات والمرامى وانما بالوسائل وبكيفية تعبئة الجهود والطاقات المادية والبشرية وصولا الى هذه الغايات والمرامى •

ـ اما المخطط الكيفى بالمامه بجهود عريضة وشبكة واسعة من المهام والنشاطات المتوقعة التى ينبغى الاعداد لها والتهيئة لتنفيذها •

اسباب قصور التخطيط التربوى عن استيعاب بعد الكيف فى البلاد العربية :

١ـ جدة التخطيط التربوى مفهوما وطريقة والنظر اليه على انه معالجة احصائية لعدد من الارقام وسيطرة منطق مد الحاضر بماضيه فى المستقبل على عمليات التخطيط•

٢ـ الاعتقاد السائد فى ان نقطة الانطلاق فى تصميم الخطط التربوية واقع التعليم بجوانبه الكمية بالذات بدلا من ان يكون رؤية تعليمية جديدة يتجسدها التعليم او يتطور اليها بحساب دقيق فى حركته فى المستقبل•

٣ـ عندما تبنت وزارات التربية فكرة انشاء وقيام اجهزة التخطيط التربوى لم تنظر اليه على انه فلسفة جديدة يجب أن يؤدى الى

تغيير جذرى فى انظمتها وتنظيماتها ولكنها اكتفت بالنظر اليه على انه مجرد نشاط جديد لا يستلزم اكثر من احداث جهاز او اجهزة اضافية اخرى.

٤- زيادة الطلب الشعبى على التعليم ورغبة القيادات التعليمية والسياسية فى تحقيق انجازات تعليمية اكبر وبخطى سريعة ولهذا تغلب منطق الكم على التعليم واستجاب التخطيط التربوى لهذا المنطلق واستهدفت الخطط النمو الكمى متجاهلة التخطيط الكيفى للتعليم.

٥- اتجه المخططون الى التخطيط الكمى لسهولة منهجه وتركوا التخطيط الكيفى نظرا لتعدد ابعاده وصعوبة تحديده وقياسه وقلة الابحاث فيه مفهوم التطوير والتحديث.

مفهوم التطوير والتحديث :

١- يقصد بالتطوير والتحديث ادخال مستحدثات جديدة فى مجال التربية بقصد تحسين العملية التربوية ورفع مستواها ويجب الا يعتمد التطوير والتحديث على المظهر والشكل والوسائل والادوات ولكن يجب أن يمس الجوهر والصميم ويؤدى الى تغيير حقيقى فى لب

العملية التربوية •

٢ـ والتطوير والتحديث بهذا المفهوم عملية شاملة واسعة الارجاء متراميه الاطراف ترتبط اشد الارتباط بالتلميذ والمدرسة والبيئة والمجتمع بل والبشر والحياة •

٣ـ فيجب علينا ان نعمل جاهدين وباستمرار على تطوير وتحديث العملية التعليمية ككل حتى تتناسب مع مطالب نمو التلميذ وحاجات المجتمع وفلسفته وآماله وروح العصر التى تتميز بالانفجار المعرفى والتقدم العلمى والتكنولوجى وما صاحب ذلك كله من تقدم كبير فى مجال الدراسة التربوية النفسية •

اهم الاسس التى يجب ان يقوم عليها التطوير والتحديث:

لقد تقدمت الدراسات والبحوث التربوية واصبح التطوير والتحديث عملية واضحة لها شروطها ومواصفاتها وتخصصها الرفيع وهى تقوم على اسس علمية لابد من مراعاتها بكل دقة حتى يؤتى التطوير والتحديث ثماره ويحقق الغرض من ورائه وفيما يلى اهم هذه الاسس :

١ـ دراسة علمية للمجتمع وفلسفته التربوية :

١ـ فلا يمكن تطوير التعليم وتحديثه الا فى ضوء دراسة علمية للمجتمع تجديد فلسفة وقيمه وتصور اماله ومشكلات وتركيبه وجوانب نموه الشاملة اقتصاديا وصحيا وتعليميا واسريا وتأخذ بعين الاعتبار خطط تنميته •

٢ـ كما يجب ايضا ان يستند التطوير الى فلسفة واضحة للتربية لهذا المجتمع لان هذه الفلسفة هى التى تحدد مفهومنا حول طبيعة الانسان والبيئة والمجتمع والتعليم واهداف التربية ووسائلها ومقوماتها •

٢ـ دراسة علمية للفرد ومطالب نموه :

١ـ يجب ان يكون التطوير والتحديث على اساس دراسة مطالب نمو التلاميذ فى كل مرحلة من مراحل التعليم واستعداداتهم وافضل الطرق للتعليم واكتساب الخبرة •

٢ـ ونحن فى حاجة ماسة فى منطقتنا الى رسم وتحديد سمات التلاميذ بحيث نتبين دوافعهم وقيمهم واتجاهاتهم وغير ذلك مما يؤثر فى نظرتهم الى العلم والعمل والحياة •

٣ـ دراسة علمية لطبيعة الثقافة المعاصرة وروح العصر:

١ـ يجب ان تولى اهمية خاصة لدراسة خصائص ثقافتنا الراهنة وروح العصر الذى نعيش فيه حتى لا نتخلف عن تيار التقدم العالمى .

٢ـ ويمكن تحديد اهم الملامح الرئيسية لخصائص هذا العصر فيما يلى :

أ ـ انه عصر العلوم فنحن نعيش الان فى عصر الذرة والصواريخ والفضاء فيجب علينا تدريب التلاميذ على اسلوب التفكير العلمى ومهاراته .

ب ـ انه عصر التزاوج بين العلم والتكنولوجيا لانه قد تلاشت الان الحواجز القديمة الفاصلة بين العلم وتطبيقاته . وصار فى مقدمة المبادىء التى ينبغى مراعاتها فى التطوير والتحديث ربط العلم بالعمل والنظرية بالتطبيق .

جـ ـ انه عصر الانفجار الثقافى حيث اصبح الانسان عاجزا عن الاحاطة باطرافها المترامية وملاحظة تطوراتها السريعة ولذلك يجب التركيز على اساسيات المعرفة وهياكلها البنائية بدلا من التركيز القديم على حقائقها التى كانت تقدم منهكة وبصورة غير متوازنة مما يكاد يعرضها للنسيان السريع وتكوين المهارات

والاتجاهات المناسبة لدى التلاميذ لكي يتبينوا اهمية التغيرات الثقافية الجديدة واثرها فى حياتهم •

د ـ انه عصر التخصص ـ ولو ان التخصص اصبح من سمات هـذا العصر ولكننا نحتاج فى معالجة امورنا ومشاكلنا من وجهات نظر متعددة ومتكاملة فيما بينها لانه لم يعد حل المشكلات حكرا لفئة متخصصة من المتخصصين بلا عملا تعاونيا يشترك فيه المتخصصون من مجالات متعددة ولذلك يجب ان نحدد متى يكون التعـليم عاما ومتى يبدأ التخصص •

هـ ـ انه عصر المادية • صارت كثير من الامور توزن بموازين المـال والمنافع الخاصة والمكاسب المادية • وقد يكون فى ذلك تهـديد لقيمنا الروحية ومبادئنا السامية التى تنادى بها اديانـنـا السماوية وتقاليدنا العربية الاصيلة • وهنا يأتى دور التربية فـى التخطيط للمحافظة على هذا التراث القيم • لذلك يجب اعطـاء مزيد من العناية بالتربية الروحية والقيم الاجتماعية •

٤ ـ استمرارية عملية التطوير والتحديث:

١ ـ لا يمكن ان تكون عملية التطور والتحديث منتهية فى وقـت مـن

الاوقات لانها ترتبط اساسا بما يطرأ على العلم والبيئة والمجتمع والحياة والتربية من تغيرات مستمرة •

٢ـ يجب ان يصاحب عملية التطوير والتحديث عمليتا المتابعة والتقديم حتى يمكن اكتشاف نواحي الضعف والقوة •

٣ـ كما يجب ان نعطي فرصة مناسبة للاستقرار لعملية التطوير والتحديث حتى يمكن متابعة واصدار حكم على النتائج •

٥ـ التقدم التدريجي بالسرعة المناسبة لعملية التطوير والتحديث:

يجب ان تعد العدة وتهيأ الظروف المناسبة حتى تسير بالسرعة الطبيعية وتتقدم تدريجيا بالسرعة المناسبة وظروف النجاح لانه لا يمكن ان تحقق كل ذلك طفرة •

أهم الدراسات اللازمة لعملية التطوير والتحديث :

١ـ دراسة المجتمع : حيث انها توضح فلسفة هذا المجتمع وآماله وتطلعاته وخصائصه الاقتصادية والصحية وعاداته وتقاليده ومشكلاته •

٢ـ دراسة مطالب المجتمع : في كل مرحلة من مراحل التعليم حيث انها تصدر لنا ملامح شخصيات التلاميذ وقيمهم ودوافعهم

واتجاهاتهم وظروف بيئتهم وحياتهم وبخاصة فيما يتعلق بالدراسة والعمل والحياة •

٣ـ دراسة كفاءة التعليم كما وكيفا : وذلك للتعرف عن الفاقد المتسرب والتكلفة واجراء حصر علمي لجميع الامكانيات والخدمات الموجودة فعلا ومدى كفاءتها تمهيدا لتطويرها •

٤ـ دراسة مقارنة للمناهج على المستويين العالمى والعربى • وذلك للتعرف على اهم الاتجاهات والاساليب الحديثة التي تأخذ بها الدول على المستويين العالمى والعربى للاستفادة من الجهود المبذولة فى هذا المجال من جهة الجهود وإساليب التعاون من جهة اخرى •

٥ـ القيام بعملية نشر وإعلام جيد فى ذلك لان نجاح اى تطوير او تحديث فى الميدان التربوى لا يتوقف على سلامة أسسه واساليب وخطط فحسب بل يتوقف بجانب ذلك على مدى تقبل العاملين بالميدان والمهتمين بشئون التعليم من اباء وسلطات شعبية للافكار والنظم والاساليب الجديدة التى يقدمها هذا التطور مدى اقناعهم باهميته •

ولذلك يجب العمل على نشر الوعى بأهمية التطوير والتحديث فى

المجال التربوى وما يمكن ان يؤدى اليه من نتائج قيمة حتى يمكن الاطمئنان اليه •

كيف تتم عملية التطوير والتحديث ؟

هناك بعض الخطوات التى تسير فيها عملية التطوير والتحديث•

حيث تلعب دور كبير وفيما يلى اهم هذه الخطوات:

١ـ الاقتناع بالحاجة الماسة الى التطوير والتحديث • حيث تلعب وسائل الاعلام والتدريب والتوجيه دورا هاما فى الاذهان بعدم الرضا عن الواقع وادراك اهمية الاهداف والاتجاهات والاساليب الجديدة والاقتناع بأهميتها •

٢ـ تحديد اهم اتجاهات التربية المعاصرة حيث ان ذلك يساعد على وضع الخطة ورسم الطريق وتحديد المحتوى وتقويم الواقع المفتوح • :

٣ـ تحليل اهداف المجتمع فى الحاضر والمستقبل وذلك باعتبار ان وضع تطوير المناهج تعتبر الوسيلة الهامة التى تتخذها المدرسة لبلوغ اهداف المجتمع •

٤ـ دراسة واقع التربية والتعليم وذلك لتشخيص الواقع وتحديد نواحى

قوته وضعفه ويتم ذلك فى ضوء المعايير التى تشتق من اهداف التربية واتجاهاتها المعاصرة والمستويات التى نرى ضـــرورة بلوغها .

٥- تجديد واضح لاهداف التربية والتعليم وذلك بناء على وضـــوح الرؤيا لاهداف المجتمع الذى نخطط له .

٦- تحديد واضح لاهداف المراحل التعليمية التى تعكس اهـــداف التربية والتعليم فى كل مرحلة من مراحل التعليم .

٧- تحديد واضح لاهداف المواد الدراسية واستخلاص الاهـــداف المشتركة لتدريس المادة فى المراحل التعليمية المختلفة مـــع مراجعة ذلك كله فى ضوء ما أسفرت عنه الاتجاهات الحديثة .

٨- مراجعة الخطة الدراسية وذلك بغرض تحديد الوظائف لكل مرحلة من مراحل التعليم مع توكيد اهمية الاعداد للمواطنة والحيـــاة واهمية ايجابية التلاميذ والتعليم الذاتى والتعليم المستمر والخروج عن النطاق التقليدى الاكاديمى وكذلك مراجعة اليوم المدرســى من حيث عدد الحصص وزمن كل حصة والعمل على اتاحة الفرصـــة للنشاط والترويح والتفكير والابتكار ودعم العلاقات الاجتماعيـــة وتوجيه السلوك وبناء الاخلاق والعناية بالجوانب الروحية وكذلك

تحديد عدد الساعات اللازمة لتدريس كل مجال طبيعة اليوم
المدرسى الذى ينبغى ان يتصف بالتوازن والمناسبة للظروف٠

٩ـ اختيار محتوى المقررات المدرسية التى تستطيع ترجمة هــذه
الاهداف٠

١٠ـ تكوين لجان لوضع وتنسيق المقررات حيث تقوم كل لجنة من هذه
اللجان بتحديد الاهداف الخاصة للمجال والاتجاهات التربوية
والعلمية المعاصرة لتنظيمه وتدريسه والمستويات المناسبة لكــل
مرحلة ولكل صف ٠ كما تقوم لجان اخرى لتنسيق المقررات تنسيقاً
رأسيا وافقيا ٠

ويستهدف من التنسيق الرأسى مراعاة التدرج والبســط
والتكامل وتجنب التكرار فى مقررات المادة من صف الى صف ومــن
مرحلة الى مرحلة٠

كما يستهدف التنسيق الافقى تنسيق المادة فى كل صف مع
غيرها من المواد الاخرى بحيث تحدد وحدة الدراسة وتكاملهــا
فى الصف الواحد والمرحلة الواحدة الى اقصى حد ممكن٠

١١ـ مراجعة طرق التدريس المتبعة فى معالجة المقررات٠

١٢ـ استخلاص الجوانب التى تحتاج الى تدريب وتدريب المعلمين عليها لتمكينهم من تطبيق المقررات المطورة حتى لا يكون التطوير منفصلا عن امكانيات المعلم •

تصور للفلسفة التربوية العربية المعاصرة :

أولا : توجد فى الغرب فلسفات للتربية تهتم بالفرد وتدور حوله وتتفاوت فيما بينها فى هذا الاهتمام بالفرد وتلتفت هذه الفلسفات التربوية الغربية بعض الالتفات الى الجماعة ولكنها تتفاوت فيما بينها ايضا فى هذا الالتفات الى الجماعة ، بين الاهتمام الشديد بها كما نراه فى فلسفة التربية فى فرنسا بحكم ظروفها التاريخية التى مرت بها بعد الثورة الفرنسية وانشطار المجتمع الفرنسى بالثورة الى قسمين كاثوليكى دينى وقسم مدنى ثورة • ولكن فلسفات التربية فى الغرب رغم ما بينها من تفاوت يجمع بينها تبلها الى الفرد على حساب الجماعة حتى فى فرنسا التى تزيد من اهتماماتها بالجماعة فليس هذا الاهتمام بالجماعة فيها على حساب الفرد كما يبدو للوهلة الاولى •

ثانيا : وتوجد ايضا فى الشرق فلسفة للتربية تهتم بالجماعة وتــــدور حولها وتعتبر الفرد مجرد " حيوان اجتماعى " فلا ارادة للفرد ولا اختيار ولا طموح لان ذلك سبيل ما عرف عنه من طغيـــان وتمساد ما تقلص على حقوق غيره او حقوق الجماعة كلما اتيحـــت الفرصة له . لذلك يجب ان يحرر من هذه النزعات الخطـــرة والا يعترف باى بناء معنوى . او كيان فردى يقـوم على الارادة والاختيار والطموح ونحوها وان يكون مجرد " آلة حية " لتعمـل فى الانتاج العام وفق ما وتجهه اليه واتساق دون ارادة لهـــا او اختيار فانما الارادة والاختيار للسائق وحده وهو الدولة .

وفردية الغرب " جماعية " الشرق قد تتفق كل منهمـا مـع مجتمعها او ثقافة ذلك المجتمع هى - اتفقت او لم تتفـــق - تنعكس على فلسفة التربية فى كل منهما .

ثالثا : ويوجد بين ايدينا - نحن العرب - وسائل اشباع ذلـــك الظمأ الروحى ، فى كتب الله ، التى تجمعت كلها فى القــرآن الكريم وبجانبها نجد فيه النظرة الصحيحة الى الفرد والمجتمع التى لا تطلق لحرية الفرد عنانها كما يفعل الغرب ولا تغتــل

حريات الافراد كما يفعل الشرق ، وانما هى تطلق للفرد حريته فى اطار مصلحة الجماعة وتلقى على الجماعة اعباء ومسئوليات ووظائف تكون فيها فى خدمة كل فرد من افرادها لا سيما سلطا على رقابهم.

ومن هذا المنطلق :

١ـ يجب الا تكون الصورة التى يعيش عليها عالمنا العربى " عامل تثبيط واحباط ، بل العكس يجب ان تكون دافعا للتحدى والتصدى لان اول خطوة فى طريق التغيير الجذرى هى فى دراسة وتحليل النظام التعليمى واتجاهاته ومشاكله والتعرف على مواطن القوة والضعف فيه.

٢ـ كما يجب ان تعالج فلسفة التربية فى العالم العربى كجزء من فلسفة عامة للمجتمع العربى لا بمعزل عنها ، بحيث تكون التربية جزءا من حركة مجتمع يتحرك الى الامام له اهداف معينة تحددها فلسفته العامة هذه ، وبذلك يكون لهذه الفلسفة التربوية وظيفة وتكون لها فى تربة الارض العربية جذور توفر لها اسباب الحياة وتوفر للمجتمع العربى فى الوقت ذاته وسائل تحقيق

اهدافه العامة واهداف كل قطر من اقطاره فى ضوء فلسفته العامة هذه ، فلسفة كل قطر من اقطاره المشتقة هى الاخرى من هـذه الفلسفة العامة ايضا .

٣ـ لا تستطيع تربيتنا ان تغض الطرف عن تراثنا العربى الاسلامى بل من واجبها ان تحرص عليه وتفاخر به ، وتعمل على المحافظة على ما فيه من قيم مادية وروحية ، باقية على الدهر ، وعليها بعـد ذلك ان تعمل النظر فى التراث فتحتفظ بالصالح منه وتتـرك الطالح غير آسفة ولا وجلة .

٤ـ ان للتربية على نحو ما نعرفها حتى الان فى اطارها التقليـدى اشكال ثلاثة لا تعنى فى الواقع الا بشكل واحد فيها :

أ ـ فهناك التربية التى يمكن ان نسميها " نظامية " .

ب ـ وهناك الى جانب التربية النظامية هذه التربية التى يمكن ان ندعوها بالتربية غير النظامية ويعنى بها كل ما يكسبه الفرد ، بشكل غير منظم من مواقف وقيم ومهارات ومعارف تأتيـه مـن تجاربه اليومية ومن اسرته ومن محيطه ومن مهنته ومن وسائل البث الجماعية وسواها .

جـ ـ والى جانب هذين الشكلين من التربية يقوم شكل ثالث لعله

فى منزله بين المنزلتين يمكن ان ندعوه باسم التربيـة شبه النظامية ونعنى به اى شكل من اشكال النشاط التربـوى التى يقيمها خارج اطار التربية النظامية ، مثل مراكـــز التدريب ، او مؤسسات مكافحة الأمية او منظمات الكشافة او نوادى المزارعين او الجمعيات الثقافية او الرياضية اوسواها لذلك يجب ان يكون على هذه الاشكال الثلاثة الـــتى ذكرناها مجتمعة من تربية نظامية وغير نظامية وشبه نظاميه متضمنة ضمن فلسفة التربية المعاصرة المقترحة .

هـ كما ان الانسان العربى يحتاج فى تربيته الى الايمان ، بأن يكون فى الكون نظاما ، وان هذا النظام منبعث عن قصد كونى وهذا القصد الكونى هو مشيئة الله خالق الكون ثم الايمـان بان الانسانية اسمى ثمرة نعرفها من تراث النشور والارتقاء والايمـان بالامة العربية والايمان بان الفرد قيمة قيمته الروحيةوقدسـيته المعنوية ثم الايمان وقدسية الحرية على ان تكون الحرية واسـطة لاظهار المواهب الكامنة فى الفرد لخدمة المجتمع وان تكون مقرونة بالشعور بالمسئولية الاجتماعية والايمان بالمبدأ الديمقراطى .

رابعا : واذا اعتبرنا ان الانسان العربى هو الهدف والغاية من عملية التنمية وهى فى نفس الوقت الوسيلة والاداة التى تحقق التنمية والتقدم ... واذا اعتبرنا كذلك ان الطاقة البشرية والاقتصادية كانتا وستظلان دائما فى كل زمان ومكان الدعامتين الاساسيتين لقوة الدول فى شتى المجالات السياسية والدبلوماسية والاجتماعية والثقافية والادارية وغيرها ، لوجب علينا ان نبذل اقصى الجهد لينهل هذا الانسان العربى بقدر الامكان من العلم اكثره وانتبه لبلده حتى يستطيع ان يحتل موقعه من المسئولية العامة عن جدارة ويمكن تحقيق ذلك كما يلى :

١ـ يجب ان ينظر المتعلم نظرة شاملة كما وكيفا لان جدارة التعليم لا يمكن تجزئتها حتى يمكن ان نرى تحرجات التعليم امتداد لمد خلاته وناتجه امتداد لعملية التعليم .

٢ـ يجب ان تشرع كل دولة بوضع سياستها التعليمية واستراتيجية التربية بها واضعة فى اعتبارها ان الاستراتيجية السليمة لتطور النظم التعليمية هى التى تأخذ فى حسابها تطوير الفلسفة والاهداف والمنهج وما يتصل به المعلم واعداده والادارة وتجديدها .

٣- يجب ان يكون النظام التعليمى قادرا على التكيف مع التغيرات الداخلية فيه " فئات التلاميذ الذين يدخلون المدارس ، والخارجية المطالب والحاجات والامال الاجتماعية حراره وبالتالى على تجديد ذاته لمواجهة هذه التغيرات.

٤- كما يجب استخدام الاسلوب العلمى فى معالجة القضايا التربوية فى التعليم اذ لا سبيل الى دقة العلاج الا به.

٥- يجب التعاون بين مجموعة من المربين فى البلاد من اجل التفكير المشترك الذى يمكن ان يؤدى الى النجاح فى مواجهة قضايا التعليم كما وكيفا.

٦- واخيرا يجب العمل على ايجاد التوازن بين الكم والكيف فى كل مجالات العملية التربوية وبخاصة التوازن بين قطاعات المجتمع المختلفة فيما يتعلق بتكافؤ الفرص وتحقيق الفرص التعليمية المتكافئة لكل الافراد من بنين وبنات ومن صغار وكبار.

٧- كما يجب الا يبدأ تنفيذ الاستراتيجية من فراغ ولكن يجب ان تضع الاستراتيجية فى اعتبارها الاول واقع كل قطر الذى يجب ان تتحرك من عنده وصولا الى امل فى المستقبل ومن اجل هذا لابد من تحديد القوى الايجابية والسلبية فى هذا الواقع واعادة

تنظيمها وتحويلها لتكون فى خدمة الاستراتيجية .

٨- ويجب كذلك أن لا تعنى الاستراتيجية مجرد صدور قرارات عدة وانما معناها هو "وضع اطار بسياسات تربوية محددة واضحة المعالم بشرط ان يكون جميعها متزنة ومتناسقة ومتجهة فى الاتجاه الصحيح وفى ظروف زمنية مناسبة .

٩- يجب وضع خطة شاملة للتعليم بحيث تمتد الى النشاط التعليمى خارج المدرسة اسوة بالتعليم داخل المدرسة وبحيث تكون جزءا لا يتجزأ فى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع .

١٠- يجب مراجعة كثير من المفاهيم والتقاليد والاساليب التى طغت على التعليم وكذلك وضع البرامج الاصلاحية فى التربية ويلزم ذلك النوعية الكاملة ، واجراء بعض البحوث والتجارب التى توضح امكان تنفيذها وتخلق الايمان بجدواها واعداد المعلمين الصالحين لها .

١١- ويجب ايضا مراجعة اهداف التعليم واعادة النظر فى المناهج وتوفير الكتب الجيدة وتطوير طرق التدريس ونظم الامتحانات والتخفيف من حدة الاهدار .

١٢ـ يجب اعداء اهمية للبحوث وتطبيقاتها العملية والا نعتبرهـا اعمالا هامشية بل عملية ضرورية لازمة لرسم السياسة التعليميـة المبتكرة والمتجددة وخاصة اذا ارتبط بالبحث والتجريب •

التخطيط للتعليم في الدول العربية :

لقد صحبت النهضة الحديثة فى ارجاء الوطن العربى حركـة نشر التعليم التى ما لبثت ان غزت البلاد فى صورة مدارس ومراكـز ومعاهد وجامعات وبعثات واعادات واصبحت الامال معلقة علـى ان التعليم سيكون اداة فعالة فى الاصلاح والبناء وانه بما يبثه فى نفوس المتعلمين من العلم والمعرفة والمهارة سيؤدى الى تنويرهم بحيـث يجعلهم قادرين على النهوض بشئونهم وشئون مجتمعهم • الا انه لا يفوتنا ان نؤكد ان الملاحظات ما لبثت ان وجهت الى هذا التعلـيم وادرك الكثيرون من المسئولين والمصلحين انه بصورته الحالية لا يحقق الاهداف المعقودة عليه فى التطوير المعاصر فهو من جهة لا يفيـد سكان البلاد فائدة ملموسة فى شئون معاشهم واحتياجاتهم ومشكلاتهم كما انه من جهة اخرى كان مصطبغا بالصبغة النظرية المجردة ومـن

جهة ثالثة كان يتصف بالانعزال عن المجتمع وكان من البديهي ان يتجه الافكار الى ايجاد نوع من التعليم يلائم حياة البلاد ويؤدى رسالة النهوض والرقى والاصلاح فيها تحقيقا لحق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعدادة مواهبه ، فالعلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها وهو القادر على تجديد ثبات العمل الوطنى واضافة افكار جديدة اليه كل يوم وعناصر رائدة جديدة فى ميادينه المختلفه .

فنحن نريد نوعا من التعليم يتركز فى اعداد مواطن عربى متحرر متكامل الشخصية وتوفير طاقات بشرية وفكرية قوية واعية بناءة تؤمن بالله والوطن والعروبة والانسانية وتعمل فى قوة وتماسك على تدعيم بناء مجتمع العدالة الاجتماعية والتكامل الاجتماعى المتحرر فى الاستغلال بمختلف اشكاله يهدف الى اسعاد الشعب على اساس من تكافؤ الفرص.

ان اعداد الاطفال والشباب والكبار والمبعوثين للحياة العملية فى مجتمعنا المتطور يستلزم استمرار تطوير مؤسساتنا التعليمية

نشاطها نحو الانتاج واحترام العمل اليدوى وتقوية الروابط بينها وبين البيئة ومشكلات وتطلعات المجتمعات الناهضة •

وقد اثبتت فى كثير من دول العالم ان التقدم والتغير الاجتماعى مهما توافرت له الامكانيات الاقتصادية والمادية فانه لا يمكن ان يتم بشكل من الاشكال دون تغير مصاحب فى نفوس المنتفعين بالاصلاح والتطور • فالاصلاح يتم اولا فى العقول حتى يصبح تلقائيا وبمعنى آخر اننا اذا زودنا القرى والمدن بالكهرباء وبنينا المنازل الصحية لجميع السكان واقمنا الكبارى والطرق والسدود ، ونشرنا الجمعيات التعاونية ،فان ذلك يضيع سدى اذا لم يصاحبه فهم وتعليم وتدريب وممارسة لهذه الاشياء الجديدة ، بقصد اكساب الفرد مهاراته الضرورية والمفاهيم والاتجاهات السليمة فى كيفية حسن استخدام تلك الاتجاهات والامكانيات ، فالمسألة فى واقع الامر تدور حول الهدف فى التعليم وقوة هذا التعليم والطاقة الكامنة فيه حتى تتكون العقيدة او الايمان ويحدث التغيير فى النفوس وتتربى ارادة الاصلاح المنشود

وتشير كثير من البحوث الحديثة فى التعليم فى دول كثيرة الى انه عملية تفاعل مستمر بين الفرد المتعلم وبيئته المادية والاجتماعية

وان التعليم الحق هو الذى يكون وثيق الصلة بحياة السكان ومشكلاتهم وحاجاتهم وآمالهم وان الهدف الاول للتعليم هو تطوير المجتمع والنهوض به الى مستوى تكنولوجى واقتصادى وعلمى واجتماعى وثقافى افضل وعلى هذا يتحدد اسلوب التعليم فيكون عن طريق التعليم بالعمل والنشاط والانتاج ومواجهة المشكلات اليومية والبعيدة المدى مواجهة صريحة اى بالخبرة الواقعية المباشرة ٠

وتؤكد هذه الابحاث ايضا لانه لامكان الان للتعليم النظرى الشكلى المنعزل عن الحياة ومشكلاتها وان الطاقة الكامنة فى التعليم لو استخدمت الى اقصى حدودها فانها قادرة على احداث تطور متلاحق وتغيير اجتماعى ملحوظ نحو التقدم والرفاهية ويستدعى ذلك ان يبنى التعليم على الدراسة المقرونة بالعمل والنشاط والانتاج والتطلع الى مستقبل افضل ، وبذلك تنمو نزعة الاصلاح بين المتعلمين انفسهم وبغير التغيير الذى ينبع من الداخل لا يكون للتقدم والاصلاح صدى فى النفوس وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وقال عمر امير المؤمنين " ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة " ٠

وبصورة اخرى اصبح للتعليم مفهوما جديدا يتمشى مع احتياجات المجتمع المعاصر وانتقل الميزان من جعل الفرد مركزا للعملية التعليمية وهدفا لها الى جعل الجماعة والتراث الاجتماعى والنهوض به مركزا وهدفا لها فغاية الجماعة هى تحقيق التقدم الاجتماعى ومعنى هذا فى مجتمع العدالة الاجتماعية هو زيادة الموارد المادية والفكرية وتحسين النظام الاجتماعى بحيث تؤدى جميعها الى ارضاء حاجات الفرد . ومثل هذا التقدم لا يمكن الا نتيجة للنشاط الاجمعى الذى يقوم به الافراد ومن ثم فكفاية الفرد القيام بهذا النشاط الجمعى هى الغاية فى التعليم فلم تعد العملية التعليمية فى عصرنا الحاضر عملية اكساب الجسم والروح اقصى ما يستطيعان بلوغه من الكمال او تحقيق السعادة عن طريق الفضيلة الخالصة او تحقيق العقل السليم فى الجسم السليم او تحقيق فردية الانسان كما نادى بذلك مفكرون قدماء وانما اصبح للتعليم معنى جديد فهو " عملية ترمى الى تكييف الفرد لبيئته الطبيعية والعقلية والخلقية " وهى جهد مقصود يرمى الى تحقيق استمرار الخبرات المشتركة والنهوض بها .

وهى تنظيم خبرات الفرد واكسابها قيمة اجتماعية عن طريق زيادة

كفايته كفرد وهى الجهود التى بواسطتها تغرس جماعة ما اغراضـــها وقدرتها المكتسبة بقصد ضمان استمرار وجودها وتحقيق نموها فـــى ظل مبادئ الحرية والانتاج ، فالهدف من التعليم هو تعديل السلوك والتغيير والتطوير والتقدم الاجتماعى ولكى يكون التغيير مؤديا الـــى تقدم ينبغى ان تهتم المدارس والجامعات والمراكز والمعاهد ومراكـــز التدريب فى الريف والحضر وبين النساء والرجال بزيادة اســـتغـــلال الموارد الطبيعية وتحسين العلاقات الانسانية بين افراد المجتمـــع ولا يتأتى هذا الا بوضع الخطط والجهد المقصود والربط بين الاسباب والنتائج وعلى هذا فالمدارس والجامعات ومراكز التدريب والبعثـــات فى ظل مجتمع متطور متجدد لا تقتصر وظيفتها على نشـــر الـــتراث الاجتماعى والثقافى العربى رغم اصالته وعراقته بل تساعد المتعلمـــين والاهالى على نقده ومعرفة المشكلات التى تعترضه ومعرفة اوجـــه حـــل تلك المشكلات فالنقد رسالة تقتضى امانة القول والبعد عـــن الاهـــواء الشخصية ويقتضى قيام مؤسسات التعليم على اختلاف مراحلها وانواعها ومستوياتها ببناء المجتمع المحلى والوطنى والعربى وتوجيهه وتطويـــره واصلاحه ان يستند كله على ثقافة ودراسة وتحضير واعتماد على حقـــائق تستخلص منها مقترحات تصلح اساسا للتعليم للتنفيذ .

وبناء على ما تقدم نجد ان من الضرورى ان تنبثق مناهج
المؤسسات التعليمية وبرامجها وخططها سواء كانت مدارس او مراكز
للتدريب المهنى الزراعى والتجارى والصناعى وكليات للتربية ومعاهد
لاعداد المعلمين او مراكز اجتماعية او لتنمية المجتمع او وحدات زراعية
او صحية او بيطرية او مؤسسات للتكنولوجيا الهندسية والطب
والانسانيات وللفنون والاداب او تنظيمات او جمعيات علمية وفنية
او مراكز للعبادة والارشاد والتثقيف ان تنبثق البرامج والخطط والمناهج
الخاصة بها من تشخيص علمى شامل لمشكلات المجتمع وصحية كانت ام
ثقافية ام اجتماعية فالتعليم الحق الجاد له دور فى الارتفاع بمتوسط
دخل الفرد والمجتمع وفى زيادة الانتاج القومى والادخار وان تتحول
القدرات التعليمية تدريجيا الى وحدات انتاجية بما فيها من مزارع
وورش وحاسبات الكترونية وتحسين اوجه الخدمات المختلفة ، كما ان
للتعليم الجاد دور فى التعليمات الكانية والهجرة والتركيب السكانى
والحراك الاجتماعى ومعدلات المواليد والوفيات وله دور ايضا فى
العمليات المتعلقة بمكافحة الخزعبلات والعادات الدخيلة على الدين
والمجتمع والتى لها سيطرة على عقول جماهير عريضة فى ارجاء الوطن
العربى كالخوف من العين الشريرة ووضع الاحجبة والتمائم وممارسة

الزوار والايمان بالبخت والقطير والتواكل وزيارة الاضرحة والمقابر •

بعبارة اخرى فان التعليم لابد وان يكافح هذا النوع من التفكير الغيبي السحري وتثبيت العادات التى تعيق نمو المجتمع ومحاربه وما يعوق تقدمه • والتعليم هو الذى يمكنه بحق ان يحيى تاريخ العرب وامجادهم بحيث يستمد المواطن العربي صالح الحضارة قوة من تاريخ وامجاد اجداده تعينه على مواجهة المشكلات الحاضرة والتطلع الى مستقبل افضل وليس ذلك ببعيد علينا فأمامنا امثلة لدول نجحت نجاحا باهرا مثل الدول الاسكندنافية " السويد - النرويج - الدانمرك " التى تسمى بدول الرفاهية ، وامامنا التجربة اليابانية والتجربة الالمانية بعد التخريب الشامل الذى الم بها فى اعقاب الحرب العالمية الاخيرة •

كل هذه التجارب فى التغيير الاجتماعى تشير اشارة واضحة الى استنادها على نظام تعليمى محكم ومخطط ومحدد الاهداف والمعالم وتم فيه تعبئة القوى البشرية والمادية والمعنوية والروحية لوثبة كبرى نقلت هذه المجتمعات الى مراكز الصدارة •

وقد اعتمدت هذه المجتمعات فى نجاحها على احياء الشعور الوطنى والتراث القومى وتنمية عقلية وادارة الاصلاح بين السكان وتثقيفهم وتهذيبهم وانضباطهم واثارة الرغبة فى نفوس الشباب للاهتمام بمشاكل الحياة الرئيسية والتزود بالمعرفة وحب العمل المنتج واعداد افراد الشعب اعدادا كاملا وشاملا لتحمل مسئوليات بناء انفسهم وتبصيرهم بواجباتهم وحقوقهم .

لماذا هذه الثنائيات فى التربية العربية ؟ :

التربية فريضة اسلامية : -

ان محاولة انكار وجود المناهج التربوية فى الاسلام ليست عملية خاطئة فحسب ، وليست مخالفة للواقع وحده ، ولكنها مخالفة للمنطق والعقل والمناهج التربوية نفسها والامر يمكن ان يتضح ببساطة اذا وقفنا الى عند تحديد معنى التربية والتعليم كما هما اليوم لدى رجالها ثم فهمنا الاسلام كدين ولماذا تنزل ؟

يقول " وليم هيرد كليا ترك " اننا نتعلم ما نعيشه ثم نعيش تبعا

لما تعلمناه وان التربية من جهة تستهدف مساعدة كل متعلم على ان يبنى احسن وارضخ شخصية يستطيعها ، ومن جهة اخرى تستهدف التربية تدعيم التدنية والنهوض بها وهذان الفرضان مرتبطان وكل منهما ضرورى للاخر كما ان كل منهما يساعد الاخر على ان يتحقق تحقيقا متزايدا ٠

ويقول " جون ديوى " فى تعريفه للتربية انها " اعادة تكوين الخبرة باعطائها مزيدا من القيمة الاجتماعية عن طريق مزيد من الكفاية الشخصية " ويقول المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش : " التربية هى اعداد الشخص وتمكينه من القيام باعماله وتأدية وظائفه وما يطلب منه اداؤه على الوجه الذى ينبغى من الحذق والمهارة والاتقان مع السرعة فى انجازه وليست التربية الا وسيلة لتثقيف العقل وتقويمه حتى يمكنه ان يتنبه الى المعلومات فيزنها بميزان الاعتبار ، ويدقق فيها حتى لا تخفى عليه دقائقها كما انه لا يستطيع ان يصرف قواه فى وظائفها على اكمل وجه ٠ وعلى هذا تكون التربية الحقه هى التى توصل الانسان الى الكمال المستطاع ٠

اذا اتفقنا على هذه التعاريف وسلمنا بصحتها وجدنا ان

المصادر الاسلامية فاننا سنجد مناهج تربوية اسلامية غوق ما يراد من التربية والتعلم فى العصر الحديث او ما يحاول التربويون تحديده.

فالقرآن الكريم جاء بمنهج علمى دقيق كما جاء بمنهج تربوى خاص.

ولقد جاء الاسلام ليوضح للناس العلاقة بينهم وبين خالقهم وامرهم بعبادة الله وحده وجاءهم ايضا متضمنا من التعاليم والاوامر والنواهى وما يكفل لهم صنع الحياة القويمة ويؤدى بهم الى اقامة المجتمع الامثل. ويحدد لهم طرق التعامل وافضل الجوانب السلوكية فكان لابد لهم ان يكون له منهجه الواضح المفهوم لتعليم اتباعه وتربيتهم بحيث يكونوا قادرين على حمل رسالتهم فى الحياة والقيام بحق طاعة خالقهم.

الله المعلم الاعظم :

ويكفى لاثبات وجود المنهج الخاص بالتعليم والتربية فى القرآن ان اول آيات انزلت كانت " اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان

من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علمبالقلم علم الانسان ما لم يعلم "

فالله تبارك وتعالى يصف نفسه بأنه معلم يعلم رسوله كما علم البشر جميعهم ، واوجد فى كل منهم ملكات . واعطى كل منهم من القدرات ما شاء سبحانه . ولو انه علم عباده ما تعلموا وبقدرته وحده يعلم نبيه القراءة عندما شاء له ذلك. ويقول الامام محمد عبده مفسرا لهذه الايات :

" هل يستغرب من هذا المعلم الذى ابدأ العلم للانسان ولم يكن سبق له علم بالمرة . ان يعلمك القراءة وعندك كثير من العلوم سواها ونفسك مستعدة بها لقبول غيرها ".

ثم انه لا يوجد بيان ابرع ، ولا دليل اقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع انواعه ، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحى بهذه الايات الباهرات.

واذا كان القرآن الكريم قد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته فى كثير من المواضع وتولت الايات القرآنية كيفية الاخلاق عندما بلغت اقصى درجات السمو والكمال الانسانى بعد تخلقها

بأخلاق السماء وتأثرها بالتربية الدينية ، فاننا يمكن ان ندرك اى انواع المناهج التربوية قد جاء القرآن الكريم بها . يقول الله تعالى " وانك لعلى خلق عظيم " ويقول الرسول : " ادبنى ربى فأحسن تأديبى " .

ويقول الله تعالى : " محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا " .

ويمكننا ان نجد المنهج الاسلامى فى السيرة العطرة كما وجدناه فى المدرسة المحمدية عند الرعيل الاول من المسلمين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عليهم كانوا قدما صبغهم الاسلام صبغة جديدة ، حتى انقطعت الصلة بينهم جاهليين وبينهم مسلمين . كالذى ترى فى سيره ابى بكر وعمر وكثير من الصحابة ورع وزهد وتواضع والتزام شديد لاوامر الدين ، وحياة لا تستطيع ان ترى فيها مأخذا جاهليا ينافى الاسلام ، وتجد فى خطبهم وكتبهم واقوالهم اثر الاسلام بينا حتى كأنهم خلقوا فى الاسلام خلقا جديدا .

الصحابة ومدارسهم :

ان الصحابة كانوا اكثر المسلمين علما ومعرفة وكان منهم من تخصص فى الفقه ومنهم من تخصص فى الحديث او التفسير او امتاز بالعقل القضائى او معرفة الانساب وايام العرب · اى انه كان بين الصحابة حركة علمية وهؤلاء العلماء وامثالهم من الصحابة تفرقوا فى الاقطار الاسلامية وفى جميع انحائها وان شئت نقل وزعوا على الانصار قصدا الى تعليمها فعل ذلك رسول الله عليه السلام فى مدن جزيرة العرب فأرسل الى اليمن والبحرين والى مكة بعد فتحها وكذلك فعل عمر بن الخطاب عند ما اتسعت الفتوح وكثرت الانصار·

هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الامصار انشأوا حركة علمية فى كل مصر نزلوه ، وكونوا مدارس وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم ، فتخرج عليهم التابعون ثم تابعوهم·

المسلمون والتأليف التربوى :

لقد عرف المسلمون المناهج التربوية عند ما جاءهم القرآن الكريم بأكمل مناهج التربية والتعليم وعند ما جاءهم الرسول باذن ربهم

هاديا ومرشدا ومعلما يعلمهم امور دينهم ودنياهم ويربيهم بما يصلحهم وعرف المسلمون فى مجالات التفكير المختلفة مناهج التربية والتعليم وكان منهم المعلمون والمربيون وتراثهم حافل بالتأليف التربوى والتأليف فـــى مجال التعليم كمؤلفات مستقلة او كأجزاء من الكتب التى الفوها فـــى هذا الفرع لو ذاك من العلوم التى تناولوها وكان هدفهم من التعـــليم دائما معرفة الدين علما وعملا والقيام بحق الله عليهم قولا وسلوكا .

كانت لهم جهود هم فى التربية والتعليم ممارسة وتأليفا فالمسلمـــون لم يتخلفوا عن غيرهم فى ميدان هذا البحث فقد كتب فى التعليم ائمتهم ومنكروهم منذ القرون الاولى وكانت لهم انظار لم يخلق تطاول الزمـــــن جدتها على ان كثيرا من مؤلفات قدامى ضاع فيما ضاع من آثار الســـلف الصالح وكثيرا من المؤلفات القدامى ظل متواريا عن الانظار فى زوايـــا دار الكتب بين اكداس المخطوطات لا يهتدى الى مكانه الا المولهـــون بالبحث والدراسة .

ما المطلوب اليوم منـــا :

نخلص من ذلك كله الى ان الاسلام له مناهجه الخاصة بـــه فـــى

كافة شئون الحياة لانه جاء ينظمها كما اراد الله ، وكما بين لنـــا الله سبحانه وتعالى انه الافضل والاكمل . وتخلص منه ايضا الـــى القول بان للاسلام مناهجه الخاصة فى مجال التربية والتعـــليم وان هناك حاجة ماسة الى العودة لما لدينا فى ذلك المجال .

والطريق الى العودة يبدأ بالقرآن الكريم علينا ان نعود لهذا الكتاب الكريم الذى يجب ان يحكم كل شئون حياتنا وان نأخذ منه كل امورنا نعود الى القرآن الكريم لنكشف المنهج التربوى فيه ونتعـــلم منهم المنهج الامثل للتعليم . ما هو التعليم الافضل وما هى الشروط التى يجب توافرها فى المعلم ؟ كيف يعرف المعلم الواجب المطلوب منه ؟ ثم كيف يؤدى هذا الواجب مطلوب منه ايضا ان يعود الى تراثنا قبل ان نغرق فى فكر غيرنا وان نأخذ كل فكر وافد بنظرة نقدية نستطيع ان نميز الغث من الثمين ، ونفرق الحق من الباطل ونختار ما يفيد ، ونتنبذ ما لا يفيد .

مطلوب ان نعود الى تراثنا لنحقق منه ما لا يحقق ونصحح منــــه ما دخلت الاخطاء فيه او دست عليه ثم نعيد نشره فى صورة علميـــة

صحيحة تمكن الدارسين من الانتفاع به والاستفادة منه .

مطلوب ايضا ان تتغير مناهج التربية والتعليم فى جامعاتنـــا ومدارسنـــا ، ما لا يبقى منها الا ما هو اساس الاسلوب والنزعـــة والعطاء ، وبحيث لا تكون هناك ازدواجية بين ما يدرس وما يعيشـــه الناس وبحيث تتحول التربية الى عمل تربوى صحيح فتكون سلوكا وليس شعارا او معلومات تلتقى ، لا يجد الطلاب فيها ميزة ولا يلمسون لدى من نقلوا اليهم ما يعكس ذلك فى سلوكهم .

مطلوب ان لا تكون التربية قاصرة على المدرسين والمربين ولكن على كل قيادات المجتمع واجهزة التثقيف والاعلام فيه بحيث لا تهدم الاجهزة الاخرى ما تبنيه المدارس وبحيث لا يمحى الاعلاميون ما يقدمه المعلمون او رجال التعليم والتربية .

الاسلام دين متكامل ولايمكن ان يؤخذ مجزءا بل لابد من ان يؤخذ الدين كله ولايمكن ان تنجح عملية تربوية ما لم يقتنع الناس بها والامـر لا يتحقق الا فى ظل وجود القوة الاسلامية الصحيحة والصالحة وبهذا يمكن ان تصل الى نتائج مفيدة وان نحقق عائدا طيبا للعملية التربوية يزدهر به العلم فى بلادنا وتزدهر معه التربية كما يتقدم التعليم .

الفصل الرابع

مفهوم الطبيعة الانسانية

- الفلسفة المثالية
- الفلسفة الطبيعية (الواقعية)
- الفلسفة البراجماتية
- نظرة الاسلام الى الطبيعة الانسانية

مفهوم الطبيعة الانسانية

مقدمـــة :

النظرة الى الحياة فى المجتمع ودور الانسان فيه له أهمية خاصة فـــى التربية وفى عملية التعلم . وقد تعددت آراء واتجاهات الفلاسفة فى مفهوم الطبيعة الانسانية وشخصية الانسان الآخر الذى يدفعنا الى أهمية دراسة تطور الاراء والنظريات الفلسفية القديمة حتى وصلت الى ما وصلت اليه النظرة الحديثة فى الطبيعة الانسانية .

ومفهوم الطبيعة الانسانية على وجه العموم يقوم على النظريات الفلسفـــية المختلفة التى تهتم بدراسة الانسان وطبيعة الكون والمجتمع وغيرها من الامور المتعلقة بهذا المجال .

ويوجد فى مجال مفهوم الطبيعة الانسانية اتجاهات كثيرة وفلسفات عديدة فى أزمنة مختلفة ولكنها على كل حال اهتمت كلها بأهمية الفرد ونموه والعوامـــل المختلفة التى تحدد طبيعة الانسانية وترسم معالم شخصيته .

وتعددت المدارس والفلسفات فى مفهوم الطبيعة الانسانية واصبحت كـــل فلسفة تمثل مدرسة فى حد ذاتها من هذه المدارس : المثالية والطبيعيـــة والبراجمانية وسوف نناقش فيما يلى كل فلسفة من هذه الفلسفات واهميتـــها وتأثيرها على الفكر التربوى .

أولا : الفلسفة المثالية

تعرف المثالية على أنها : دراسة للاهداف الاخلاقية السامية والواقع المطلق وطبيعية وتشمل أحيانا كامنة الاراء التى تجعل أساس الكون روحيا فى نهاية الامر . والمثالية فى تأكيدها على العالم الروحى فانها لاتنكر العالم المادى ولا الموضوعات التى يتم التوصل اليها عن طريق العلم الطبيعى والحواس . فهى ترى أن هذه الاشياء الواقعية وراءها شئ روحى مجهول

وتحاول المثالية أن تربط بين الطفل والروح . كما تحاول أن تهذب الروح . لانها ترتبط بالواقعية . وترى أن الطبيعية ليست مادة روحية .

ونظرا لأن أراء افلاطون وفلسفته تعبير هى الدعامة الانسانية للفلسفة المثالية فاننا سوف نتناول فيما يلى نظرية افلاطون فى الطبيعة الانسانية

أفلاطون

(٤٢٧-٣٤٧ ق . م)

مولده ونشأته :

يعتبر أفلاطون هو مؤسس النظرية المثالية وفلسفتها وهو من أشهر المفكرين والفلاسفة فى الحضارة اليونانية بوجه خاص وفى تاريخ الفكر الانسانى بوجه عام ولد فى أثينا وهو ابن ارسطون الذى يرجع نسبه أسرته الى آخر ملوك أثينا

اما أمة فترجع الى سولون المشرع العظيم ، وبذلك نرى أن افلاطون شـريـف النسب كريم المنحدر ، يحتقر الجماهير وينقض الصناع ورجال المهن المختلفة ويميل الى طبقة النبلاء ، أى ان نشأته كانت طبيعية .

وتعلم أفلاطون فى بداية حياته الموسيقى والالعاب الرياضية عن أشهـر المعلمين فى ذلك العصر وتعلم الشعر كذلك وحاول أن يتصل بسقراط ولكنه ابتعد عنه عندما علم أن سقراط يذم الشعر .

وعندما بلغ افلاطون سن العشرين اتصل بسقراط مرة أخرى وتتلمذ على يديه لمدة ثمان سنوات كان فيها من المقربين لديه فسمع مناقشاته ودون الكثير من آرائه .

وفى نهايه القرن الخامس قبل الميلاد انتهى أجل استاذه سقراط وسيق الى المحاكمة وحكم عليه بالسجن والاعدام ، فحزن عليه افلاطون حزنا عميقا ودافع عن آرائه واشتد سخطه على اثينا وعلى النظام الديمقراطى السائد وهاجر مع من هاجر من تلاميذ سقراط من آثينا الى ايطاليا وصقليه وليبيا ومصر فى رحلة دامت ثلاثه عشر سنة وفى صقلية أقام ببلاط الملك ديونيسيوس الذى غضب منه عندما سمع بآرائه فلسفته وأمر ببيعه فى سوق الرقيق فاشتراه احد محبى الفلسفة .

ويعود افلاطون الى آثينا مره أخرى بعد ان كانت قد نسيت سقراط وتلاميذه ليؤسس مدرسته التى أسماها "بالاكاديمية" وراح يعلم فيها الناس على طريقة استاذه واصطفى من بين تلاميذه ثمانية وعشرين كان يذهب بهم فى بعض الاحيان الى منزله ، ومن اشهر تلاميذه أرسطو وأكسينو قراطيس

وكان افلاطون يعلم تلاميذه عن طريق الحوار والمناقشة ، وكرس حياته لنشر تعاليمه حتى توفى عام ٣٤٧ ق م بعد أن عاش احدى وثمانية سنه .

الظروف الاجتماعية والسياسية التي أثرت في فلسفته

لكي نستطيع أن نفهم آراء افلاطون التربوية والقضايا التي اشار اليها وما تناولته من فكر فلسفي فانه يجب دراسة الظروف الاجتماعية والسياسية للعصر الذي عاشفيه وأهم مايميز هذا العصر من احداث كان لها اكبر الاثر في فلسفة أفلاطون تلك الحرب الطويلة التي كانت قائمة بين آتينا واسبارطة والتي عرفت في التاريخ اليوناني باسم حرب (البيلوبونيز) والتي استمرت حوالي ٣٥ عام (٤٣٨ ــ ٤٠٤ ق٠م) ٠

وقد تمخضت هذه الحرب عن هزيمة آتينا وطن أفلاطون مما أدى الى اضطراب الاحوال داخل المجتمع الاتيني ٠ واثارت هذه النتيجة عدة تساؤلات لدى افلاطون استطاع ان يجيب عليها من خلال كتابه " الجمهورية " الذى يمثل الكثير من الاراء والافكار الفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

وما شملة هذا الكتاب من افكار ومبادئ كان رد فعل لما أصاب آتينا من هزائم وانحلال حيث انتقد افلاطون نمط الحياة الاتيني السائد في الوقت الذي كان يمجد فيه نمط الحياه الاسبرطي ٠ وكان يدعوا الى احداث نوع من التغير على مجتمعة لتغير من نمط الحياه في اسبارطة وينقسم كتاب الجمهورية الى عشر اجزاء تناولت الاجزاء السبقة الاولى منها مفهوم العدالة وكيفية تحقيقها داخل المجتمع أما الجزء الثامن والتاسع فقد شملا أنواع المجتمعات والحكومات المختلفة ٠ وفي الجزء العاشر تكلم افلاطون عن الفلسفة واعتبرها الوسيلة الوحيدة التي توصل الى المعرفة والحكمة واسباب أختيار الفلاسفة ليكونوا احكاما وقادة للشعب ٠

نظرية أفلاطون الى الطبيعة الانسانية :

لقد نظر أفلاطون الى الطبيعة الانسانية نظرة ثنائية حيث يرى انه تنقسم الى جسم وعقل وفصل عنهما . فالانسان له جسم له حدود مكانيه أما العقل فليست له حدود وهو أقرب الى الروح من اى شئ آخر .

وقسم أفلاطون العالم تقسيما يقابل الثنائى للانسان . فالعالم عالمان عالم علوى سماوى يحوى المثل العليا من الحق والخير والجمال وتوجد فيه الحقيقة المطلقة ويروى العدل المطلق . وعالم أرضى واقعى . وهو ذلك العالم الذى نعيش فيه ونمارس فيه حواسنا اى العالم الواقعى والعملى .

الانسان = جسم + عقل (روح)

العالم = عالم + + عالم سماوى

وقد تبنى أفلاطون على هذه الثنائية نظريته فى التعلم حيث بدأها بالتساؤل مع نفسه كيف تدخل الافكار الجديدة العقل ؟ هل الفضيلة هبه الله ؟ أم أنها نوع يكتسب عن طريق التربيه ؟ ما هو الميدان الذى يحكم أن يبحث فيه الانسان عن الفضيلة ؟

وللاجابة على مثل هذه التساولات كان أمام أفلاطون جانبين الاول هو جانب الداخلى الموروث حيث والجانب الثانى . وهو الجانب الخارجى المكتسب . واتجه الى الجانب الاسهل وهو الجانب الوراثى حيث يرى أن التعلم هو تنمية القدرات الكامنة من الداخل .

ونتساول مرة اخرى : كيف يصل الانسان الى الافكار والحقائق ؟ اين يجدها وما وسيلة الى ذلك ؟

ولكى يجيب أفلاطون على هذه التساؤلات فانه يرى ان الروح كانت توجد فى العالم السماوى قبل اتصالها بالجسم ، كانت تعرف الفضائل والمثل العليا والحقائق والاخلاق ، وعند ولادة الانسان فانها تنزل عالمها السماوى ، عالم الحق والخير والجمال لتنزل الى العالم الواقعى وتدخل الجسم ونتيجة لانتقال الروح من هذا العالم السماوى الى العالم الارض ونتيجة دخولها الجسم فانها تنس كل ماكانت تعرفه من حقائق ومثل عليا وفضائل وأخلاق وما التعلم الا تذكر الروح لما كانت تعرفه فى عالمها السماوى والعقل هو وسيلة الروح لذلك .

وحيث أن العالم السماوى أسمى من العالم الواقعى وأن الروح متصلة بالعالم السماوى والجسم متصل بالعالم الارضى فانه الروح أسمى من الجسم اى ان العقل اسمى من الجسم ولكى تتصل هذه الروح بعالمها السماوى مرة أخرى فانه يجب ان تقهر الجسم وتحد من شهواته ، وترتب على ذلك أن كانت العلوم النظرية التى ترتبط بالعقل اسمى وأعلى من العلوم العملية التى تتصل بالجسم ، وظلت هذه النظرة سائدة فى العصور الحديثة فى مجتمعاتنا الحاضرة حتى عهد قريب .

والتلميذ وفق هذه الفلسفة كائن روحى غايته التعبير عن طبيعته الخاصة ، ومهمة التربية حينئذ ان تساعده على المدرسة ان تعلمه احترام الروحية واحترام الاخرين وذلك كله وفق الشخصية الانسانية وبحيث لاتودى الى نمو الشخصية الزائفة .

وطريقة التدريس وفق هذه الفلسفة تعتمد على ان المعرفة تنتزع من الطالب لا ان تسكب منه ولذلك فالمدارس من وجهة هذه النظرية له أهمية كبيرة .

ويقسم أفلاطون النفس البشرية الى ثلاثة انواع من القوى :

- قوة العقل أو التفكير وموضعها الرأس والمعرفة التى يودها العقل هى الحكمة وهى معرفة طبيعية الخير والطرائق السليمة للحياة الصالحة للمجتمع والفرد ، والروح تنفذ ماية رب العقل ويوافق عليه .

- قوة الغضب ، وموضعها الصدر ، ويقصد بها قوة الارادة ووظيفتها خدمة قوة العقل .

- قوة الشهوة ، وموضعها البطن ، وهى مرتبطة بقطائف الجسمنية .

وفى مقابل هذا التقسيم للنفس قسم أفلاطون المجتمع الينا الى ثلاث طبقات

- طبقة الاشراف : وهم اكمكا الفلسفة المسئولون على التفكير فى شئون المجتمع والقائمون بالوظائف العليا المختلفة فهولاء الامراء يعملون بعقولهم وليس نايو لهم .

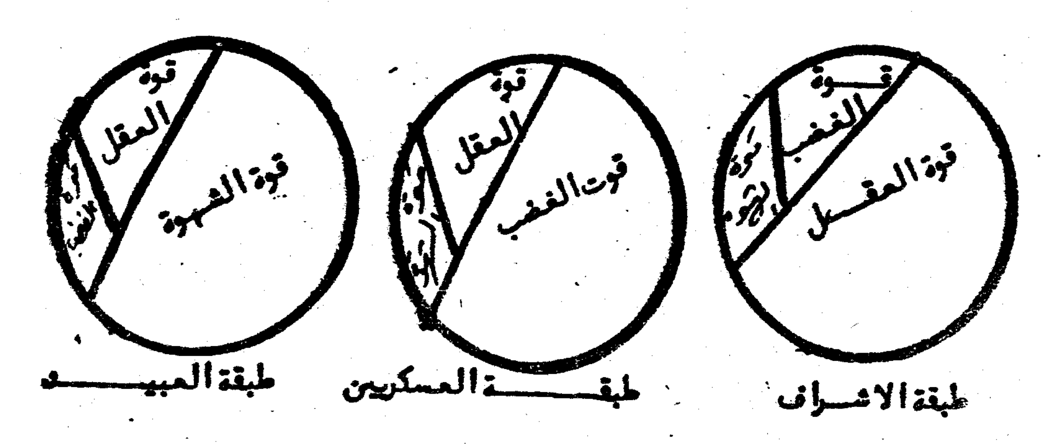
- طبقة العسكريين : وهم الافراد الذين يدافعون عن الدولة من الخارج والداخل ويحفظ ون الامن والاستقرار فى داخل المجتمع .

- طبقة العبيد : وهم العمال والصناع والتجار والمزارعون ، الذين يقومون بالإعمال اليدوية لانتاج السلع المختلفة التى يستعيد منها افراد الطبقتين الاخرتين .

ويرى أفلاطون ان قوة النفس المسيطرة على أفراد طبقة الاشراف هى قوة العقل حيث ان عمل هولاء الافراد يحتاج للتفكير والحكمة فى حين ان قوة الغضب هى القوة المسيطرة على أفراد طبقة الحقد حيث ان عمل هولاء الافراد يحتاج الى القوة والشجاعة والطاعة ، أما افراد طبقة طبقة العبيد تكون قوة الشهوة هى المسيطرة على افراد هذه الطبقة فعملهم لا يحتاج الى نوع من التفكير او نوع

من القوة والشجاعة فهولاء الافراد يكونون طبقة اجتماعية تعمل على خدمة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع •

ولا يقصد بذلك ان افراد المجتمع ينقسمون على هذه الانواع الثلاثة للنفس بمعنى انه لايوجد نوع واحد من قوى النفس تتميز به افراد كل طبقة دون النوعين السابقين فالاختلاف بينهم هو اختلاف نسبى ، اى ان كل فرد من افراد المجتمع وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث للنفس توجد به القوى الثلاث للنفس ولكن الاختلاف بين الافراد الطبقات يكون فى اكتسبة التى توجد بها من فرد لاخر ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :



" شكل يبين توزيع قوى النفس على أفراد طبقات المجتمع الثلاث "

من الشكل السابق يتضح :

- القوة المسيطرة على افراد طبقة الاشراف هى قوة العقل مع وجود قوتى الغضب والهوى ولكن حسب مجهله •

ـ القوة المسيطرة على افراد طبقة العسكريين هى قوة الغضب مع وجود قوتى العقل والغضب بنسب قليلة ٠

لقد كان أفلاطون من طبقة الاشراف وكان يهمة بالدرجة الاولى ان يظل الوضع الاجتماعى بنظامة الطبقى سائدا مستقرا دون اى تغيير ذلك هذا الوضع ينبغى على مصالح الافراد وسيطرتهم وعلو شأنهم ٠ فهم الذين يستعملون العقل وغيرهم يستعملو الجسم ، وبذلك حاول الوصول الى الاساس الفلسفى لبقاء هذا النظام والاساس المنطقى لقبولة ٠

فهو كان يعارض بشدة فكرة وكان يدعوا الى الثبات والاستقرار والتغير ونظرة اما تغيرا عرضيا مثل نزول المطر من السماء ، وهبوب الرياح والملابس التى تبلى ، او تغيرا منتظما ويقصد به التغيرات التى ينتظمها نظام معين مثل تعاقب الليل والنهار ، وتتابع فصول السنه وحركة الكواكب ، أما دون ذلك فيجب ان يستمر ويبقى ولا يخضع لاى تغيره

واستطاع أفلاطون فلسفيا تبرير هذا الثبات بما اسماه بنظرتة المثل والتى تنادى بأن هناك حقيقة خالدة ثابتة فى العالم السماوى للعالم الواقعى الارض وان هذه الصوره للعالم المثالى تمثل جوهر الاشياء وحقيقتها ، وعالم الواقع ماهو الا ظلال للصور المثالية وبذلك يكون فى نظرة أفلاطون مضاه الاشياء بالعالم الواقعى المحسوس عن العالم المثالى عالم الحق والخير والجمال ٠

واتخذ أفلاطون من مفهومة للعدالة المجتمع اساسا لتحقيق أهدافة من ثبات المجتمع واستقرارة تكوينة ، وقد تشمل مفهومة للعدالة المجتمع والفرد ، على اساس ان النظرة الى الاكبر تساعد على النظرة الى الاصغر فالمجتمع

يتكون من عدة طبقات لكل طبقة من هذه الطبقات وظيفة معينة خلقت من أجلهـا وقد شبة هذه الطبقات بالمعادن حيث ان افراد طبقة الاشراف يشبهون معدن الذهب . فى حين ان افراد طبقة العسكرين يشبهون معدن الفضة . اما افراد طبقة العبيد فقد شبههم بمعدن الحديد . ويقابل هذا التقسيم تقسيم مماثل للفرد حيث ان الانسان يتكون من رأس . صدر . وبطن . ومفهوم العدالة هو ان تقوم طبقة فى الدولة بما هيئت له وما خلقت له فطريا . اى يقوم كل فرد بالعمل الذى خلق من اجله ولذلك يقوم كل جزء من الانسان بما خلق له . أى تقـــوم الرأس بما خلقت له ويقوم القلب بما خلق له وأيضا يقوم الجسم بما خلق له .

ومن هذه الفكرة وهذا المفهوم للعدالة مبدأ افلاطون فى تثبيت المجتمـــع واستقرارة هادفا الى بقاء هذه الطبقات الاجتماعية مكانها لستيطرا كحد رلها ان تسيطر .

فالعدالة فى نظر افلاطون هى الاحترام بتلك الصورة المثالية للطبيعة البشرية وتنظيم المجتمع وترقية على هذا النحو . فاذا ما تم ذلك اقتضت العدالـــة المحافظة على هذا التنظيم وتحميد اوضاعة وعدم احداث اى تغيير فية .

ومفهوم العدالة على هذا الاساس يؤدى بالفرد الى اقتناعة بوضعة والى . ايمانة بالقضاء والقدر وبذلك لاينظر الى تحسين وضعة ولايتطلع الى مســتقبل افضل . حيث ان قيامة بعملة فى داخل اطار طبقته يؤدى الى نوع من الاتزان والتوافق داخل المجتمع ويؤدى الى تقدم المجتمع ورخائة . وهذه القدرية الاتكالية تؤدى بالفرد ان يظل حبيس طبقتة وسجين عمل واحد له وبالتالى يحفظ الثبات والاستقرار فى المجتمع .

ونجد ان مفهوم العدالة ايضا يقوم على اساس عدالة اللامساواة حيث انها تؤكد مبدأ الفوارق الاجتماعية وضرورة رضاء الفرد عن هذه الفوارق الاجتماعية دون ان يحاول النظر الى اعلى من مهنته او أعلى من طبقته التى ولد فيها

وبناء على ما سبق من تقسيم افلاطون للنفس والمجتمع ومفهومه للتفسير بالعدالة فانه قد وضع نظاما تربويا يتمشى مع هذا كله لتعليم النشء وتربيتهم وتطبيعهم بالطابع الذى يضمن للسلطة الحاكمة استمرار اوضاع المجتمع وثباتها • حيث انه وضع نظاما تربويا لتعليم وتدريب الطبقات الثلاث التى يتقرر نوع تعليمها وبدات فى حفور معدنها وطبيعتها البشرية على النحو التالى

أولا نظام التدريب للمسئولين فى الحكومة :

ونظام التدريب الذى وضعه أفلاطون لهؤلاء الافراد يتكون من خمس مراحل

(١) المرحلة الاولى : (من الميلاد حتى سن السابعة عشر)

وتنقسم هذه المرحلة الى مرحلتين أولهما وهى بمثابة دور للحضانة حيث يربى الاطفال على أيدى اخصائيين بعيدا عن ويكون الاهتمام هنا بالنمو الجسمى • أما خلال القسم الثانى يتعلم الافراد القراءة والكتابة والموسيقى واللغة والادب والرياضيات •

(٢) المرحلة الثانية : (من سن السابعة عشر الى العشرين) :

وفى هذه المرحلة يتلقى الشبان تدريبات عسكرية داخل معسكرات •

(٣) المرحلة الثالثة : (من سن العشرين الى سن الثلاثين)

وتشمل مناهج الدراسة فى هذه المرحلة على العلوم والحساب والهندسة والفلك والموسيقى وفى نهايتها يعقد امتحان • ومن يرسب فى هذا الامتحان يحول الى طبقة الشرطة والجند •

(٤) المرحلة الرابعة : (من سن الثلاثين الى سن الخمسة والثلاثين)

وفى هذه المرحلة يعلم الافراد اسلوب المناقشة والحوار عن العالم وطبيعة الخير اى ان الدراسة تكون مركزة على الفلسفة ومن ينجح فى تلك الدراسة يعين فى المناصب الخاصة بشئون الحكم .

(٥) المرحلة الخامسة : (من سن الخمسة والثلاثين الى سن الخمسين)

فالافراد الذين تم تعينهم فى الناحية الحكومية فى نهاية المرحلة السابقة عند بلوغهم سن الخمسين يتم أختيار الممتازين منهم ليتولوا المناصب الحكومية العليا

ثانيا :- نظام التدريب لاصحاب الادارة :

وهذا النظام من التدريب خاص بطبقة الجند حيث يدرب فيه الاطفال وفق المراحل الثلاث للاولى من نظام التدريب للافراد المسئولين عن الوظائف الحكومية . ثم يمرون بعد ذلك بدراسة عسكرية خاصة تخلق فيهم الشجاعة وتعودهم على تقبل الامر وطاعة اصحاب العقل حتى لايكون هناك اى خطر على الدولة .

ثالثا : نظام التدريب لاصحاب الشهوات :

ويشمل هذا النظام الافراد الذين يعملون فى مختلف مجالات الحياة اى العمال والصناع والتجار والمزارعون . حيث يمرون بنفس النظام التدريبى لافراد والمسئولين عن الوظائف الحكومية فى مرحلتين الاولى والثانية حتى يكونوا خاضعين لطبقة الجند . وكذلك طبقة المفكرين . فهذا سوف يساعدهم فى اتجاهاتهم .

وقد لاقت آراء أفلاطون هذه اهتماما كبيرا فى عصره وانتشرت . وتأثرت بها العصور التى بعده . ولكن عند الحكم عليها بمقاييس هذا العصر

فاننا نجد فيها بعض جوانب القصور والضعف والتى تتلخص فى ٠

(١) لقد كانت آراء أفلاطون التربوية خيالية ومثالية حيث انها كانت تتصور عالما مثاليا غير عالم الواقع والحقيقة ٠

(٢) الثنائية التى نادى بها أفلاطون فيها انفصال واضح للفرد عن بيئته وكذلك انفصالة عن المفاهيم والمثل والعقائد والثقافة والاتجاهات وهى العناصر التى يتعامل بها الفرد مع المجتمع ٠

(٣) الفصل بين العقل والجسم وسمو العقل على الجسم ، حيث ان الجسم هو الذى يعطل عمل العقل ويقف حائلا بينه وبين الاتصال بالعالم السماوى وبالتالى يجب ان يقهر الجسم حتى يعمل يعمل العقل وترتب على ذلك الاعتراف ، بالعقوبات البدنية فى عملية التعليم ٠

(٤) العقل الذى اراد أفلاطون ان يسمو به فوق المستوى الحسى جعلة أداة سلبية ، حيث انه يعرف مايعرفة من قبل خارج نطاق العالم الذى يعيش فيه فهو عامل بالوراثة يرث مايرثه من عالم مثالى دون ان يستعمل امكانيات الحاضرة ودون ان يتصف بصفة بذل الجهود والعمل من أجل اكتساب مالديه من معارف ومبادئ وفضائل وقيم ح ٠

(٥) لقد ترتب على نظرة الناس ونظرة المجتمع الى العقل على أنه أسمى من الجسم ان كانت العلوم المتصلة بالعقل أسمى من العلوم المتصلة بالجسم اى ان العلوم النظرية أسمى من العلوم المتصلة بالجسم اى ان العلوم النظرية اسمى من العلوم العملية ، فالعلوم النظرية والفلسفة والاجتماع مثلا كانت أعلى شأنا وأكبر تقديرا من العلوم التى تحتاج لمهارات جسمية مثل الحدادة والتجارة ٠

وظل هذا المفهوم سارى المفعول فى العصور القديمة ثم الوسطى وفى العصور الحديثة ، حيث يكون الاهتمام بانشاء الكليات النظرية وأقسام الدراسة الادبية وتختلف هذه النظرة من مجتمع لاخر ، بل تختلف فى داخل المجتمع الواحد من فترة زمنية لاخرى ، ففى مصر مثلا كان انشاء الجامعات يبدأ بالكليات النظرية أما الجامعات التى يتم انشائها فى الوقت الحاضر تبدأ بالكليات العلمية

(٦) لقد أدى المذهب الثنائى الى ان تنفصل الشخصية عن السلوك والارادة عن العمل والدافع عن الفعل ، ولم يكن الانسان هو ذلك الكل المتكامل الذى تتفاعل فيه العوامل الوراثية الداخلية مع العوامل البيئية الخارجية تفاعلا مستمرا يؤدى الى كل يكون اكبر من مجموع الاجزاء الداخلة فى التفاعل .

ونتيجة لهذه الانتقادات المتعددة التى وجهت الى النظرية الثنائية للطبيعة الانسانية ظهرت بعض النظريات التى حاولت أن تعدل من هذه النظرية الثنائية وسوف نتناول اثنين من هذه النظريات .

(أ) نظرية الملكات :

حاولت هذه النظرية ان تعدل وتحور فى النظرية الثنائية حيث انها ترى العقل البشرى به قوى أو ملكات مثل ملكة التفكير وملكة التخيير وملكة الغيرة ، وبذلك تكون الطبيعة الانسانية مجموعة من الملكات قد تقتصر على ملكة واحدة تقودها وتسيطر عليها وقد يسيطر عليها ملكتان او اكثر .

وقامت هذه النظرية على أساس أن الملكات فطرية وثابتة ، أما ظروف البيئة فهى التى تتعدل وتتغير ، كما انها جعلت هناك تشابها بين ملكات الانسان وملكات الحيوانات الدنيا .

وتكون وظيفة التربية طبقا لهذه النظرية تدريب ملكات الانسان ، كل على

حدة عن طريق استغلال مايتوافر فى البيئة الخارجية من امكانات تساعد على تدريب هذه الملكات .

وهناك بعض الانتقادات التى وجهت الى هذه النظرية من بينها .

- المنهج الدراسى فى ظل هذه النظرية يكون عبارة عن مجموعة من المواد الدراسية المنفصلة يعمل كل جزء منه على تدريب ملكة من ملكات عقل التلميذ ، ويكون هناك تعلم متخصص لتدريب كل ملكة من هذه الملكات .

- تبسط هذه النظرية الطبيعة الانسانية تبسيطا كبيرا حيث انها تنظر اليها على أنها عبارة عن غريزة واحدة او اكثر ، وان سلوك الانسان عبارة عن سلوك فطرى جامد لايتغير ولا تستطيع البيئة ان تعدل منه او تغير فيه وهذا لايتفق مع الواقع العملى حيث ان سلوك الانسان لايتكرر أبدا بنفس الطريقة والكيفية عندما يواجهة نفس الموقف .

- أدت هذه النظرية الى مايسمى بالحتمية الطبقية ، أى تظل طبقات المجتمع المختلفة كما هى دون أدنى تغيير ويظل كل فرد فى الطبقة الاجتماعية التى ولد فيها دون محاولة الانتقال منها الى طبقة أخرى مهما بذل من جهد وعمل وتتفق هذه النظرية فى هذا المجال مع نظرية أفلاطون فى التغير المشار اليها سابقا .

- وعلى أساس هذه النظرية تصبح الوراثة اكثر قدرة من البيئة على تشكيل حاضر الانسان ومستقبله ، وتصبح الطبيعة الانسانية بذلك ثابتة جامدة لايستطيع الجهد الانسانى ان يغير فيها أو يعدل فيها .

(ب) نظرية جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤)

ففى القرن السابع عشر ظهرت نظرية أخرى هى نظرية جون لوك الذى أبعد

مفة التربية عن نظريات ما وراء الطبيعة ووجهها الى التجارب العملية ورأى
الافكار غير فطرية فى الانسان ، وانها مكتسبة عن طريق التجارب القائمة
ن الاحساس والادراك الحس وحصر التعليم فى العلوم ذات القيمة العملية
لقراءة والكتابة والحساب والرياضة والرسم والرقص ، ورأى أنه ينبغى ان تكون
تربية الخلقية هدفها الاسمى هو الفضيلة ووجهها الى عدم استعمال
عقوبات الجسدية وأهمية تنمية الشعور بالكرامة وربط بين التربية الخلقية
لجسدية لانه كان يرى ان الخلق القديم لايكون الا فى الجسم السليم
نادى بأهمية حب الاستطلاع لانها هى الرغبة فى الرغبة فى المعرفة عند
لتلميذ وأنها غريزة يجب تشجيعها .

وقامت نظرية لوك للطبيعة الانسانية على اساس ان العقل الانسانى
صفحة بيضاء او وعاء فارغ وان مايظهر فيه ملكات انما يكون نتيجة لانعكاس
الخبرة الخارجية . لذلك فان اهمية التربية وتأثير البيئة انما يكون فى
تشكيل عقلية الفرد وحشوه بالتراث الانسانى والخبرات البشرية الكثيرة وذلك
هو دور الكبار فى اختيار مايرونة صالحا من وجهة نظرهم لصبة فى عقل
الصغار وبالتالى يكون الكبار قادرين على اصلاح المجتمع عن طريق تربية
الصغار وتشكيل عقولهم .

ونتيجة لهذه النظرية يكون العقل الانسانى شئ سلبى يستطيع المعلم
ان ينقش عليه كل مايمكنه نقشة دون أن يضع فى اعتباره صعوبة او سهولة
مايقوم بنقشة ودون نظر أيضا الى مدى استفادة الطفل من المعلومات التى
تنقسم على عقلة .

وبذلك تصبح العملية التعليمية لها أهميتها العظمى من جانب المعلم

فى حين انها من جانب التلميذ ليست ذو قيمة ، ونجم عن ذلك ايضا ان نرجع الى الماضى دائما نتمسك به ونقدس ما فيه من قيم وحقائق للنقلها الى الطفل دون احداث أدنى تغييرا و تبديل وبذلك يعزل الطفل عن خبراته الحاضرة وعن نظرته الى المستقبل .

ولقد حرمت هذه النظرية الطفل من كل كيان حيوى له ، واعتبرته شيئا ماديا . كاللوح الفارغ ينقش عليه ما يريده الناقش ، فحرمته من دوافعه وميوله ومن شخصيته الانسان التى تتميز اول ما تتميز بالحركة والحياة .

واذا كانت هذه النظريه قد أعطت عمل المدرس قيمة عظمى ، وكانت الوسيلة التى استخدمها غاية فى اليسر والسهولة حيث انها عملية افراغ ، الا ان هناك صعوبة نشأت عن هذه السهولة وهى زكيف يفرغ الطفل مرة اخرى هذه المعلومات لتتحول الى سلوك او ما هى الوسيلة الفعالة حتى تتحول هذه المعلومات التى نقشت على هذا اللوح الى فعالية فى حياة الطفل ؟

ثانيا : الفلسفة الطبيعية

وكان للاتجاه السابق فى ثنائية الطبيعة الانسانية وتمكين الروح من السيطرة على الجسم وعدم النظر الى الظروف المحيطة بالانسان وحاجاته أثر بالغ كما كان له رد فعل كبير عند الفلاسفة دفعهم الى تعديل ما رأوه متعارضا مع الواقع وكان على رأس هولاء جان جاك روسو ، وفى هذا الجزء سوف ندرس فلسفة كمثال للفلسفة الطبيعيه .

جان جاك روسو

(١٧١٢ـ١٧٧٨م)

يعتبر "روسو" هو مؤسس النظرية الطبيعية وفلسفتها وهو من أئمة المفكرين في القرن الثامن عشر .

ولد روسو من عائلة بروستانتيه في جنيف سنة ١٧١٢ وماتت أمه اثناء ولادته فتولاه أبوه وكان صانع ساعات وعلمه القراءة وهو في السادسة وحاول تعلم صناعات مختلفة دون نجاح . اعترف بتعلم الكذب والسرقة وغيرهما نتيجة القسوة . شارك السوقة وانحدرت أخلاقه . وعمل كمدرس خاص لبعض العائلات وفشل . فرحل الى باريس ونشر طريقة في الموسيقى ولم ينجح ثم اشتغل كاتبا في احدى السفارات . وفي سنة ١٧٥٠ اشترك في المسابقة التي نظمها المجمع العلمي في مدينة "ديجون" حول موضوع أثر العلوم والفنون في حياة الانسان ونال جائزة المجمع المذكور فاكتسب بذلك شهرة واسعة . ثم اندفع في الكتابة والتأليف فقدم رسالة في التفاوت وعدم المساواة ورسالة في الاقتصاد السياسي وطالب بوجوب تغيير القانون عن ارادة الشعب وان تعلم الحكومة جميع الاطفال ونادى بديمقراطية التعليم وان تفرض الضرائب على الاغنياء وأن يعفى الفقراء . وكان من أهم كتبه "العقد الاجتماعي" للدفاع عن الفقراء و"إميل" وذلك سنة ١٧٦٢ وطالب بجرأة بالرجوع الى الطبيعة في وقت ندرت فيه الجرأة ونادى بالحرية والمساواة لانه عانى في حياته القسوة فقد كانت كتاباته تنبض باحساس دقيق واعتبر كتابه "العقد الاجتماعي" انجيل الثورة الفرنسية .

وكتب "روسو" اعترافاته في شجاعة ولم يخف أى خطيئة . ولما صدر كتابه "أميل" سنة ١٧٦٢ أتخذ المجلس النيابى الفرنسى قرارا . بالقبض عليه ففر الى

ثم انجلترثم عاد الى فرنسا سنة ١٧٦٨ حتى مات سنة ١٧٧٨ • وفى اواخر أيامة ضعفت صحتة وعجز عن الكتابة وفقد الثقة فى الناس وسكن فى كوخ بين الاشجار والغابات ومات ودفن بجوار الكوخ حتى نجحت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ — ونقلت رفاتة مع العظماء فى الباثيون •

وكانت فلسفة "روسو" فى الطبيعة الانسانية تقوم على أساس ان الطبيعة خيرة وأن كل شى يظل سليما مادام فى يد الطبيعة ولا يلبث ان يمسة الدمار اذا مستة يد الانسانية ويجب أن تعمل التربية على تهيئة الفرصة للطبيعة الانسانية لكى تنمو من فعل الطبيعة بل من فعل المجتمع ولذلك فقد نادى روسو بوجوب أن يتربى الطفل بعيدا عن المجتمع وان يتعلم عن طريق النتائج الطبيعية لما يقوم به الانسان من أفعال وأن الطفل له قدرات فطرية عند الولادة يجب أن تحترم • وان تنمى وأن ضغط المجتمع يسبب انحرافا لنمو هذه القدرات ويفسدها وعلى التربية ليس فقط أن تتجنب هذا الضغط ولكن عليها ان تعمل على خلق مجتمع افضل •

وكان روسو يرى ان مرحلة الطفولة متميزة لها خواصها ونموها ويجب ان نعد ونهيئ طرق التدريس المناسبة لهذه المرحلة ونموها • وقد كانت هذه النظرة الى الطفل تعتبر ثورة فى هذا العصر الذى كان ينظر الى الطفل فيه على انه رجل صغير • يقاس بمقاييس الرجال وكانت طرق التدريس للكبير والصغير واحدة وكان المدرس من قبل بحكم نظرتة للطفل على انه رجل صغير • يهتم بمحتويات المواد الدراسية المختلفة ليحصل الطفل على اكبر قسط من المعلومات فهى وكأنة دائرة معارف تتحرك • وقد استحق روسو بذلك لقب (نصير الطفل) •

ولم يقم روسو بتجارب على الاطفال ليصل الى الحقيقة ولكنة وجه الانظار لاهمية الطفل والطفولة والمجتمع ومساوئة فى القرن الثامن عشر المشهور بالفساد .

وقد أنشأ باسيدو (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) اول مدرسة تجريبية لتنفيذ آراء ـ روسو وتجريب فلسفتة التربوية المتقدمة ، وكان الاهتمام فيها بتنفيذ كل الاراء حتى مظاهر الطفولة فى الملبس وفى تنفيذ رأى روسو فى ان المدرس يجب الا يتسرع فى العملية التربوية وأن يعتمد الطفل على حواسة ويستغلها وان تنمى هذه الحواس تنمية صالحة للاتصال بالطبيعة واستغلالها .

وأهم ماوضعة روسو فى فلسفتة فى كتابة "أميل" المكون من خمسة أجزاء عن تعليم الانسان مايلى :

١ـ الجزء الاول : والتعليم فيه للمرحلة من سن سنة حتى خمس سنوات وينقل الطفل الى الريف ليعيش فى احضان الطبيعة ولا يتدخل الناس فى تربيتة فيترك طليقا حرا حتى الملابس لايجوز ان تكون مقيدة للطفل فلا أربطة ولالفافات كما لايجوز زيادة العناية بالطفل حتى يتعود مواجهة الصعاب ومشاكل الحياة والام فى هذه المرحلة هى مصدر حبة والاب هو المربى الاول والمعلم يعلمة واجبات الرجال .

٢ـ الجزء الثانى : والتعلم فيه للمرحلة من سن الخامسة حتى سن الثامنة عشرة ويظل الطفل فى الريف يعلم نفسة فى الطبيعة يتحمل خطأة والتربية فى هذه المرحلة بدنية وأخلاقية ولاداعى للقراءة والكتابة ، حتى لايجبر التلميذ على شيء صعب طاقة فهمة ويكتفى بتدريب الحواس .

٣ـ الجزء الثالث : والتعليم فيه للمرحلة من سن الثانية عشرة الى الخامسة

عشر سنة وهذه مرحلة البلوغ والتفكير والدراسة والعمل ، والتعليم فيها يعتمد أيضا على الطبيعة ، وكان روسو يرى عدم اللجوء الى الكتب ، فالكتاب الحقيقى هو الطبيعة وحقائق الحياة هى موضوعات الدراسة ويقترح روسو ان تكون موضوعات الدراسة هى الجغرافيا والفلك والجبر والطبيعة وأن تكون موضوعات الدراسة هى وان يكون اسلوب التدريس هو الممارسة العملية وأن يعود الطفل فى هذه الا المرحلة الخشونة والتقشف .

٤ـ الجزء الرابع : والتعليم فيه للمرحلة من سن الخامسة عشر حتى العشرين سنه وفى هذه المرحلة يرى روسو ان يهتم التعلم بالتربية الدينية والخلقية ليعرف علاقته بالله والناس وأن لاتكون وسيلة ذلك كثرة الاوامر والنواهى والنصح بـل الممارسة العملية والمثل الصالح ودراسة سير الابطال وفى هذه المرحلة يمكن أن يتذوق الانسان القراءة والفن .

٥ـ الجزء الخامس وتعرض فى هذا الجزء الى تربية المرأة ولكنه حدد أن مهمة المرأة هى ارضاء الرجل ، ولذلك فعليها أن تفعل لنفسها كل مايرضى الرجل فتمرن جسمها لتكون رشيقة قوية ، وأن تتعلم الطهى والتطريز ورعاية الاطفال والموسيقى وأن تكون جذابة وأن تتعلم العلوم العقلية .

ويرى روسو انه يكتشف الطفل الطبيعة فانه يجب عليه ان يعود على الحواس وان يستغلها فاميل يتعلم عن طريق ساعة واحدة من العمل اليدوى اكثر بكثير مما يكن ان يحفظه فى يوم كامل من التعبير اللفظى فبد لا من ان يجعل طفلــه يلتصق بالكتب ليتعلم منها التعليم اللفظى فانه يوظفه فى مصنع او معمل حتى تعمل يداه لنمو عقله ، وبذلك يعتمد روسو على تنمية الحواس واستغلالها

الاستغلال فى تنمية طفلة وتربيته ، وهو يعتقد ان تنمية هذه الحواس تنمية
لحة باتصالها بالطبيعة فى استغلالها فيها انما يكون وسيلة تنمية العقـــل .
ولقد بالغ روسو اعتمادة على تنمية حواس طفلة وفى استغلالها فى تربيتة حـتى
، فى تقسيمة لمراحل نمو الطفل " اميل " ترك المرحلتين الاولى والثانية دون ان
لم اميل القراءة والكتابة وهكذا فى غمرة تركيزة على الحواس وعلى التعلم عـــن
ريق الطبيعة ترك طفلة جاهلا لايعرف كيف يقرأ وكيف يكتب لغتة الاساسية حتى
ن الثانية عشرة ، وبذلك كان متناقضا للنظم التربوية الحديثة فى معظم بلاد العالم
يث انه فى هذه الفترة يكون الطفل قد تعلم اساسيا الثقافة وعموميـاتها وتعلم
قراءة والكتابة والحساب .

وقد عزل روسو طفلة عن المجتمع وغالى فى العناية بالطفل وفرديتة وتجاهل
ثر الثقافة والقيم والعادات الاجتماعية السائدة ، التى لها الاساس فى تكوين
شخصية الفرد الانسانى فى الوقت الحاضر .

وقد اعتمد روسو فى تربية اميل كل الاعتماد على الخبرات المباشرة فـــى
حين ان هناك بعض الخبرات المباشرة يجب ألا يمر بها الفرد الانسانى لأنـــه
اذا مامر بهذه الخبرات فقد تقضى على حياتة ، ولما كان بقاؤة حيا هو الاساس
الذى تقوم عليه التربيه فى آداء وظيفتها كان من الضرورى فى هذه الحالة ان تكون
الخبرة غير مباشرة ، فاذا كسر الطفل زجاج النافذة وتركناه يقاس نتائج عمله فان
هذا قد يؤدى الى اصابتة بالتهاب رئوى ثم الى موته ، ومثل هذه الخبرات غير
المباشرة هى التى يسمع عنها الطفل أو يقرأ عنها او يرى نتائجها فى غيره .

وتعتبر هذه الفلسفة التربوية لروسو وهذه النظرة للطبيعة الانسانية مرحلة هامة فى تاريخ الفكر التربوى لايمكن التغاضى عنها اذ أنها بصفة عامة وفى مجملها دون ان تتناول ما فيها من اخطاء وأحكام فلسفية مبسرة هنا وهناك قد وجهت انظارا لمربين الى الطفل فنقلت بذلك مركز الثقل فى العملية التربوية من المجتمع الى الطفل فبعد ان كان المجتمع بما فيه من قيم واتجاهات ونظم سياسية واقتصادية هى التى كانت تطبع الطفل وتوجهه غير ناظرة الى طبيعته ولا الى مراحل نموه ولا الى انه يجب ان يكون محور العملية التعليمية وأساسها وأن لهذا الطفل امكانيات وقدرات يجب استغلالها وتنميتها وأن مرحلة الطفولة مرحلة هامة تختلف اتساعا وعمقا عن مرحلة الرجولة

ثالثا : الفلسفة البراجماتية

التربية الحديثة حركة تربوية لها أهداف بعيدة وأهداف قريبة والمثل الاعلى للتربية الحديثة هو محاولة التوفيق بين الطفل و المجتمع وبين الاعتبارات السيكولوجية والاعتبارات الاجتماعية وحقيقة ان هذا مثل أعلى ولكن الوصول الى أقرب منه فالتربية تعد الطفل ليكون عضوا نافعا فى المجتمع يعرف واجباته وحقوقه •

ومن زعماء النظرية التربوية الحديثة ومؤسسيها شارلز تدرز وبيرس ووليم جيمس وجون ديوى وهم ان كانوا يختلفون فى طرائقهم واستنتاجاتهم الا انهم يتفقون فى فلسفة واحدة تسمى البراجماتية •

والبراجماتيون بعكس الواقعيون والمثاليون • يعتبرون الطبيعة الانسانية مرنة وظيفية • وأن التربية تعنى بتطور الفرد وجميع البراجماتيين ماعدا وليم جيمس

يرفضون ان الطبيعة الانسانية عالم روحاني واول من قدم كلمة براجماتيـــه في الفلسفة الحديثة بيرس سنة ١٨٧٨ ثم دعا لها ونشرها وليم جيمس وهي مشتقة من الكلمة الاغريقية ومعناها العمل . والبراجماتيه لاتوجـــد نتائج معنية بل تعتبر نفسها طريقا واسلوبا .

وقد تقدمت العلوم بصفة عامة وخصوصا العلوم البيولوجية وبظهـــور نظرية داروين في التطور تاثرت الفلسفة البراجماتية بها من حيث ان حياة الانسان معناها وجود سلوك وفاعلية . ولكي تستمر الحياة وتستمر الفاعليـــة يجب ان تتوافق مع البيئة . وان هذا التوافق يتطلب تغييرا في الكائن الحـــي والبيئة معا . اي ان هناك تفاعل مستمر بينهما . وكلما ارتقى الانسان ازداد قدرة على تغيير البيئة والوسط لسد الاحتياجات النفسية والبيولوجيـــــة وعلى ذلك فالطبيعة الانسانية ليست فطرية ولاثابته بل هي متغيرة لانها قادرة على التفاعل مع البيئة والمجتمع وهي قادرة على تغييرهما . وهذه المرونـــة تؤكد ان التربية قادرة على التاثير على المجتمع وان الوراثة والبيئة عاملان مهمان في تكوين الشخصية . وان الطبيعة الانسانية تتفاعل مع البيئـــــة ومع المجتمع ككل . وليس هناك ثنائية في العقل والجسم كالمثالية وان الكل الانساني هو محصلة لمجموعة اجزاء وليست احساسات جسمية وتكوينات عقليـــة

وقد تأثرت البراجماتيه الى حد اكبر من الواقعية او المثالية بالاحداث المعاصرة وركزت اهتمامها الاول على الفردية ودعت الى شعور اجتماعي واختلاف زعماء البراجماتية في اسلوبهم واستنتاجاتهم تتضح في ان نظرة البراجماتيـــه عند بيرس وكانت موجهة الى الفيزياء والرياضة . اما جون ديوى فكانت نظرتـــه موجهة الى الاجتماع وعلم الاحياء . وفلسفة جيمس شخصية وسيكولوجيـــــة

واتجاهاتها دينية . كما انه اكد احق الفرد في خلق حقيقته الخاصة

وقد اطلق على هذه الفلسفة البراجماتية

او الادائية او الوظيفية او التجريبية . وكل هذه المسميات تعطى فكـــرة عن مفهوم هذه الفلسفة التى تدعو الى ان التربية هى الحياة وليست اعدادا للحياة وان على المدرسة ان تستخدم مواقف الحياة فى التعليم . ويؤكـــد ديوى ان النمو يؤدى الى نمو اكثر وان التربية عملية مستمرة لاعادة بنـاء الخبرة وانها ليست شيئا بل هى عملية لا تنتهى وان تحقيق الذات هو الغاية الكبرى لجميع الناس واكتسابها يكون من خلال التربية .

جون ديوى (١٨٥٩ـ١٩٥٢)

يلتصق اسمه بالفلسفة البراجماتيه ـ ولد فى برد لانجتون فـــى الولايات المتحدة الامريكية . ودخل المدارس الرسمية ثم جامعة فرمونـــت وتخصص فى الفلسفة والتربية . وحصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة جون هوبكنز سنة ١٨٨٤ وقد قام ديوى بالتدريس فى جامعتى ميتشجان ومنسوتا ثم جامعـــة شيجاغو سنة ١٨٩٤ وفى سنة ١٨٩٦ اسس مع زوجته المدرسة التجريبيـــة الملحقة بالجامعة والذى اعتبر انشاؤها حدثا تربويا عالميا ثم انشـــئت بعد ذلك خمسون مدرسة على نسقها فى امريكا .

وكان لنظرياته وطرقه اعمق الاثر فى توجيه التربية فى الولايات المتحدة الامريكية وسائر الامم الناطقة بالانجليزية والمتأثرة بثقافتها . وهو فيلسوف واسع التاثير جدا فى عالم الشئون العملية . وقد اجبرت فلسفته مهمة انسانية

وكان يقومها على اساس مدى تاثيرها الاجتماعى اوالثقافى .

وكانت المدرسة التجريبية الملحقة بالجامعة حقلا لتجريب اراءه وخصوصا وان المجتمع كان فى حالة تغير شديد فى ذلك الوقت بسبب الثورة الصناعية فاهتمدارسه بتدريب التلاميذ على التكيف الاجتماعى فى مجتمع متطورا واستخدم لاول مرة مقاعد متحركة وجعل المدرسة مجتمعا مصغرا نشطا واشترك الطفل فى مختلف المناشط الاجتماعية اشتراكا فعالا منتجا .

وتاثير ديوى لم يكن فى امريكا وحدها ولا فى العالم الناطق باللغة الانجليزية فقط بل فى العالم كله . وقد ترجمت كتبه الى لغات مختلفة فالى اللغة العربية ترجمت بعض الكتب مثل (الديمقراطية والتربية " والخبرة والتربية " والطبيعة البشرية والسلوك الانسانى " والتجديد فى الفلسفة " كما استشارته روسيا سنة ١٩٢٨ لوضع نظامها التعليمى على اسس تقدمية وحاضر فى اليابان والصين سنة ١٩١٩ وفى تركيا سنة ١٩٢٤ وفى المكسيك سنة ١٩٢٦

وكانت فلسفة ديوى جزءا متكاملا من فلسفته الاجتماعية . فقد كان يؤمن بانه لايمكن فصل الفرد عن المجتمع . ويجب ان يوجه الفرد سلوكه فى ضوء التوقعات الاجتماعية حتى يمكنه ان يلم بالنظم والقيم الثقافية الموجودة فى المجتمع ويتوافق معها .

ويرى ديوى ان الطبيعة الانسانية طبيعة متغيرة وليست فطرية جامدة ثابته لها القدرة على التغير والتفاعل مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التى تقيم معها العلاقات المختلفة وبذلك نصل الى مبدأ امكانية التحسن والوصول بالمجتمع البشرى الى تشكيل وتطور جديدين فى عملية مستمرة متصلة

لاحد لها ترنو دائما الى الكمال .

وهذه النظرة التكاملية للطبيعة الانسانية وتفاعلها مع البيئة الاجتماعية والمادية قد جمعت بين العناصر الذاتية الداخلية فى الفرد وبين العناصر الخارجية الموضوعية فى البيئة .وكانت هذه النظرة المجالية اساسا للنظر الى الطبيعة الانسانية نفسها على اساس انها كل متكامل لايتكون من جسم يضاف اليه عقل . ولكن الطبيعة الانسانية ابعد من ذلك . فالكل اكثر من مجموع اجزائه اى ان الطبيعة الانسانية هى اكثر من مجرد احساسات جسمية وتكوينات عقلية . وهكذا ينظر الى الطفل على انه كل متكامل يجب الاهتمام به من النواحى الجسمية والعقلية على حد سواء فهو يتعلم بجسمه كما يتعلم بعقله لان احدهما لايمكن ان يوجد بدون الاخر .

وبذلك ينظر الى العقل على انه اداة فى متناول الفرد البشرى للاسهام بشكل فعال ومباشر فى حل المشكلات التى تعترضه وعندما تكون الطرق المتبعة هى الطريقة العلمية فان العقل يصبح بذلك عقلا علميا وعلى هذا لايوجد العقل خارج الاشياء ولاخارج الخبرة التى نمر بها فى حياتنا وانما هو من صميم الخبرة ونتاج لها . فالعقل اجتماعى يتكون عن طريق خبراتنا المختلفة وعلاقاتنا الاجتماعية مع الاشخاص والاشياء .اى ان الانسان لايولد بهذا العقل وانما يكتسبه اكتسابا عن طريق فاعليته وتعامله .

واصبح لهذا المفهوم المتعلق بالطبيعة الانسانية فى التربية الحديثة نتائج على التعلم فالطفل كائن حى يمارس خبرات معينه ويتفاعل مع بيئته كجزء لايتجزأ من تيار الحوادث والمشاعر والافكار والاشياء .

صبح المنهج المدرسى لايتكون من المواد التى تدرب العقل وتنميه
نسب وانما اصبح يتضمن كل الخبرات التعليمية التى تؤدى الى نمو
نواحى المختلفة المكونة لشخصية الطفل بما فيها الناحية العقلية

واصبحت البيئة المحيطة بالفرد عاملا اساسيا وضروريا فى تكوين
بيعته . فالذات اجتماعية والطفل يتعلم باستجابته الكلية للموقف . وعلى هذا
و يحتاج الى مساعدة البيئة التى يعيش فيها حتى يكون هذه الاستجابة
كلية . فالذات والبيئة تتاثر كل منهما بالاخر وتؤثر فيه .

نظرة الاسلام للطبيعة الانسانية

لقد نظر الفلاسفة والمربين وعلماء الاخلاق الى الطبيعة الانسانية من زوايا متعددة وترتب على ذلك ان كانت آراؤهم متباينة . فقد نادى بعضهم بان الطبيعة واحدة في جميع الازمنة وعلى مر العصور وان الانسان هو الانسان حيثما وجد . وهناك ايضا من نادى بان الطبيعة الانسانية تختلف باختلاف الافراد انفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم . وهناك من يعتقد ان الطبيعة الانسانية لاتتحرك دون حافز ولاتعمل دون دافع ولذلك يجب اثارتها دائما نحو العمل . وهناك فلاسفة المسيحية التقليدية الذين يقولون بمبدأ الخطيئة الاصلية التي تقول بان الانسان فقد قدرته على الوصول الى الحقائق بارتكاب آدم للزلة الكبرى . هذه الزلة التي لم تقتصر عليه وحده وانما تعدته الى سائر ابنائه من البشر اجمعين ...
وهناك ايضا من اعتبرها شريرة في اصلها تنطوي على الحرب وعلى النضال بين الافراد بعضهم وبعض . وتقابل هذه النظرة التشاؤمية للطبيعة الانسانية نظرة في غاية التفاؤل اذ نظر اليها روسو . على انها خيرة يحيلها المجتمع الى شر اذا مستها يد البشر . ونظر بعض المفكرين اليها على انها شيء ينقسم الى جسم وعقل وفصل بينهما . في حين ان البعض الاخر نظر اليها نظرة متكاملة حيث ان الكل اكبر من مجموع الاجزاء .
وبوجه عام يمكن تصنيف اراء تفسير الطبيعة الانسانية في ثلاثة اتجاهات يمكن توضيحها على النحو التالي :

الاتجاه الاول : الاتجاه المادي :

فحقيقة الانسان في هذا الاتجاه انه ظاهرة مادية معقدة تتركب من العديد من المواد الكيميائية المختلفة التي نشأت من تطور المادة الاولية .

وطبقا لهذا الاتجاه فانه يمكن دراسة طبيعة الانسان وتفسيرها عن طريق دراسة الطبيعة الحيوانية حيث ان الأختلاف بينهما فى الدرجة وليس فى النوع .

الاتجاه الثانى : الاتجاه العقلى أو الروحى :

فالانسان فى ظل هذا الاتجاه ظاهرة عقلية لاجسمية ، حيث ان الجسم ليس له وجود حقيقى ولكنه مشتق من العقل . وتكون الطبيعة الانسانية بذلك طبيعة متفردة ليست امتدادا او استمرارا للطبيعة الحيوانية وليست من نوعها ولذلك يجب دراستها بطريقة مستقلة عن الدراسات الطبيعية الاخرى .

الاتجاه الثالث: الاتجاه المادى والروحى معا:

ينظر اصحاب هذا الاتجاه الى الانسان على انه ليس مادة فقط . او روح فقط ولكنه مادة وروح معا فى تفاعل مستمر لايجوز فصل احدهما عن الاخر . وبذلك ينظر الى الطبيعة الانسانية نظرة متكاملة تجمع بين كل العوامل التى تدخل فى تكوينها . فالانسان كل متكامل لايتكون من جسم يضاف اليه عقل . ولكن الطبيعة الانسانية ابعد من ذلك فالكل اكثر من مجموع اجزائه ، اى ان الطبيعة الانسانية هى اكثر من مجرد احساسات جسمية وتكوينات عقلية .

وبذلك نجد ان هذا الاتجاه ينتهج منهجا متوسطا بين المنهجين السابقين فى دراسة هذه الطبيعة وتفسيرها . ومن ثم فانه ينبغى الا نغفل دراسة الطبيعة المادية فى الانسان الى جانب دراسة الجانب المعنوى فيه .

ولما كانت دراسة الطبيعة الانسانية لاقت اهتماما كبيرا من جانب الفلاسفة والعلماء غير المسلمين فانها ايضا وجدت نفس الاهتمام من المفكرين المسلمين ولتوضيح نظرة الاسلام الى الطبيعة الانسانية فسيكون ذلك على اساس ثلاثة جوانب على النحو التالى :

الجانب الاول : يتناول هذا الجانب طبيعة خلق الانسان والاطوار المختلفة التى مر بها حتى وصل الى صورته التى هو عليها .

الجانب الثانى : موضوع التكوين السيكولوجى للطبيعة الانسانيـــــة .

الجانب الثالث : يتناول الخصائص الانسانية العامة التى هى نتاج التفاعل بين الحقائق المادية والروحية معـــــا .

(أولا) : طبيعة خلق الانسان والاطوار التى مر بها :

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز انه خلق الانسان أطوارا وذلك فى قوله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا

ولتوضيح ذلك سوف نتناول هذه الاطوار خلق آدم عليه السلام ثم أطوار خلق الطفل من التراب . وكذلك طور البعث بعد الموت .

(أ) أطوار خلق آدم :

فالطور الاول لخلق آدم ان الله اخرجه من الارض كما اخرج النبات " والله انبتكم من الارض نباتا .

وقد شرح الرسول (صلى الله عليه وسلم) كيف بدأ الخلق حينما قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض . جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك . والسهـــــل

والحسن والخبيث والطيب وبين ذلك ٠

وقال تعالى " ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون

والطور الثانى فهو اختلاط التراب بالماء ليصبح طينا وبذلك يكون الماء عنصرا فى تكوين الانسان ٠

والله خلق كل دابة من ماء ٠

وجعلنا من الماء كل شئ حى

الذى احسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين

اما الطور الثالث فهو بعد ان يصبح هذا الطين لازبا يصب فى قارب لتظهر صورة الانسان ٠

انا خلقناكم من طين لازب ٠

وفى الطور الرابع بعد صب الطين اللازب فى القالب ترك حتى ييبس واصبح مثل الصلصال ٠

خلق الانسان من صلصال كالفخار

ويأتى الطور الخامس لخلق ادم حيث ان الله بعد ان سواه وصورة بتلك الصورة نفخ فيه الروح وامر الملائكة بالسجود له

فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعدوا له ساجدين ٠

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم

وبعد ان خلق الله آدم بالاطوار الخمسة السابقة فانه خلق حواء زوجته من نفسه ٠

وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ٠

وعن طريق التزاوج بين ادم وحواء جاءت ذريتـــــه

(وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفـــا

فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين .

وبهذه الطريقة تناسل بنو آدم وكثروا

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

(٢) أطوار خلق الطفل من التزاوج :

يبدأ خلق الطفل عن طريق التقاء الحيوان المنوى من الرجل بالبويضة من المرأة فى داخل الرحم . وقد ذكر القرآن ان هناك ثلاث مراحل يمر بها الجنين داخل الرحم . وهى النطفة ثم العلقة ثم المضغة . ومن الايات الكريمة الدالة على ذلك قوله تعالى :

" يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا .

" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين

هذه هى المراحل الثلاث لتكوين الطفل فى بطن امه وهناك اطوار اخرى بعد الولادة وهى مرحلة الطفولة ثم المراهقة والشباب ثم مرحلة الرشد واخيرا مرحلة الشيخوخة .

ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد ارذل العمر .

٣) طور البعث بعد الموت:

والمرحلة الثالثة والاخيرة في اطوار خلق الانسان هي البعث بعد الموت . ويتضح ذلك في قوله تعالى:

ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون .

وبذلك امكننا توضيح اطوار خلق الانسان كما يصوره القرآن الكريم من بدئه في الدنيا الى منتهاه في الاخرة . ولعلنا بعد هذا العرض الموجز لاطوار خلق الانسان نطرح السؤال التالي:

هل حدث التطور في خلق الانسان من ناحية الحجم والشكل كما يدعي دارون في نظريته للتطور ؟

ان افضل اجابة لمثل هذا السؤال قول الرسول (ص) عندما سئل في هذا الشان فقال " خلق الله ادم وطوله ستون ذراعا . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم . فلم يزل الخلق ينقص حتى الان

فهذا الحديث يبين ان تطور الانسان يكون في الحجم فقط وليس في الصورة . ويعني ان الانسان تطور من حيوانات اخرى كما تدعي النظرية الدارونية . فصورة الانسان اليوم هي نفس صورة الانسان التي خلق عليها .

وقد ورد في القرآن الكريم ان الله مسخ من الانسان قردة وخنازير وذلك في قوله تعالى:

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين .

وقد ذهب بعض الباحثين من علماء الغرب الى ان القردة تحولت من الانسان وان احد علماء الالمان قد اثبت ذلك في الحفريات في جنوب افريقيا .

مهما يكن من امر فان صورة التطور فى خلق الانسان فانه يختلف عن نظرية دارون للتطور • والنظرية الاسلامية للتطور ليست خاطئة لانهـا تخالف نظرية دارون حيث يتوهم البعض ذلك لان نظرية دارون — التطورية لم تثبت صحتها بعـــد

وبذلك نكون قد اوضحنا نظرية خلق الانسان فى الاسلام ....
وان التكوين الاول لهذا الانسان هو التكوين المادى اى التكوين الارضى ويتمثل فى التراب والماء او مايتركب منهما وهو الطين وينتج عن ذلك التكوين البيولوجى للانسان ومايرتبط به من حاجات مادية اوليـــة وصفات تابعة لذلك•

فقد عنى الاسلام عناية كبيرة بتربية الجسم • حيث يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى ذلك:

" ان لبدنك عليك حقا من الطعام والراحة وتنظيم وتقويم "

فهو يدعو الى العناية بالجسم كله عناية شاملة ليستمتع الانسان بمـــا حلل الله من الطيبات للناس ويتضح ذلك فى قوله تعالى :
ولاتنسى نصيبك من الدنيا
قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق•
والاسلام صريح كل الصراحة فى معالجته للامور الجسدية من غســـل ووضوء •كما انه صريح كذلك فى معالجة الامور الجنسية وتتضح ذلك فى قوله تعالى :
ويسألونك عن المحيض قل هواذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله •
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ....

وبذلك نجد ان الاسلام حين يعترف بمختلف الدوافع الفطرية لدى الانسان ويقرها له فانه فى ذات الوقت لايتركه لهذه الشهوات تستعبده وتجرفه ولايستطيع ان يملك زمام نفسه . ولكن ينظم له هذه الشهوات ويهذبها وفى نفس الوقت لايكبتها . فالاسلام لايعترف بالكبت ومحاربة الشهوات . حيث انه كيف للانسان ان يكبت شهواته ويحاربها وهو فى حاجة اليها ؟

كيف يكبت شهوة الطعام وهو فى حاجة الى جسم قوى يحتمل الجهاد فى سبيل الله ؟

كيف يكبت شهوة الجنس وهو فى حاجة الى ذرية صالحة كثيرة تنتشر فى ارجاء الارض ؟

كيف يكبت طاقة القتال وهو فى حرب دائمة ضد قوى الشر فى الارض؟

فالاسلام قد دعا الى الاهتمام بالجانب المادى للانسان عن طريق الاستمتاع بمختلف الطيبات التى حللها الله للناس . ويعترف باهمية الدوافع الفطرية لهذا الجانب المادى الا انه وضع له معايير خاصة يجب ان يسلك من خلالها .

ثانيا : التكوين السيكولوجى للانسان :

بعد ان تناولت فيما سبق الجانب الاول لتكوين الانسان وهو الجانب المادى . نتناول هنا جانبا آخر لتكوينه وهو الجانب السيكولوجى او المعنوى وهذا الجانب هو تكوين سماوى روحى نتج عنه دوافع وصفات معينة خاصة بالطبيعة الانسانية .

والايات القرآنية والاحاديث النبوية التى تناولت هذا الجانب .... تحدث عن اربعة امور وتصف كل منها باوصاف معينة وهى :

النفس ـ الروح ـ القلب ـ العقـــل

وهنا نتساءل

هل كل واحد من هذه الامور الاربعة يعتبر حقيقة قائمة بذاتها وله صفات خاصة به ؟ او انها وظائف وصفات مختلفة لحقيقة روحية واحدة ؟ وما مدى صلتها بالتكوين البيلوجي ؟

لقد اختلفت الاراء في ذلك فهناك من يرى ان النفس جوهر روحي مستقل عن الجسم وهي واحدة ولها قوى ووظائف مختلفة في حين ان البعض الاخر يرى ان النفس صورة منطقية مع الجسم لايمكن فصل احدهما عن الاخر . وهناك من حاول التوفيق بين هذين الرأيين فهم يرون ان النفس كمال الجسم وجوهر مستقل في الوقت نفسه .

ويتفق الاسلام مع الراى الاخير حيث انه يقر بوجود الجانبين معا في كيان الانسان عموما ويمكن توضيح تلك الحقائق الروحية الاربع للطبيعة الانسانية من خلال الايات القرانية على النحو التالي :

(أ) النفس :

لقد ذكر الله تعالى انه خلق الناس من نفس واحدة ووصف هذه النفس بصفات اربع هـــي :

x النفس المطمئنــــة :

يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

x النفس الموسوسة

وقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه

x النفس اللوامــــة

لااقسم بالنفس اللوامــــة .

× النفس الامارة بالسوء

وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي

فالنفس في حالتها الطبيعية المحتقيمة تكون مستقرة مطمئنة ولكنها احيانا قد تخرج عن هذه الحالة وتوسوس بالشر للانسان . فاذا ما ارتكب الانسان هذا الفعل فانها تعود الى صوابها وتلوم نفسها . فان استمرت في هذا الخضوع تنسى ربها وتصبح امارة بالسوء .

(ب) الـــروح :

ومن حقائق التكوين المعنوي في الانسان التي تحدث عنها الاسلام الروح :

يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا

وبدأ خلق الانسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ..

فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

(جـ) القـــلب :

يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عن القلب :

ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ..

وبذلك فقد عبر الرسول (ص) عن المعنى المادي والمعنوي للقلب .

اما الايات القرآنية التي جاءت في هذا الشان فقد عبرت عن معناه الروحي فقط لا عن معناه المادي . والايات القرآنية الدالة على ذلك هـي :

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون

(د) العقـــــل :

لقد جاءت الكثير من النصوص القرآنية التى تعبر على ان العقل قوة مدكرة فى الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن اعمالـــــه فاسباب انحراف الانسان عن الطريق المستقيم يرجع الى عدم العمـــل بمقتضى العقل •

ومن الايات القرانية التى توضح ذلك •

وقالوا لوكنا نسمع اونعقل ماكنا فى اصحاب السعير

يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه

اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلاتعقلون

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون

افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها

وبعد عرض تلك الحقائق فى الطبيعة الانسانية يتضح ان هناك فروقـــا واضحة بين هذه الحقائق • حيث ان مايدركه الانسان بقلبه لايدركه بعقله ومايدركه بعقله قد لايدركه بقلبه •• فهناك خصوصية لادراك كل من العقـــل والقلب ••

كما نجد تمييزا بين النفس الحيوانية التى يشترك فيها الانسان باعتبارها قوام الحياة • وبين الروح الانسانية التى هى نفخة من روح الله والتى يمتاز بها الانسان عن سائر الحيوانات الاخرى

وتعتبر الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر الشعائر التعبديـــة

من الاركان الهامة الاساسية التى سلكها الاسلام فى سبيل تربية الجانب المعنوى فى الانسان يهدف ايجاد عبادات ترمى الى تربية الضمير الانسانى ليآلف المؤمن مع غيره ويرتبط به ارتباطا روحيا .

فالصلاة هى جوهر العبادات وهى عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين . فهى درس قرآنى فى جو من طهارة النفس وصفاء القلب وخشوع الجوارح وحضور الذهن . فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر . فيقول عز من قائل :

" اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة . ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون "

اما الصيام فهو تهذيب للنفس وتربية للضمير الاجتماعى من مختلف الوجوه فهو تجديد روحى يعلو به الانسان عن اسباب الحياة المادية عن طريق كبح جماح غرائزه الانسانية والسيطرة عليها متجها الى الله تعالى

" يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . .

والزكاة تطهر النفس من الشح وتساعد على الاحساس بالاخوة النبيلة التى تجمع الاسرة البشرية الواحدة برباط واحد وتجعل الانسان يشعر بأن الناس شركاء فى الخير أعلاء فى رزق الله العميم فليس هناك ملك خاص فى الاسرة الواحدة .

أما دور الحج فى تربية الجانب اللامادى فى الانسان يتضح من كلام الله تعالى فى سورة الحج : واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات

على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه

ويرتبط الجانب السيكولوجي ارتباطا وثيقا بالجانب البيولوجي ويتضح ذلك من قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله .

فالجسد ضرورة للنفس ليعكس العالم . فلكل روح جسد مصور سوى معتدل يشاكلها ويجانسها مزاجيا . فالعلاقة بينهما هي علاقة تاثير وتاثر تشبه انعكاس الضوء يتشكل باختلاف لون الزجاج من احمر واخضر وازرق . فكذلك النفس يتشكل بحسب امزجة الاجسام المختلفة بين الناس واذا كانت النفس هي التي تدير الجسم وتبعث فيه الحياة والحركة فان الجسم لا يقبل من هذا التاثير الا بقدر استعداده الطبيعي

وقد اثبت علماء النفس المحدثين بالطرق التجريبية ان هناك صلة بين العمليات العقلية المختلفة ومراكز تشريحية في المخ بحيث ان اصابته اي خلل في احدى هذه المراكز يؤثر في العملية العقلية التي تعتمد عليه

(ثالثا) طبيعة الخصائص الانسانية العامة :

وبعد ان اوضحنا فيما سبق التكوين المادي والروحي للانسان بقى لنا اذن ان نوضح طبيعة الخصائص الانسانية العامة التي جاءت نتيجة تكوين الانسان من تلك الحقائق المادية والروحية معا . فنحن نعلم

ان الكل اكبر من مجموع الاجزاء بمعنى انه عند اتحاد عنصرين معا لكل عنصر فيهما صفات معنية ينتج مركب له صفات جديدة لاتوجد فى احـد العنصرين قبل اتحادهما . مثال ذلك :

لكل من الهيدروجين والاكسجين صفات خاصة بهما وعند اتحادهما معا ينتج الماء وهو يختلف فى شكله وخصائصه عن شكل وخصائص كل من الهيدروجين والاكسجين . وينطبق ذلك على الشخصية الانسانية فحيث انها تتكون من المادة والروح معا فنجد ان فيها الصفات الارضيـــة المتصلة بالمادة وكذلك الصفات السماوية المتصلة بالروح . ويضاف الى ذلك صفات ثالثة نتجت عن اتصال الروح بالمادة .

(١) الصفات الارضية المتصلة بالمادة :

وهذه الصفات تشبه الصفات الحيوانية والتى تشمل الدوافع المادية الاولية مثل التناكح والتناسل والاكل والشرب . ولذلك فقد شبه اللـــه سبحانه وتعالى الذين ينغمسون فى الحياة الدنيا . بالانعام فى قوله تعالى :

والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام

اولئك كالانعام بل هم اضل . اولئك هم الغافلون

فمن الصفات الانسانية المتصلة بهذا الجانب الاخلاد الى الارض . لتصاق بالامور المادية الحسية . ويتضح ذلك من قول الله تعالى :

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه .

ومن هذه الصفات ايضا التعجل فى اشباع الدوافع الغريزية وفـى يقول الله تعالى :

خلق الانسان من عجـــــل .

ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا .
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب

(٢) الصفات السماوية المتصلة بالروح :

وهى الصفات الناتجة عن وجود العنصر السماوى اوالعنصر الالهـــى
وتشمل النظر والتمييز والتامل والبحث عن المعرفة والتسامى الروحـــى
والتعبد لله . ويتضح ذلك من قوله تعالى :
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات
والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

(٣) الصفات الانسانية الناتجة عن اجتماع العنصر الارضى والسماوى :

وتنقسم هذه الصفات الى ثلاثة اقسام :-

القسم الاول : ويشمل الصفات الشيطانية حيث تتسلط على الانسان الدوافع
الغريزية ويستخدم فى تحقيق مطالبها مايمتلكه من قوة الادراك .
والتمييز والاساليب الخادعة الماكرة والحيل المختلفة الشيطانية
" وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن "
" ولاتتبعوا خطوات الشيطان "

وفى القسم الثانى : نجد ان الصفات الملائكية تنشأ اذا تسلطت على الانسان
العناصر العلوية الروحية واستخدمت عناصره الاخرى فى سبيل تحقيق
مطالبها . وقد سمى الله هذه الطائفة من الناس بعباد الرحمـن
لانهم خرجوا من عبودية الشهوات الى عبودية الرحمن . وقال اللـــــه

تعالى في وصف هؤلاء .

وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اولئك يخرون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما .

اما القسم الثالث: من الصفات الانسانية والتى تعتبر من خصائص الطبيعة الانسانية يمكن توضيحه فيما يلى :

× كثرة النكران للنعماء والاحسان . ان الانسان لربه لكنود

- كثرة الجدل والخصومة . خلق الانسان من نطفة وهو خصيم مبين
- التضرع الى الله عند الشدائد . واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه .
- اليأس عند نزع النعمة
  ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور
- الطمع المستمر فى الحصول على مزيد من الخيرات
  لا يسأم الانسان من دعاء الخير
  انه لحب الخير لشديد

وبذلك يتضح ان الطبيعة الانسانية متعددة الخصائص والدوافع والميول ويرجع هذا التعدد الى :

- التكوين المادى
- التكوين النفسى والروحى والعقلى
- التكوين الناتج من العلاقة بين المادة والروح
- التكوين لكيان الانسان ككل

فالانسان امشاج من هذا كله ويقول المولى عز وجل فى ذلك

انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا

انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ..

فهذه النطفة التى خلق منها الانسان فيها عناصر مختلفة من العناصر الوراثية .وقد وضع الله امام الانسان سبيلين للاختيار سبيل الخير وفيه استعداد لهذا السبيل . وسبيل الشر وفيه استعداد للسير فيه ايضا . وقد امر الله باتباع الطريق الاول وتجنب الطريق الثانى وهديناه النجدين .

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها

وقد افلح من زكاها وقد خاب من دساها

كما ان الانسان يتميز عن الحيوان بانه ليس محكوما بفطرته البيولوجيه ولكنه يستطيع ان يتسامى على هذه الفطرة . فهو يستطيع ان يكون ملكا كريما لايتبع الا الخير ويستطيع ان يكون شيطانا ماردا يفسق ويلحق الضرر بالناس وبذلك لانستطيع ان نقول على الطبيعة الانسانية انها خيرة او شريرة بطبيعتها . مادام يمكن استخدامها فى الخير والشر شانها شان اى شىء يصلح استعماله فى الخير والشر معنا .. وبذلك فان

الخيرية والشرية تعنى الاستخدام والاستعمال فاذا استعملت فى الخير - تكون خيرة واذا استعملت فى الشر تكون شريرة

خلاصة القول ان الاسلام ينظر الى الطبيعة الانسانية على اساس انها متكاملة وان الكل اكبر من مجموع الاجزاء • وبذلك ينظر الى الطفل على انه كل متكامل •وانه يشترك بكليته فى العملية التربوية وليس بعقله فقط كما كانت ترى بعض النظريات • وبذلك يجب ان يكون المنهج المدرسى متضمنا من الخبرات مايساعد على النمو المتكامل للتلميذ فى جميع الجوانب الجسمية والعقلية والروحية والعاطفية والاجتماعية •

x x x

الثقافة والتربية

الثقافة والتربية

- مفهوم الثقافة
- طرق تكوين الثقافة
- خصائص الثقافة
- وظائف الثقافة
- مكونات الثقافة
- اهمية دراسة الثقافة للمعلم

الثقافة والتربية

(مفهوم الثقافة):

عندما يستيقظ الفرد من نومه فى الصباح فانه يقوم بسلسلة من العمليات المختلفة ، اول هذه العمليات ان يقوم بغسل جسمه بالمياه التى وصلت الى المنزل بعد عدة عمليات متعددة ومعقدة ثم يتناول طعام افطاره الذى يتكون من عدد من الاصناف المختلفة التى صنعت واعدت بطريقة معينة . وعندما يقرأ الصحف اليومية يجد فيها الكثير من اخبار المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فاذا ما اتجه الى مكان عمله سواء كان هذا عن طريق السيارة او سيرا على الاقدام فانه قد يقابل احد اصدقائه فيحييه بالمصافحة باليد او هز الرأس .

هذه العمليات المختلفة بما تحويه من حركات او اشياء او افكار ، تعتبر عناصر خاصة بالثقافة . فالافكار المختلفة التى نسمع عنها والاشياء التى نراها وتحدد نظام حياتنا وتحدد علاقة الافراد بعضهم ببعض وعلاقة الفرد بالمجتمع انما هى جزء من الثقافة .

والبيئة التى نعيش فيها وما تحتويه من مظاهر عمرانية مختلفة وما يسودها من مبادئ ونظم وقيم وقوانين وعادات وتقاليد لم تكن هى نفسها البيئة التى كان يعيش فيها اجدادنا ولكن على مر التاريخ استطاع الانسان بجده وجهده ، بعقله وفكره أن يطور من هذه البيئة التى صنعها لنفسه وينقلها كل جيل عن جيل سابق مطورا فيها

ومعدلا ، تسمى البيئة الثقافية • او الثقافة • وهذه البيئة الثقافية هى خاصة بالانسان دون سائر الكائنات الحية الاخرى •

واختلف العلماء فيما بينهم فى تعريفهم للثقافة حيث ان كل منهم يعرفها من جانب معين اوزاوية خاصة تبعا للميدان الذى يعالجه • فعلماء الانثروبولوجى يستخدمون الثقافة للتمييز بين المجتمعات البسيطة والمعقدة • اما علماء الاجتماع يستخدمون تعبير " المدنية " ويركزون تفسيرهم لها على المجتمعات الحديثة فى حين المؤرخين يؤكدون الجانب التاريخى التطورى منها وهو ما يعرف بالتراث الاجتماعى •

١ـ وتعريف الثقافة قد يتناول جانبا اواكثر من الجوانب التالية :

أ ـ الجانب المادى :

فالثقافة تعنى المنتجات الانسانية التى يمكننا ان نحس بها ونشعر بها عن طريق الحواس • اى ان الثقافة تعنى ـ المظاهر الخارجية والاشياء المادية التى توجد فى البيئة •

ب ـ الجانب المعنوى :

وقد تعرف الثقافة ايضا بانها الكل المركب الذى يشمل على الافكار والعادات والمعارف والاداب والفنون والقيم الموجودة فى المجتمع ويتفاعل الافراد معا من خلالها وبذلك يشمل هذا الجانب النتاج غير المادى لجماعة من الجماعات وهو يعنى ان اساس الثقافة يوجد فى عقول الافراد وليس فى المظاهر الخارجية

جـ ـ الجانب المكتسب :

فالثقافة تعنى السلوك المكتسب المتعلم . اى السلوك الذى لايوجد عند الميلاد والذى يتحدد بعوامل فطرية فالانسان كائن حى يتعلم بالرمز وينقل نتاج تعلمه من جيل والنتاج المنقول هو الثقافة .

د ـ الجانب العقلى :

فالثقافة هى نتاج المجتمع ويكتسبها الانسان من خلال تفاعله الاجتماعى واكتسابها علية عقلية فى جوهرها . فالاشياء المادية تصبح ذات معنى باستخدام العقل لها .

هـ ـ الجانب الاجتماعى :

فهناك من ينظر الى الثقافة من حيث علاقتها بالفرد والمجتمع . فهى تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعى بين الافراد وتكون مرشده وموجهة لسلوكهم .

ومن بين تعريفات الثقافة :

تعريف كلكهون : C.Kluckhohn

وسائل الحياة المختلفة التى توصل اليها الانسان خلال التاريخ . الظاهر منها والمتضمن العقلى واللاعقلى . التى توجد فى وقت معين وتكون موجهات ومرشدات لسلوك الافراد فى داخل المجتمع .

ويساعد هذا التعريف على فهم السلوك الانسانى . ذلك السلوك الذى يتعلمه الانسان فى المجتمع عن طريق التربية

كما انه يشير الى التنوع فى السلوك الإنسانى الذى يتم فى كل مجتمع انسانى له ثقافته الخاصة .

تعريف كلباتريك : W.H.Kilpatrick

كل ماصنعه الانسان بيده وعقله من اشياء ومظاهر فى البيئة الاجتماعية . اى كل مااخترعه واكتشفه وكان له دور فى العملية الاجتماعية .

يتضح من هذا التعريف ان الثقافة تشمل المفاهيم والافكار واللغة والمؤسسات الاجتماعية والعادات والتقاليد الى غير ذلك مما يوجد فى البيئة الاجتماعية ويكون من صنع الانسان .

تعريف تيلور : E.B.Tylor

ذلك الكل المركب الذى يحتوى على المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات التى حصل عليها الانسان كعضو فى المجتمع .

تعريف محمد الهادى عفيفى :

كل ماصنعه الانسان فى بيئته خلال تاريخ الطويل فى مجتمع معين - وتشمل اللغة والعادات والقيم وآداب السلوك العام والادوات والمعرفة والمستويات الاجتماعية والانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والقضائية

تعريف حسن الفقى :

كل اساليب الحياة التى خلقها ويخلقها الانسان ويتعلمها

ويعلمها وينقلها الى الاجيال المختلفة ويشترك فيها مع غيره من اعضاء الثقافة وهى تشتمل على كل انماط السلوك والعادات والتقاليد والافكار والمعتقدات والقيم والمثل العليا وجميع الاساليب الثقافية واللغة وكل اساليب الاتصال والفنون والاداب والاشياء المادية الناتجة عنها .

من هذا التعريف يتضح أن الثقافة تشتمل على اساليب التفكير والشعور والسلوك التى يعبر عنها الناس فى مجتمع معين عن طريق عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم والقوانين التى يسنونها لتنظيم حياتهم وهى تشتمل فى نفس الوقت على القيم والمثل العليا والتصورات المجردة

ولكى نضع مفهوما شاملا للثقافة فان هذا المفهوم ينبغى ان يشمل الجوانب الثلاثة الآتية :

* العوامل الاقتصادية :

فالانسان مدفوع بطبيعته الى العمل والانتاج لاشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية ومن ثم فهو فى حاجة الى بعض الادوات التى يستخدمها فى انتاج مختلف انواع السلع والخدمات التى تشبع هذه الحاجات من خلال سيطرته على الطبيعة .ومن هنا يبدو الاساس الاول للثقافة . ثم اهم ما يميز الانسان عن سائر الكائنات الحية قدرته على تطويع الطبيعة مستخدما مختلف ادوات العمل والانتاج التى يصنعها فى سبيل معاونته على هذه السيطرة ونوع العلاقات التى يكونها الافراد حول العمل والانتاج ونوع مهاراتهم وقدراتهم وانظمتهم المستخدمة فى هذا العمل والانتاج .

■ **الظروف التاريخيــــة :**

فالظروف التاريخية التى تعيشها جماعة من الجماعات لها تأثيرا كبيرا على اكسابها صفات ثقافية عامة ومن بين هذه الظروف اللغة وماتحويه من رموز . فهى الوعاء الذى يجمع الجماعة حول معانى متشابهة . وفضلا عن ذلك فان المشكلات المختلفة التى تواجهها الجماعة عبر تاريخها الطويل تؤثـــر فى هذه الجماعة من حيث نظرتها الى نفسها والى ثقافتهـــــا ومضمونها واهدافها . فالجماعة التى تعيش فى عزلة تصـــل الى مستوى ثقافى يختلف عن المستوى الثقافى للجماعة الـــتى تعيش متفاعلة مع غيرها من الجماعات الاخرى .

■ **القيم الروحيــــــة :**

تعتبر القيم الروحية ايضا من العوامل التى تحدد نوع الثقافة ومضمونها واتجاهاتهـــا واهدافها فى مجتمع مـــن المجتمعات . فهى لاتقل اهمية عن العوامل المادية والتاريخية فاذا كانت القيم المادية لها تأثير على حركة الانسان وتفاعلاته فان هذه القيم الروحية هى التى تضبط هذه الحركة وتوجـــه هذه العلاقـــــات .

ويمكن تعريف الثقافة بأنهـــــا :

"كل ماصنعه الانسان وتوصل اليه بعقله ويده من اشياء مادية ومعنوية عبر التاريخ من خلال تفاعله مع البيئة فى مجتمع معين ويحدد علاقـــة

الافراد بعضهم ببعض فى داخل الجماعة وعلاقة الجماعة بالجماعات الاخرى .

ومن هذا التعريف يتضح أن الثقافة :

- عقلية عقلية
- عقلية مكتسبة
- تنتقل من جيل الى جيل
- وسيلتها فى الانتقال اللغة
- تتكون من انماط صريحة للسلوك واخرى ضمنية
- تشمل ثلاث جوانب :

العوامل الاقتصادية - الظروف التاريخية - القيم الروحية .

x x x x

(طـرق تكوين الثقافـة)

لكل مجتمع ثقافته الخاصة التى قد تتشابه مع ثقافة المجتمعات الاخرى فى بعض جوانبها . وقد تختلف مع البعض الاخر واى مجتمع من المجتمعات يستطيع ان يتوصل الى ثقافته على مدى التاريخ الطويل بطريقتين اساسيتين وهما طريقة الاختراع والاكتشاف وطريقة الاستعارة .

فاى عنصر ثقافى من العناصر الثقافية تم التوصل اليه فى مجتمع ما يكون نتيجة ظهور مشكلة ما تهدد قيمة معنية من قيم هذا المجتمع سواء كانت قيمة اجتماعية او اقتصادية او دينية او سياسية او غير ذلك حيث تعرف المشكلة بانها ظرف يعتقد انه يهدد قيمة معينة من قيم المجتمع ويمكن تغييره عن طريق العمل . وبذلك نجد ان اية مشكلة تتكون من عناصر ثلاثة : الموقف المشكل ، والحكم الخاص على هذا الموقف بقيمة معينة تتناسب معه ومع طبيعته ثم العمل المناسب الذى من خلاله يتم التوصل الى حل لهذه المشكلة فى ضوء ظروف المجتمع .

فالانسان يكون فى حالة توازن مع البيئة التى يعيش فيها ولكن عندما يواجهه مشكلة معينة يختل هذا التوازن . ومن ثم فانه يسعى جاهدا بكل ما يملك من طرق ووسائل ليعيد هذا التوازن من جديد ويكون ذلك عن طريق التوصل الى اختراع جديد او اكتشاف جديد فى اطار ثقافته او الاستعارة من ثقافة اخرى

فای عنصر ثقافی مهما كانت طبیعته مادیا كان اومعنویا

تم التوصل الیه عن طریق الاختراع • ویعرف الاختراع بانه ارتباط

بین عنصرین او اكثر من عناصر الثقافة ارتباطا یودی الی شیء جدید

یكون الكل فیه اكبر من مجموع الاجزاء •

فاذا ما واجهت الانسان فی حیاته الیومیة مشكلة ما فانها

تسبب له نوع من القلق والتوتر والضیق وسرعان مایفكر فی وضع

الحلول المناسبة لهذه المشكلة ویكون ذلك عن طریق التوصل الی

اختراع جدید • وتتوقف طبیعة هذا الاختراع الثقافی علی طبیعة

المشكلة • فاذا كانت المشكلة مادیة ووسیلتها فی الحل الوسیلة

المادیة كان هذا الاختراع الثقافی من نوع العناصر المادیة

مثل آلات الری والحاسب الالكترونی والتلیفون وماكینة الخیاطة

اما اذا كانت المشكلة خلقیة متعلقة بعلاقة الافراد بعضهم ببعض

كان هذا الاختراع الثقافی من نوع العناصر المعنویة ای كان حل

هذه المشكلة عن طریق قانون اجتماعی او قاعدة خلقیة اوتقلیدا وعرفا

یمكن التوصل الیه عن طریق الاختراع •فطریقة الافراد فی التحیة

فی مجتمع ما وطریقتهم فی الزواج انما هی اختراع ثقافی اجتماعی •

والاختراع یختص به عدد قلیل من افراد المجتمع دون سائر

الافراد الاخرین حیث ان هؤلاء الافراد استطاعوا ادراك النقص

الثقافی فی المجتمع واستطاعوا عن قصد ووعی علاج هذا النقص

عن طریق اختراع شیئا جدیدا او اكتشاف شیئا لم یكن معروفا

من قبل • فقد استطاع جیمس وات اختراع الآلة البخاریة • واستطاع

كریستوف كولمبس اكتشاف امریكا •

وهناك ثلاثة اسباب تدفع الفرد الى الاختراع :

ل هذه الاسباب: وجود دافع فى داخل الفرد : حيث ان بعض
افراد يسعى جادا من اجل التوصل الى اختراع ما لاشباع رغبة
داخله • وتحقيق ذاته • فالمخترع يجب ان يشعر هو باهمية
اختراع الذى سوف يتوصل اليه ويكون على اقتناع تام بقيمة
لك للمجتمع •

ن الاسباب ايضا : التى تدفع الفرد الى التوصل الى اختراع معين هو
تقاضاه هذا الفرد من مكافأة ماليه نظير هذا الاختراع حيث
اى اختراع يتم التوصل اليه من قبل الافراد يكون ذلك نظير
فأة مالية من المجتمع اعترافا منه باهمية هذا الاختراع كوسيلة
وسائل تقدم المجتمع ورقيه • وتشجيعا للافراد الاخرين
اهموا بدورهم فى اختراع جديد •

سبب الثالث : الذى يدفع الفرد الى الاختراع هو حاجة الفرد
الحصول على الشهرة والسمعة من جانب افراد المجتمع فكل
يامل كل الأمل ان ينظر له الجميع نظرة اعجاب وان يتحدث
الاخرون ويمجدونه • وبذلك فهو يحاول ان يتوصل الى اختراع
بدا يرتبط باسمه •

ومن الجدير بالذكر ان الاختراعات لاتتساوى فى قيمتها
يث نظرة المجتمع والافراد • فالاختراع المادى يلقى اهتماما
دا من جانب الافراد ومن جانب المجتمع فى حين ان الاختراع
تماعى قد يلقى معارضة ومقاومة فى نفس الوقت • فالذى يخترع
زا او آلة تعلن عنها الجرائد وتدعو الى تقديرها ومكافأة اصحابها

اما اولئك الذين يخترعون فى النواحى الاجتماعية ينظر اليهم من افراد كثيرين من جماعات مختلفة بعين الشك والكراهية حيث ان هذا الاختراع الاجتماعى قد يتناول جانبا يتعلق بقيم هؤلاء الافراد ويعمل على هزها من اساسها تلك القيم التى تقوم عليها شخصية هؤلاء الافراد وبنيت من خلالها مؤسساتهم الاجتماعية اى ان الاختراع الاجتماعى اصعب تحقيقا واقل اعترافا من الاختراع المادى

واى اختراع يتوصل اليه الانسان لايكون من فراغ بالرغم من انه شئ جديد لم يكن موجودا من قبل . حيث ان نظرية الاختراع الثقافى ترى ان الانسان لايضنع شيئا جديدا مائة فى المائة وان كل جديد فى مستحدثات الانسان انما هو جديد فى صورته النهائية حيث ان الجديد فيه هو تركيبه النهائى . اما عناصره واسسه فهى مستمدة من عناصر قديمة .

فالذى اخترع التليفزيون وهو جهاز جديد بلاشك لم يخترعه اصلا من العدم وانما استخدم فيه عناصر ثقافية قديمة مألوفة لديه مثل : الظاهرة الكهروضوئية ومادة السهزيوم . وفكرة كاميرا التصوير وكذلك فكرة الارسال والاستقبال فى جهاز الراديو . فكل هذه الافكار كانت معروفة من قبل ومالوفة لدينا ولكن امكن منها جميعا التوصل الى جهاز اخر وهو التليفزيون يتميز بخصائص لاتتوافر فى كل جزئيه من هذه الجزئيات على حده .

وتنقسم المخترعات الى نوعين : مخترعات اساسية ومخترعات متطورة فالاختراع الاساسى هو ذلك الاختراع الذى يقوم على فكرة علمية

أو مبدأ علمى او مبدأ علمى او قانون او نظرية ويؤدى الى اختراعات اخرى بمرور الوقت بعد ادخال بعض التعديلات عليها . اما الاختراع المتطور فانه عبارة عن اختراع اساسى ادخلت عليه بعض التغييرات والتعديلات بحيث يصبح قابل للاستعمال والتطبيق فى الحياة العملية . اى ان الاختراع الاساسى عبارة عن فكرة نظرية . اما الاختراع المتطور هو ترجمة هذه الفكرة النظرية الى جهاز يكون له فائدة واستعمال فى الحياة العملية .

فالفكرة العلمية التى يقوم عليها ارسال الموجات السلكية واللاسلكية والتليفزيون اختراع اساسى . اما جهاز التليفزيون بصورته الحالية فهو اختراع متطور .

وقد يظهر نفس الاختراع عن جماعتين بشريتين او اكثر فى نفس الوقت دون اتصال بينهما . وقد يعزى ذلك الى تشابه المشكلات وتشابه البيئات الثقافية التى تظهر فيها هذه الاختراعات . مثال ذلك : اختراع فكرة الهرم فى مصر القديمة وفى المكسيك القديمة . واختراع العجلة فى مصر وفى بابل فى نفس الوقت . بل ان كثيرا من المخترعات الحديثة ظهرت فى نفس الوقت فى جماعات مختلفة دون اى اتصال بينهما مثل التليفزيون والمركب البخارى . كما اننا نجد ان فكرة التربية الحديثة التى تقوم على اساس ميول الطفل ونشاطه وجدت فى الولايات المتحدة وسويسرا وفرنسا فى نفس الوقت .

ونجد ان هناك عددا من العوامل يؤثر فى الاختراعات من حيث العدد والنوع . اول هذه العوامل تعدد العناصر الثقافية

ودرجة تعقدها • حيث ان الثقافة التى تحتوى على عدد اكبر من العناصر الثقافية المعقدة تتيح الفرصة لافرادها بان يقوموا بالاختراع اكثر من افراد الثقافة التى تحتوى على عدد اقل من العناصر الثقافية

ويلعب حجم السكان دورا هاما فى الاختراع حيث ان تاثيره يشمل عدد المخترعات ونوعها • فاذا افترضنا ان نسبة العقول المخترعة واحدة فى جميع المجتمعات فان عدد هذه العقول يزداد بزيادة عدد السكان وهذا يؤدى الى زيادة عدد المخترعات اى انه كلما ازداد عدد السكان ازداد عدد العباقرة عند تساوى مختلف الظروف الاخرى •

كما ان اهتمام الافراد انفسهم فى داخل الجماعة بنوع معين من الاختراع اكثر من اهتمامهم بنوع اخر حيث ان الاختراعات تشمل اختراعات تكنولوجية واختراعات اجتماعية فبعض المجتمعات تهتم بالمخترعات المادية التكنولوجية اكثر من اهتمامها بالمخترعات المعنوية الاجتماعية • وقد يحدث العكس فى مجتمعات اخرى •

وللبيئة الطبيعية دورها كذلك فى الاختراع حيث ان طبيعة البيئة تساعد على ظهور الاختراع او قد تكون عائقا دون ظهوره • فنجد مثلا ان الثقافة البيئية الزراعية تساعد على اختراع الات جديدة تساعد فى عملية الميكنة الزراعية والتوصل الى انواع جديدة من البذور تزيد من معدلات انتاج الفدان فى حين انها فى البيئة الصناعية تساعد على اختراع الات جديدة تستخدم فى مختلف عمليات الصناعة

كما انها توجه الاهتمام نحو اكتشاف ما في باطن الارض من المواد الخام التى تستخدم فى مختلف الصناعات . اما الثقافة التى تقع بيئتها الطبيعية على البحر فانها تتيح الفرصة لافرادها القيام بالمخترعات الخاصة بالناحية البحرية .

وتلعب الصدفة دورها فى الاختراع فاكتشاف امريكا عن طريق الصدفة حيث ان كولومبس لم يكن يقصد ان يكتشف امريكا ولكنه كان يبحث عن الهند . وقوانين الميكانيكا التى توصل اليها نيوتن جاءت ايضا عن طريق الصدفة حيث انه يقال انه لاحظ سقوط تفاحة من الشجرة وقد اثار ذلك تفكيره وبدأ يتساءل عن اسباب هذه الظاهرة الى ان توصل الى وجود جاذبية فى باطن الارض للاشياء . واستطاع ان يصيغ قوانينه الثلاثة التى هى اساس علم الميكانيكا الديناميكية للآن . ومن الجدير بالذكر ان كل فرصة متاحة لاتساوى الافراد من حيث استغلالها . فكثيرا من الافراد اتيحت الصدفة امامهم ولكنهم لم يستغلوا ذلك خير استغلال حيث ان ذلك يتطلب ان يستخدم الفرد ذكائه ويحقق تفكيره لكى يصل الى اختراعه او اكتشافه . وهنا نتذكر الحكمة التى تقول "الصدفة لاتأتى الا لمن يستحقها " .

ننتقل الى الطريقة الثانية من طرق تكوين الثقافة وهى النقل او الاستعارة حيث ان اى عنصر ثقافى جديد تتوصل اليه جماعة من الجماعات او اى اختراع جديد بداخلها لايمكن كتمانه بحيث يصبح قاصرا عليها فهذا امر صعب بل مستحيل حيث ان طبيعة العصر وما يسوده من انفجار معرفى هائل وتقدم علمى كبير تفرض نفسها

على الجماعات المختلفة بأن يحدث تبادل ثقافي فيما بينها فالعلم ليس حكرا على مجموعة من الافراد بل انه للجميع دون قيد اوشرط

فنجد ان الحضارة اليونانية القديمة شعت بنورها على الكثير من الحضارات في مختلف ارجاء العالم وكذلك الحضارة المصرية القديمة كانت اساسا قامت عليه الكثير من الحضارات الاخرى . وفي العصر الحديث فان الحضارة الاوربية تعتبر مركز اشعاع لكثير من الحضارات فكل حضارة تاخذ من الحضارات الاخرى وتعطى لها في نفس الوقت .

وتختلف الثقافات فيما بينها من حيث القوة والضعف فهناك ثقافة قوية تستطيع ان تشع بضوئها على الثقافات الاخرى وتسمى ثقافة غازيه وهناك ثقافة ضعيفة يمكنها ان تاخذ وتقتبس من الثقافات الاخرى . وتسمى ثقافة مغزوة ومن ثم فان عملية النقل اوالاستعارة أو الاقتباس من ثقافة الى ثقافة اخرى تساعد في تكوين ثقافة جماعة من الجماعات .

على ان عملية النقل الثقافي في هذه اوعملية الاقتباس او الاستعارة لاتتم بالطريقة السهلة الميسورة كما يتبادر الى الذهن في بادئ الامر ولكنها عملية شاقة وصعبة اذ ان عملية النقل الثقافي تعني ان تحل عناصر ثقافية أجنبيه محل العناصر الثقافية القومية والعناصر الثقافيه الاجنبية هذه عندما تتحرك من موطنها الاصلي لغزو ثقافة اخرى لكي تحل محل عناصرها الثقافية الاصلية فانها لاتجد الطريق ممهدا لها والباب مفتوحا على مصراعيه والافراد لها مرحبين مصفقين ولكنها تقاوم بعنف وبحدة من قبل افراد الجماعة .

وبذلك فان عملية الاستعارة او النقل الثقافى غالبا ماتكون مقترنة بمعارك ضارية وتضحيات كثيرة قد تصل ببعض الافراد الى التضحية بحياتهم ويعزى ذلك الى الاسباب التاليـــــه :

* ليس من السهل ان تستبعد جماعة من الجماعات عناصرها الثقافية فجأة ليحل محلها عناصر ثقافية جديدة مستعارة طبقا لنظرية القصور الذاتى حيث ان الجسم المتحرك بسرعة لايستطيع ان يتوقف فجأة . فعندما ينزل شخص من اتوبيس وهو يتحرك فانه لايتوقف فجأة حيث انه يستمر فى حركتـــه بعد نزوله فترة والا فانه يسقط على الارض . وكذلك عمليـة النقل الثقافى فانه عندما تحدث فجاة ودون تمهيد فانهـا تقاوم بكل الطرق من جانب الافراد .

* ومن الاسباب التى تؤدى الى مقاومة النقل الثقافى ايضـا اعتزاز افراد الجماعة بثقافتهم القومية . تلك الثقافة التـى اصبحت جزء من الفرد بل تمثل كيانه وبذلك فاى تهديد خارجى لهذه الثقافة فانه يعتبر تهديد للفرد ذاتـــه ومن ثم فانه يقاوم بقوة اية عناصر ثقافية تغزو ثقافته من الخارج

* والثقافة فى حد ذاتها لها طبيعتها الديناميكية الحيــة حيث انها لاتقف مكتوفة الايدى فى وجه ثقافة اخـــرى تهاجمها وتحاول ان تقهرها وتنتصر عليها ولكنها تقـاوم تلك الثقافة الغازية وتمنعها من الدخول والانتشار حـتى لاتحل محلهـا .

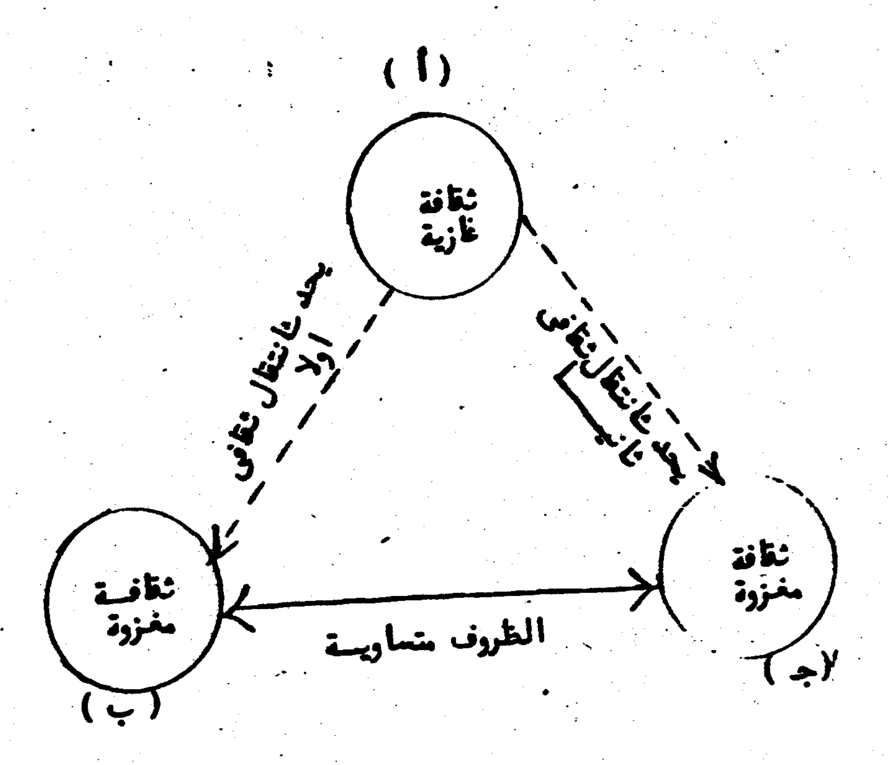
* وقد ترجع مقاومة الثقافة الاجنبية الى ان بعض الافـــراد يستفيدون من العناصر الثقافية القومية فى حين ان دخول عناصر ثقافية اجنبية قد يهدد مصالحهم الشخصية وتقف حائلا دون تحقيق مآربهم الشخصية فهم بذلك يقاومـــون عملية الاستعارة او النقل الثقافى حتى تظل العناصـــر الثقافية الاجتماعية محققة لمصالحهم ولاهدافهم

فاى مستحدث ثقافى لابد وان يكون قد لاقى مقاومة بغض النظر عن اهميته وعن فائدته لافراد المجتمع . فالطباعة كمستحدث ثقافى واجهت مقاومة شديدة من قبل الافراد واستطاعوا تبرير ذلك بالحجـــج والاسانيد الباطلة حيث ادعوا ان سيور الات الطباعة من جـــلد الخنازير . وكيف يكتب العلم العلم بجلد الخنازير بل انهم ادعـوا كذلك بان مدادها منافى للطهارة . فلا ينبغى ان تكتب به الكتب الدينية كما ان القاطرة البخارية فى بداية استعمالها لم يقتنع الناس بها وحاربوا ذلك بشدة وظلوا لفترة طويلة دون استعمالها . وكل نظريات العلم سواء ا كانت فى الطب او الزراعة او الصناعة اوغير ذلك . وجدت صراعا وحوربت فى بدايتها وتاريخ الانسانية حافل بالكثير من المواقف التى تفيد فى هذا الشان . فكثير من العلماء اعدم واحرق نتيجة لتوصله الى مستحدث ثقافى جديد مثل جاليليو ولافوازييـــه .

وعملية النقل الثقافى لاتحدث بطريقة عشوائية بل انها تتـــم وفقا لمعايير معنية من بينهـــا :

* عندما تتساوى الظروف فان العناصر الثقافية تنتقل اول ماتنتقل الى الثقافات القريبة اولا ثم الى الثقافات البعيدة ثانيـــا

ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالى



فنجد ان الثقافة الغازية (أ) عندما تنتقل عناصرها الثقافية فانها تنتقل الى الثقافة (ب) قبل ان تنتقل الى الثقافة (جـ) عندما تكون ظروف كل من هاتين الثقافتين واحدة .

واقتراب الثقافة المغزوة من الثقافة الغازية ليس كافيا على انتقال العناصر الثقافية بل يجب ايضا ان يكون هناك ــ اتصال بينهما ــ ويستمر هذا الاتصال لمدة زمنية ففى مجتمعنا لم نقتبس من الغرب الابعد اتصالنا به عن طريق الحملة الفرنسية وباستمرار هذا الاتصال امكن اقتباس بعض العناصر الثقافية الفرنسية لتدخل ثقافتنا . ونجدان بعض هـــذه

العناصر تم قبوله في حين ان البعض الاخر ظل مترددا بين القبول والرفض في حين ان هناك عناصر اخرى لاتزال مرفوضة في كليتها وتبقى خائرة تائهة بين جنبات الثقافة القريبة

* ومن معايير النقل الثقافي كذلك ان العناصر الثقافية المادية اسهل في الاستعارة والاكتساب من العناصر الخلقية المعنوية نظرا لعدم ارتباط العناصر المادية بالقيم ولا بالعقائد الدينية ولا بالمثل الخلقية . فمن السهل ان ينتقل الانسان من استخدام الجمال كوسيلة للانتقال من مكان لاخر الى استخدام السيارة ولكنه من الصعب ان يتحول الانسان من فرد متدين ملتزم تقية يؤمن بفعل الخير ويسعى نحوه الى فرد يرتكب الزنا ويشرب الخمر . ولهذا كانت العناصر المادية في الثقافات ايسر اكتسابا واسهل استعارة من العناصر المعنوية .

* ومن المعايير التي تحدد عملية النقل الثقافي ايضا ان العنصر الثقافي يسهل استعارته واكتسابه اذا استطاع ان يثبت فائدته عمليا ويقاس النتائج الملموسة . فالعنصر الثقافي الكتسب لا يسمح له بالدخول الى مجتمعه الجديد ببساطة وسهولة ولكنه يواجه مقاومة من الافراد ومن عناصر الثقافة القومية كما سبق القول ويدخل هذا العنصر الثقافي الجديد في صراع وتنافس مع العناصر الثقافية القديمة فاذا ما استطاع هذا العنصر الثقافي الجديد ان يحقق حاجة من حاجات الافراد التي عجزت العناصر الثقافية القديمة عن تحقيقها

فانه يمكن ان يندمج في الثقافة بنجاح ويصبح جـــزءا من النمط الثقافي الكلي • ويعتنق عدد من الافراد هـذا العنصر الثقافي الجديد ويدعون اليه ويزداد عددهـم شيئا فشيئا ليستقـر الثقافــة ويتخذ لنفسه مكانا فيها •

x x x

خصائص الثقافـــــة

بالرغم من اختلاف الثقافة من مجتمع لاخر الا انه هناك عدة خصائص عامة تشترك فيها الثقافات جميعا ومن هذه الخصائص نذكر الآتـــــى :

(١) الثقافة انسانيـــــة :

فالخاصية الاولى للثقافة انها انسانية ٠ اى خاصـــــة بالانسان وحده دون سائر الحيوانات المختلفة فالثقافـــــة هى التى تميز الانسان عن الحيوان حيث ان الحيوانـــــات ليس لها ثقافة ، وتميزه عن النبات كذلك ،فعالم النبـــات لاثقافة له ٠ فالانسان متميز عن الكائنات الحية الاخـــرى بالذكاء وحرية الارادة ٠ فهما بين الانسان فى بناء ثقافتـــه وبدونهما لايكون هناك ثقافة فليس هناك مستوى من مستويات الكائنات الحية المختلفة تشارك الانسان فى الذكاء وفـــى حرية الارادة وفى القدرة على التكيف والتكييف ٠ ولذا انفـرد الانسان بالثقافة ولذا ايضا صح ان نقول ان الثقافـــــة ذات طبيعة انسانية اوطبيعة بشرية ٠

ومستوى الثقافة الذى يصل اليه الانسان من حيث الحجم والتعقيد يرتبط ارتباطا وثيقا بمستوى ذكائه وما يتمتع به من حرية ارادة وقدرة على التكيف مع البيئة وتكييفها هى ايضا لظروفه ٠ فالانسان الحديث اعمق ثقافة من الانسان البدائى

بل ان التفاوت بين الثقافات فيما بينها من حيث القوة والضعف فى فترة زمنية واحدة يرجع الى ماتتمتع به الجماعة من اطلاق الذكاء ومن تحرير الارادة .

(٢) الثقافة متعلمة:

وتتصف الثقافة بانها متعلمة اى انها سلوك متعلم لا يولد به الانسان ويرثه مع ما يرث من تراثه البيولوجى كطول القامة ولون العينين وغير ذلك ولكنها ارث اجتماعى يتعلمه الفرد ويكتسبه نتيجة وجوده فى جماعة ونتيجة مروره بعملية التطبيع الاجتماعى منذ ولادته فى الاسرة ثم تعامله مع رفاقه فى اللعب وزملائه فى المدرسة وخروجه الى المجتمع العام . ويساعد فى عملية التطبيع الاجتماعى هذا ما يتميز به الوليد البشرى عن سائر الحيوانات الاخرى من عجز ومطاوعة شخصيته ومرونتها .

وعندما نقول ان الثقافة تتصف بانها متعلمه فهذا لا يعنى ان كل سلوك متعلم هو ثقافة . فالحيوانات تتعلم وبالرغم من ذلك ليس لديها ثقافة . ولعل التجربة التى قام بها "كلوج " وزوجته تفيد فى هذا الصدد حيث انهما كانا يهدفان اساسا الى توضيح الاختلافات الاساسية فى السلوك المتعلم بين الانسان والحيوان حيث انهما استطاعا الحصول على " شمبانزى" صغيرة فى نفس عمر ابنهما حيث قاما بتربية ابنهما والشمبانزى معا وتحت نفس

الظروف . فكانا يتناولا نفس الطعام ويرتديا نفس الملابس . .
ويلعبا في اوقات واحدة وينأما في مواعيد واحدة ويتلقيا
نفس التعليمات . وكانت نتيجة هذه التجربة ان الشمبانزى -
تعلمت بنفس السرعة التى تعلم بها الابن . بل ان الشمبانزى
كانت تفوق الابن في بعض الاعمال التي تتطلب قدرة جسمية
فكانت الاصوات التى استعملها الابن والشمبانزى واحدة
فاستعملا نفس الصوت عند طلب الطعام وعند العطش وعند
الالم وعند طلب اللعب الا انه عندما بدأ الابن يتعلم اللغة
فانه فاق الشمبانزى وتفوق عليه تفوقا ملحوظا واصبحت هناك
مسافة كبيرة تفصل بينهما . فعن طريق اللغة استطاع الطفل
الاشتراك في بيئته الاجتماعية يتفاعل معها ليتأثر بها ويوثر
فيها ويكتسب ثقافتها دون ان يظهر ادنى اثرا لذلك على
الشمبانزى .
فهذا القصور في التجمعات الحيوانية يرجع اساسه الى
استعمال الرموز اللغوية في المجتمعات الانسانية وعدم وجودها
في التجمعات الحيوانية . فنمو الثقافة وتطورها يعتمدان
على اختراع الرموز واستعمالها ويعبر " لسلى هوايت " عن
هذه الفكرة فيقول : " ينبع جميع السلوك الانسانى من
استعمال الرموز . فلقد كان الرمز هو الذى استطاع ان يحول
اجدادنا الى انسان . فجميع الحضارات نبعت واستمرت عن
طريق استخدام الرموز فقط . فجميع السلوك الانسانى يعتمد
على استعمال الرموز اى ان السلوك الانسانى هو سلوك رمز
والسلوك الرمزى سلوك انسانى .

فالفرد مهما بلغ من مستوى ذكاء وتمتع بحرية الارادة لايستطيع ان يقيم لنفسه ثقافة لان مواقف حياة الفرد ومشكلاته بعيدا عن الجماعة ليس لها قيمة بل ان حاجاته المختلفة من حاجات بيولوجية وحاجات اجتماعية وحاجات نفسيه تنخفض الى اقل مايمكن .

فاساس تكوين الثقافة هو الحياة الاجتماعية للافراد فالجماعة التى تعيش افرادها حياة منعزلة لاتستطيع ان تصل الى ثقافة خاصة بها تميزها عن سائر الجماعات الاخرى لان المعيشة الجماعية هى التى تؤدى الى ظهور نوع من الصراع والتنافس بين الافراد مما يؤدى الى ظهور مشكلات مادية وخلقية وهذا بلاشك يؤدى الى وجود نوع من التعاون والتنافس فى نفس الوقت من اجل حل هذه المشكلات التى تهدد حياة الجماعة وتنشأ الثقافة كردود وحلول لكل هذه الاحوال داخل الجماعة .

وهناك معنى اخر للقول بان الثقافة ذات طبيعة اجتماعية وهذا المعنى هو ان الثقافة ومصدرها الاساسى المجتمع . فالفرد لايستقى ثقافته من فراغ ولكن من المجتمع الذى يعيش فيه فهو لايستقى ثقافته كما يتنفس الهواء . بطريقة ليس له فيها حرية الاختيار . فالثقافة تفرض نفسها عليه بحيث لاتترك له مجالا للحرية فى قبولها اورفضها

فالفرد فى مراحل حياته الاولى يتشرب ثقافته كما هى دون تدخل من جانبه ولكن عندما يتقدم به العمر يحاول هو بدوره ان يحلل هذه الثقافة ليتقبل منها مايتمشى مع استعداداته وميوله ويشبع حاجاته ويرفض منها بعض العناصر التى لاتحقق له اهدافه وتشبع ميوله ورغباته وحاجاته محاولا حذف هذه العناصر او العمل على اجراء تعديلات وتغييرات عليها لتصبح وظيفية فى حياته الحاضرة والمستقبلة

والثقافة لاتتكون عن طريق اتصال الافراد فيما بينهم داخل الجماعة الواحدة فقط ولكنها ايضا تحتاج اتصال الجماعات المختلفة . فثقافة جماعة ليست ملكا لتلك الجماعة وحدها وليست حكرا عليها ولكنها ملكا للجماعات الاخرى يمكنها ان تاخذ منها بعض العناصر التى تستطيع ان تنمى بها ثقافتها وتطورها . ويمكن القول بان الثقافة اجتماعية سواء بين الافراد فى داخل الجماعة الواحدة او بين الجماعات فيما بينها .

(٤) الثقافة قابلة للانتقال من جيل الى جيل :

الثقافة كما انها تنتقل من فرد الى فرد ومن مجتمع لاخر تنتقل كذلك عبر الزمن من جيل الى جيل . فالثقافة التى بين ايدينا الان لم تكن قد توصلنا اليها بين يوم وليلة وبنفس الدرجة من التعقيد والتراكم بل انها تكونت خلال تاريخ البشرية الطويل بانتقالها من جيل الى جيل .

فكل جيل ياخذ ثقافة الجيل السابق • ويعمل جاهدا علـــى تطويرها وتعديلها لتساير ظروفه وحياته • ولا يقتصر الامر على ذلك فحسب بل كل جيل يضيف هو بدوره الى ثقافة الاجيال السابقة لتاخذ الثقافة صفة التراكم والتعقيد • ويعطى هذا الجيل الحالى ثقافتـــــه ايضا للجيل اللاحق • ويمكن توضيح ذلك على النحو التالــــى :

الجيل السابق — الثقافة — الجيل الحالى — الثقافة — الجيل اللاحق

محتوى بسيط من الثقافة — محتوى ثقافى اكثر تعقيدا — محتوى ثقافى اكثر تعقيدا من المحتوى السابق

ونجد ان هناك علاقة طردية بين درجة تحضر المجتمعات ودرجة تعقد العناصر الثقافية وتزايدها حيث انه كلما كان المجتمع متحضرا كلما ازداد محتواه الثقافى وتعقد اذا ما قورن بالمجتمعات البسيطة • ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى

محتوى ثقافى معقد ومتراكم

علاقة طردية

محتوى ثقافى بسيط وقليل

مجتمعات بدائية — درجة تعقد المجتمعات — مجتمعات متحضرة

وخاصة انتقال الثقافة من جيل الى جيل هامة جدا بالنسبة لافراد الجنس البشرى وبدونها كما وصلنا الى المدنية والحضارة التى تسود عصرنا هذا ويساعد على ذلك تداخل اعمار الافراد فى الاجيال المختلفة للمجتمع فاى مجتمع يمكن تقسيمه الى الى ثلاثة اجيال وهى : جيل الصغار ، وجيل التكوين ، وجيل الكبار . فلو افترضنا ان هناك مرض من الامراض استطاع ان على جميع افراد جيل التكوين . وجيل الكبار تاركا جيل الصغار وهم مازالوا فى طور فرديتهم البيولوجية . فهم لا يبدأون من حيث انتهى الاخرين ولكنهم يبدأون من الصفر . ومن تظهر اهمية الانتقال الثقافى واهمية مداخل اعمار افراد الجماعة

(٥) الثقافة متصلة ومتغيرة :

فالثقافة تشبه تيار المياه المتجدد والمتصل . فهى ليست حلقات منفصلة الاجزاء بل هى كل متصل فى المجتمع الواحد . والثقافة فى اتصالها متغيرة ايضا وليست ثابتة جامدة . فهى فى تغير مستمر تدخل عليها ملامح جديدة وتعقد ملامح قديمة وتختلف المجتمعات فيما بينها من حيث درجة تغير الثقافة . فهناك مجتمعات تتغير ثقافتها بسرعة كما يحدث فى المجتمعات المتقدمة فى الشرق والغرب ومجتمعات تتغير ثقافتها بدرجة متوسطة كما هو واضح فى القارة الاسيوية والقارة الافريقية وقليلا من المجتمعات تتغير ثقافتها بدرجة بطيئة جدا كما هو الحال فى بعض القبائل التى تسكن سفوح الجبال . ويرجع السبب فى اختلاف درجة التغيير

الى تطور كل ثقافة من ناحية وتوافر امكانيات المخترعات والتقدم العلمى من ناحية اخرى •

والثقافة الراقية لابد لها من امتداد زمنى يتم تكوينها فيه ويتم ايضا تطويرها ورقيها الا انه يمكن القول بانه ليس كل ثقافة ذات تاريخ طويل لابد وان تكون راقية • فالحضارة المصرية تمتد الى الاف السنين وتعتبر من اقدم الحضارات فى العالم • الا ان هناك بعض الحضارات بدأت بعدها بكثير من الوقت الا انها قد فاقتها فى كثير من جوانبها • وفى نفس الوقت نجد ان الثقافة الراقية من شروطها طول الامد واستمرار العملية التاريخية التى من ورائها •

وهناك حقيقة تاريخية للثقافة تجعلها تراكمية بمعنى انها تتعرض دائما لاضافات جديدة كلما مر الزمن • وكلما صادفت الجماعة مشكلات مع بيئتها الطبيعية ومع بيئتها الاجتماعية تعمل جاهدة على حل هذه المشكلات ويكون ذلك عن طريق التوصل الى عناصر ثقافية جديدة تضاف الى حصيلتها من التراث الثقافى فطالما ان الجماعة موجودة وان حياتها متصلة وانها نشيطة غير جامدة متطورة غير جامدة فانها تطور من ثقافتها وتضيف اليها كل جديد • وهذا يضيف الى الثقافة بعدين الاول هو بعد الحجم والثانى هو التعقيد :

ونظرا لان المواقف لاتعيد نفسها من جديد بنفس الكيفية فان الحلول القديمة اى العناصر الثقافية القديمة لايمكن ان تحل الموقف الجديد كما هى • ومع ذلك فان الانسان لايستغنى عنها ليخترع حلا جديدا اى لنضيف عنصرا ثقافيا جديدا ولكنه يتناول العنصر الثقافى القديم بالاضافة والحذف والتعديل • وبذلك يزداد حجم

هذا العنصر الثقافي القديم وتتغير طبيعته ويتفاعل القديم مع الجديد وليس من الضروري ان يكون هذا التفاعل كاملا ولكنه في بعض الاحيان قد يكون ناقصا . مثال ذلك:

" كان الانسان قديما يعتمد في علاج الامراض على السحر والدجل والتعاويذ الا انه اخيرا امكن التوصل الى علاج هذه الامراض عن طريق استخدام بعض العقاقير والنباتات . وبالرغم من ذلك فهذا الاختراع الجديد لم يخلصه من الطريقة القديمة ولا من العنصر الثقافي القديم . وانما امتزج معه وتفاعل معه وتعقدت طريقة العلاج بين الساحر وبين الطبيب وبين التعويذه وبين الدواء وتعقدت عقيدة الانسان نفسه فان المرض من فعل الشياطين او من فعل الحسد ومرانه من فعل المكروبات وما اليها . فاذا نظرنا الى عنصر الثقافة المتعلق بالمرض والشفاء فاننا نستطيع ان نرى كيف زاد حجمه وكيف تعقدت طبيعته في الالف سنة الماضية . فقد تعددت معلومات الانسان الخاصة بالأمراض عامة وبمرض معين خاصة وتعددت طرق علاجه دون أن يتنازل الانسان عن النظريات القديمة في الطب . فاضيفت كل النظريات التي تتناول الاعراض والتشخيص وانواع العلاج المختلفة المترتبة على كل وجهات النظر . ولم يستطع الاطباء بعد الاستغناء عن النظريات القديمة في موضوع معين وبذلك يزيد حجم العنصر الثقافي الخاص به مع زيادة تعقيده .

نخلص من ذلك بان الثقافة ليست منفصلة وليست ثابته جامدة ولكنها متصلة ومتغيرة دائمـــا .

(٦) الثقافة تشبع حاجات الانسان :

فمن خصائص الثقافة كذلك تنظيم حياة الافراد فى داخل المجتمع واشباع حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية والنفسية فاى عنصر ثقافى يوجد فى المجتمع لابد وان يكون له وظيفة فى اشباع حاجات الافراد . فالفرد فى حاجة الى طعام وفى حاجة الى الدفء وفى حاجة الى تكوين علاقات مع الاخرين وفى حاجة الى تحقيق ذاته الى غير ذلك من الحاجات ولن يتحقق له ذلك الا عن طريق العناصر الثقافية السائدة فى مجتمعه تلك العناصر التى تختلف باختلاف المجتمعات .

فالثقافة التى تستطيع سد حاجات الفرد واشباعها وتساعد الفرد على الشعور بالامن والطمانينه فى داخل المجتمع يكتب لها النجاح . ويحكم بها بالدوام والاستمرار فى حين انه عندما تعجز الثقافة عن اشباع الحاجات الاساسية لافرادها فهذا يعرضها للانحلال والانهيار ويدفع الفرد الى تغييرها او القضاء عليها او الخروج منها الى ثقافة اخرى يستطيع ان يجد فيها اشباعا لحاجاته .

فكما سبق القول نجد ان الثقافات لاتعيش منعزلة عن بعضها ولكن هناك دائما اتصال فيما بينها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نجد ان الثقافة متغيرة متجددة لتواكب التغيرات المختلفة التى تطرأ على البيئة الطبيعية

والبيئة الاجتماعية للافراد . وتشبع حاجات الافراد المختلفة الموجودة فعلا والتى تظهر نتيجة التغير الاجتماعى الذى يتميز به هذا العصر . فالفرد دائما يتطلع الى كل جديد يشبع له حاجاته المختلفة فهو دائما فى حالة اتزان مع بيئته طالما ان هذه البيئة تشبع حاجاته وتحقق له مستوى طموحه الذى يسعى جادا الى الوصول اليه فان لم تستطع هذه البيئة اشباع حاجات الفرد وتحقيق ما يدأب اليه من مستوى الطموح فانه يعيش فى صراع فى هذه البيئة ويحاول كل منهما ان يتغلب على الاخر . وبذلك يسعى الفرد للبحث عن عناصر ثقافية جديدة يدحض بها تلك العناصر الثقافية القديمة ويتخلص منها لتحل محلها وتشبع حاجاته وتحقق له مستوى طموحه . فلاشك ان انواع الصراع المختلفة التى تصيب الشخصية الانسانية فى ثقافة من الثقافات انما ترجع الى الفرق الشاسع بين حاجات الفرد الاساسية وبين مستوى الاشباع الذى تهيئه الثقافة لهذه الحاجات .

فهناك علاقة طردية بين درجة اشباع الثقافات لحاجات الفرد ودرجة اتزان الفرد مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التى يعيش فيها حيث انه كلما تحققت حاجات الفرد بدرجة كبيرة كان الفرد فى حالة اتزان مع بيئته وكلما تحققت حاجات الفرد بدرجة اقل ظهر نوع من الصراع بين الفرد والبيئة . ويتضح ذلك من الرسم المبين :

(٧) الثقافة متكيفة :

تنتقل الثقافة من الجماعة الى الفرد والفرد يتلقاها ويمتصها من الجماعة احيانا بوعى واحيانا من غير وعى اراد ذلك ام لم يرد • وما على الفرد الان يكيف نفسه لهذه الثقافة التى يتشربها من خلال معيشته مع افراد مجتمعه وعملية امتصاص الثقافة ليست بالعملية السهلة •ويكفى ان نعرف انها عملية حياة الفرد نفسها • فكل حياة الفرد لاتخرج عن كونها تكيف للثقافة وامتصاص لها وترويض لنفسه على قبولها وماعملية التعليم التى هى ممتدة من المهد الى اللحد الاعملية تكيف للثقافة وامتصاص لها •

وربما كانت هذه هى اصعب المسئوليات الملقاه على عاتق الانسان •ويكفى ان نتصور المعركة التى يجتازها الطفل منذ صغره بين نزعات نفسه وبين ماتفرضه عليه البيئة بخصوص مايجب ان يعمله ومايجب ان يتركه تحت طائلة الثواب والعقاب فى كل حالة • فهو يبذل جهدا كبيرا وهو يقاوم نزعات نفسه فى سبيل ان يلتقى مع الجماعة على ماتحب وما تكره وما تنتظره منه •

ولا يقتصر الامر عند هذا الحد ا والتكيف المرير من جانب الفرد للثقافة وانما يتعدى الى مسئولية الفرد عن تكييف الثقافة لنفسه ولحاجاته وهى صفة يتميز بها الانسان ايضا عن سائر الكائنات الحية الاخرى • فالانسان يحمل انسانه بـ

ويمتصها وينزل على حكمها ولكنه فى نفس الوقت يعمل على تعديلها وتكييفها لظروفة المتحددة • فهو مسئول كل المسئولية عن تكييف الثقافة لهذه الظروف المتغيرة لان فى هذا التكييف الثقافى مايحقق للثقافة رقيها وتقدمها ومايشبع للانسان حاجاته ويحقق للجماعة ذاتها ووجودها •

فالثقافة متغيرة • وتغير الثقافة يعنى المرونة والقدرة على التكيف ويكون تكيف الثقافة عن طريق الاستعارة والنقل من الثقافات الاخرى لبعض العناصر الثقافية التى تساعدها على تحقيق مطالب الانسان البيولوجية والاجتماعية والنفسية وتتمشى مع ظروف البيئة المادية والاجتماعية •

فتجدانه بمضى السنين وتغير الاحوال تختفى بعض الاشكال التقليدية التى لاتستطيع ان تشبع حاجات الافراد وتظهر حاجات جديدة تحتاج لتكيفات ثقافية جديدة وهذا لا يعنى ان الثقافة تمر بمراحل معينة من التطور بل على العكس قد تقدم التنظيمات الثقافية المختلفة حلولا لمشكلات متشابهة وقد تقدم التنظيمات الثقافية المتشابهة حلولا مختلفة •

(٨) الثقافة متكاملة :

يقصد بالتكامل الثقافى ان هناك قدرا من الانسجام الداخلى والارتباط الوظيفى بين عناصر الثقافة المختلفة وبالتالى بين عناصر المجتمع المختلفة يضمن للثقافة عدم انحلالها وعدم وجود مثل هذا التكامل الثقافى يؤدى الى اضطراب الفرد وتخبطه

ويفقد المجتمع كفائته وتظهر انواع من الصراعات المختلفة داخل المجتمع قد تؤدى الى انهيار المجتمع وتنتابه نوع من الفوضى والاضطراب

فالمجتمع الذى يسوده الديمقراطيه من الناحية السياسية واتوقراطية من الناحية الاقتصادية واقطاع فى الناحية الزراعية يكون غيرمتكامل ثقافيا • فالفلاح اوالعامل عندما يتمتع بحقوقه السياسية وبحقه فى الانتخاب فانه لايستطيع ان يعطى صوته فى الانتخاب لمن يريده هو حيث هناك اقطاعى او راسمالى يعمل عنده وهو الذى يتحكم فى صوته الانتخابى لمن يريده هو وبذلك فان الديمقراطية السياسية ان لم تكن متبوعة بديمقراطية اجتماعية واقتصادية فلاقيمة لها وهذا هوماكان موجودا فى المجتمع المصرى قبل الثورة — وفى السنوات الاولى من قيام الثورة •

وبذلك يمكن القول ان الثقافة المصرية قبل الثورة لم تكن تمتلك التكامل الثقافى الذى تتمتع به ثقافات اخرى كثيرة والذى تنشده الثقافات التى ترجو لنفسها الاستقرار والثبات •

فالثقافة التى تتيح للفرد تعليما الى درجة كبيرة ثم لا يقبل منه نتائج هذا التعليم ثقافةمتناقضة • والثقافة التى تعلم المرأة ثم تجبرها على الانعزال فى المنزل ثقافة متناقضة • والثقافة التى تعزل المرأة فى المنزل واذا ماتوفى عائلها رمتها فى خضم الحياة لتعمل ثقافة متناقضة • فهذه التناقضات الكثيرة فى الثقافة الواحدة تؤثر ولاشك فى انواع الصراع المختلفة التى تصيب الشخصيات المدركة لهذا التناقض •

وليس معنى التكامل الثقافى ان تظل الثقافة على حال واحدة من الجمود والثبات او ان يكون هذا التكامل الثقافى تاما كاملا • ولكن المقصود بالتكامل الثقافى ايضا ان الثقافة يمكن ان تمر بعملية تغيير وتحويل نتيجة مرونتها فالثقافة تكون عرضة للتغيير لانها نظام يهدف الى تكيف الافراد ـ والجماعات المختلفة ـ والافراد والظروف والجماعات عرضة جميعها للتغيير •

(٩) الثقافة ظاهرة ومتضمنة :

فالثقافة تظهر فيما يصنعه الانسان من ملابس واغذية واثاث والات وادوات واجهزة الى غير ذلك فكل هذه الاشياء يمكن ملاحظتها بسهولة والتعرف عليها عن طريق الحواس • ويكون لها وظائف مباشرة فى حياة الافراد وحياة المجتمع الا ان هذه المظاهر المادية للثقافة ماهى الا نتاج افكار المجتمع وتقاليده وعاداته ومثله العليا واتجاهاته نحو الطبيعة ونحو الحياة والاخرة • ومن هنا يتضح جانب اخر للثقافة وهو الجانب المعنوى اى المتضمن • فالثقافة اذن تشمل جانبين احدهما هو الجانب المادى او الظاهر ـ والثانى هو الجانب المعنوى او المتضمن •

وليس من السهولة فصل الجانب المادى للثقافة عن جانبها المعنوى ، فكثير من الاشياء المادية لا يمكن فهمه

الا اذا عرفنا ما يكمن خلفها من افكار وتقاليد وعادات ٠ فالشعائر الدينية اشياء ظاهرة لكن ممارسة الانسان للشعائر الدينية تعنى ايمانه بالدين والحساب فى الاخرة

والملابس اشياء مادية للثقافة الا انها تختلف فى طريقة اعدادها من جماعة لاخرى طبقا للجانب المتضمن فيها فطريقة عمل الملابس للنساء فى جماعة متدينة تختلف عنها فى جماعة غير متدينة حيث ان ملابس المرأة فى الجماعة المتدينة تكون بطريقة لاتظهر مفاتن جسمها ولا اطرافها ٠ اما فى الجماعة الاخرى قد تكون بطريقة تجعل المراة متبرجة تجذب انتباه الشباب — لتتغزل فى مفاتن جسمها ٠ ويرجع هذا الاختلاف الى القيم والمبادئ والمثل العليا التى تعتنقها كل من الجماعتين ومدى ايمانها بالجنة والنار والاخرة والحساب ٠

وبناء السد العالى يعنى الرغبة فى زيادة كمية المياة المخزونة لزيادة رقعة الاراضى الزراعية وتوفير الكهرباء للصناعة وتنمية اقتصاديات الدولة كما يرتبط بناء السد بالفلسفة الاشتراكية التى تعنى زيادة الدخل القومى وتحقيق الرفاهية للمواطنين ٠

(١٠) — الثقافة مثالية وواقعية :

فالثقافة مثالية لانها تتضمن الاساليب التى يعتقد الناس انه من الواجب عليهم ان يتصرفوا على اساسها ٠ وهى مثالية ايضا لانها تتضمن المثل العليا التى يؤمن بها المجتمع

كما ان الثقافة واقعية كذلك حيث انها لا تمثل السلوك الفعلى الواقعى للافراد . فمعظم المصريين يؤمنون بالدين الاسلامى ويؤمنون بالاخرة والحساب والجنة والنار ولكن السلوك اليومى الفعلى لهم لا يعبر عن ذلك خير تعبير . والمسيحية فى اوربا وامريكا مسألة مثالية اكثر منها واقعية . فالكثيرون هنـــاك يعترفون باعتقاد غير واضح فى العالم الاخر لكن القليلين يتخذون خطوات عملية لتحقيق ذلك فى حياتهم اليومية .

والكثير من الشعوب يؤمن بالاشتراكية والديمقراطيـــــة فانها طريق التقدم والرقى وتحقيق الرفاهية للافراد ولكـــن هذا مجرد شعارات ترفع وعبارات تطلق لم تدخل حيز التنفيذ ولم تجد لنفسها مكانا فى الواقع العملى والسلوك اليومى للافراد .

x x x x

ـ(وظائف الثقافــــــــــة)ـ

تعتبر الثقافة اساسا للوجود الانسانى للفرد والمجتمع الـــذى ينتمى اليه فهى توفر للفرد صورة السلوك والتفكير والمشاعر التى ينبغى ان يكون عليها ولاسيما فى مراحل حياته الاولى . حيث ان الطفـــل فى بداية حياته يتقبل الثقافة التى ينشأ فيها تقبله للهواء والمـــاء كما ان الثقافة هامة كذلك بالنسبة للعملية التربوية التى من خلالها يكتسب الفرد شخصيته حيث ينتقل الفرد عن طريقها من طور فرديتـــه البيولوجية الى طور شخصيته السيكولوجية والاجتماعية . وبذلك عنـــد تناولنا لوظائف الثقافة فذلك يشمل الفرد والمجتمع والعملية التربوية .

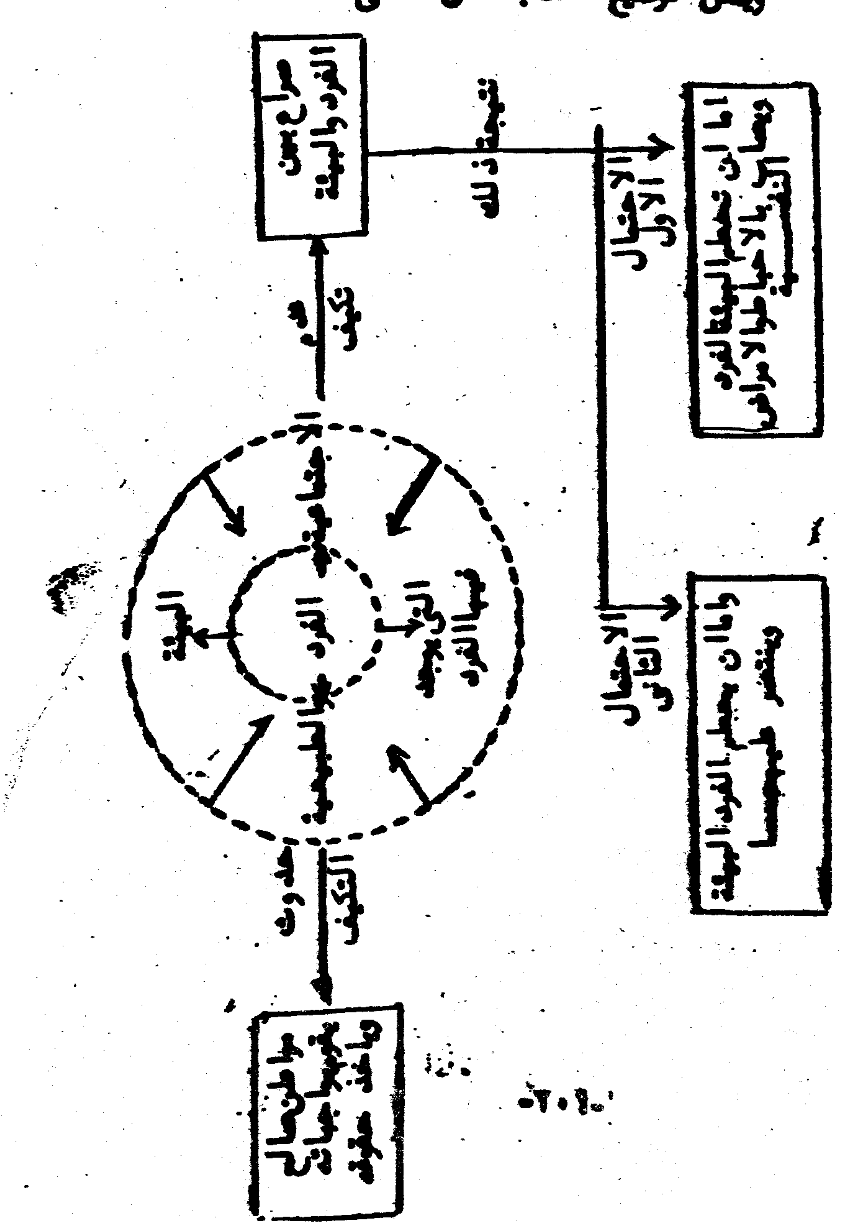
وظائف الثقافة بالنسبة للفرد :

١ـ توفر الثقافة على الفرد الكثير من الوقت والجهد اللذين كانا من المفروض ان يبذلهما عند حل الكثير من المشاكل التي تجابهه في حياته . فالفرد عندما يولد في مجتمعه لا يبدأ حياته ويكتسب خبراته من الصفر ولكن يكتسب تلك الخبرات التي توصل اليها سالفيه . فعندما تواجهه مشكلة ما فان الثقافة تمده بحلول هذه المشكلة حيث انها موجودة مسبقا وامكن التوصل اليها مثال ذلك: نوع الطعام ، طرق حماية الانسان لنفسه . كيفية معاملة الاخرين . استخدام الكهرباء في مختلف الاغراض . كل هذه الحلول يجدها الانسان معدة من قبل وماعليه الان يتعرف عليها . وبذلك نجد ان الثقافة تمد الانسان بسلوك مقطر من الخبرات الماضية . وبذلك توفر عليه الوقت والجهد اللذين كان عليه ان يبذلهما اذا ما اراد ان يبحث عن حل لهذه المشكلات التي تهدده في كيانه ووجوده .

٢ـ ثم ان للثقافة وظيفة اخرى في حياة الفرد وهي وظيفة التوافق بينه وبين الجماعة . هذا التوافق هو مصدر سعادة الفرد . وهو يعني الى اي حد يكون الفرد مقبول من الجماعة التي يعيش بينها او منبوذ عنها ، فمن المسلم به ان الجماعة لا ترضى عن فرد من افرادها الا اذا كان متوافقا معها ثقافيا " اي اذا سلك كسلوك بقية الافراد ولو بشكل عام . والثقافة لا تساعد الفرد على التوافق مع بيئته الاجتماعية فحسب بل بيئته الطبيعية ايضا

وعلى مقدار التوافق بين الفرد وبيئته الاجتماعية والطبيعية تتوقف القيمة النفسية للفرد وتتوقف قدرته على الاداء كمواطن فى امة وكفرد فى مجتمع . فكثير من الامراض النفسية ترجع فى الاصل الى عدم التكيف بين الفرد وبيئته .

ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالى :



فالفرد يعيش في بيئته في حالة اتزان طالما كانت هذه البيئة
تشبع حاجاته المختلفة • ويصبح هذا الفرد اكثر تكيفا مع البيئة
ولكن عندما تعجز هذه البيئة في اشباع حاجات الفرد فانه يصبح
غير متكيف معها • وينشأ بينهما نوع من الصراع تكون نتيجته
اما يحطم الفرد هذه البيئة • مثال ذلك (الرسول عليه الصلاة
والسلام) الذي استطاع ان يحطم القديم وينتصر عليه ويؤسس
- مؤسسات اجتماعية جديدة فكانت فتحا جديدا في التطور الانساني
واما ان تحطم هذه البيئة الفرد - مثال ذلك (سقراط) الذى
احبطت المؤسسات الاجتماعية السائدة في عهدة الكثير من آماله
فثار عليها فحطمته • ومن هنا تظهر اهمية الثقافة وقيمتها
في مساعدة الفرد على التكيف للبيئة الاجتماعية والطبيعية التي
يعيش فيها •

- والثقافة تكسب الفرد اتجاهات سلوكه العام باعتباره عضوا في مجتمع
اسلامي اومسيحي او في مجتمع انجليزي او عربي • مصري او سوري
فالفرد يستمد شخصيته وطبيعته من الثقافة فكل صفة وكل خاصية
من خصائص الشخصية الانسانية انما هي مستمدة من الثقافة
ونابعة منها • فشخصية الفرد ماهي الامجموعة الانطباعات التي
احدثتها الثقافة فيه • فلو ان فردا نشأ بعيدا عن الجماعة البشرية
لما استطاع ان يكون ادميا اطلاقا • ويتضح ذلك من قصة
الاطفال الذئاب • حيث وجد احد المبشرين في الهند عام ١٩٢٠
طفلتين كانت الذئاب قد اختطفتهما وهما مازالا في طور
فرد يتهما البيولوجية - سميت الاولى " آمالا " وكانت تبلغ من العمر

عام ونصف ـ وسميت الاخرى " كمالا " وكانت فى حوالى الثانية من عمرها • على ان الطفلة الصغيرة سرعان ماتوفيت اما الطفلة الكبرى عاشت فى ملجأ للايتام مايقرب من تسع سنوات •

وبالرغم من ان كمالا كانت انسانة بيولوجيه الا انها كانت حيوانة اجتماعية حيث ان الناظر اليها لم يلاحظ اى اثر لتربية انسانية بل ان سلوكها كان يشبه سلوك الذئاب تماما • فكانت تمشى على اربع كما تمشى الذئاب ولم تكن تستعمل يديها فى تناول الاشياء كما يفعل الانسان • وكانت عاداتها تختلف عن عادات الانسان وتتفق مع عادات الذئاب • فكانت تفضل الظلمة على النور وترفض اللحم المطهية • وتفضل اللحم غير المطهية • وكانت تلعق الماء ولا تشربه • وبذلك يتضح ان " كمالا " كانت لها جميع المميزات الانسانية من الناحية البيولوجية فقط دون ان تكون لها هذه المميزات من الناحية الاجتماعية اى انها لم تستطع ان تكون لها ذات انسانية •

ويتضح اثر الثقافة كذلك فى اكساب الفرد طابع شخصيته اذا احضرنا توأمين متماثلين وهما الناتجين من انقسام بويضة واحدة فهم بذلك يشتركون فى الصفات الوراثية الى حد كبير فان ترك احد هذين التوأمين يعيش فى بيئة عربية اسلامية والاخر فى بيئة امريكية مسيحية • فنجد ان التوأم الاول يصبح فرد عربى مسلم ـ والتوأم الثانى يصبح فرد امريكى مسيحى • غير ان تشكيل الثقافة للفرد على هذا النحو لايعنى الغاء فرديته اذ بواسطتها تنمو امكانياته وتتحقق قدراته التى تغنيها هى ـ لا

وذكاء • ومن ثم يصبح قادرا على الاختيار والتمييز الواعى •

٤ـ وتقدم الثقافة للفرد تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون واصل الانسان ودوره فى هذا الكون • وهذه التفسيرات قد تكون غيبية او علمية كما ان الثقافة تقدم للفرد الاستجابات المختلفة للمثيرات الثقافية الموجودة فى البيئة • فمواقف الحياة المختلفة تكون الثقافة قد حللتها مسبقا وقامت بتفسيرها وعن طريق عمليتى الثواب والعقاب يستجيب لها الفرد تلقائيا بعد ان تكون قد اصبحت جزءا من سلوكه ويتضح ذلك جليا عندما ينتقل الفرد من ثقافته الى ثقافة اخرى لم يخبر عنها شيئا من قبل فانه يحدث له توتر وارتباك عند استجابته للمثيرات الثقافية التى تسود هذه الثقافة • مثال ذلك ان الفرد فى جمهورية مصر العربية عندما يسير فى الشارع يعرف ان السيارات تسير فى الجانب الايمن من الشارع ـ فى حين انه لو انتقل الى انجلترا مثلا فانه سيجد ان السيارات تسير فى الجانب الايسر من الشارع مما قد يحدث له اضطرابا • فى حين ان الفرد الانجليزى يسير فى الشارع والسيارات تسير فى الجانب الايسر ويعتبر هذا بالنسبة له امر طبيعى حيث ان ثقافته قد اعطت له مقدما الاستجابة لهذا المثير واصبحت تكون جزءا من سلوكه العام •

يتضح من ذلك ان الثقافة تمد الفرد فى معظم المواقف التى من المحتمل ان يواجهها فى حياته بمجموعة من المثيرات المختلفة الموجودة فى ثقافته • كما انها تمده ايضا بالاستجابات المناسبة لهذه المثيرات ليكتسب طرقا من السلوك ويتعود عليها وتصبح مالوفة بالنسبة له وللافراد جماعته •

ه-بالاضافة الى الوظائف السابقة للثقافة بالنسبة للفرد نجد انها تساعده ايضا على التنبوء بسلوك الافراد الاخرين وسلوك الجماعة التي يعيش معها في المواقف المختلفة مقدما . فالفرد لا يستطيع ان يتعامل مع الناس الا اذا كان يعرف مقدما القوانين المختلفة التي تحكم سلوكهم ، ويتصرف على اساسها .

فاذا عرفنا الانماط الثقافية التي تسود الجماعة التي ينتمي اليها الفرد امكننا ان نتنبأ بانه سيسلك حسب هذه الانماط الثقافية في معظم المواقف التي يواجهها وأداة هذا التنبوء قوانين الثقافة نفسها بما تحويه من قيم تضبط حياة الجماعة ومثل عليا واحكام خلقية ، وانماط سلوك واقعي ومعترف بها في مختلف المواقف . كل هذا يمكن افراد المجتمع الواحد بالتنبوء بالسلوك مقدما .

فاذا ما قابلنا فرد من ثقافة اخرى ونحن لا نعلم قوانين هذه الثقافة ومايسودها من قيم وعادات ومثل فاننا بلاشك لا نستطيع ان نتنبأ بسلوك هذا الفرد ، وبالتالي لا نعرف كيف نعامله على اساس ما نتوقعه من سلوكه ونقع في كثير من الحيرة والاضطراب . وبذلك تمدنا الثقافة بمجموعة من التوقعات التقليدية التي نعتمد عليها في حياتنا وبدونها لا تستطيع الجماعة أن تستمر وتبقى في حياة اجتماعية مستقرة ومنظمة .

وظائف الثقافة بالنسبة للمجتمع :

فالثقافة تساعد الجماعة على حفظ بقائها واستمرارها حيث انها تستطيع ان تمد افراد الجماعة بمجموعة من الانماط السلوكية التي عن طريقها يتمكن الافراد من اشباع حاجاتهم البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس

ومسكن وتناسل الى غير ذلك من الحاجات الضرورية لحياة الفرد وحياة الجماعة .

فاى جماعة انسانية تهدف اول ماتهدف الى حفظ النسل وبقاءها واستمرارها فى الوجود وحماية نفسها من اى خطر خارجى يهددها ويعرض حياتها للخطر . ووسيلتها فى ذلك الثقافة اذ عن طريقها يتوصل الافراد الى نوع الغذاء المناسب وكيفية بناء المنازل وطريقة عمل الملابس فكل ذلك يساعد الجماعة على البقاء والاستمرار .

وتمد الثقافة الافراد فى داخل الجماعة بمجموعة من القوانين والنظم والعادات والتقاليد التى تساعدهم على التفاهم والانسجام وتتيح لهم فرص التعاون المختلفة مما ينتج عنه تكيف الافراد مع المواقف البيئية المختلفة حيث تستطيع الجماعة أن تستجيب لمواقف معينة استجابة موحدة .

فالافراد فى داخل الجماعة عندما يستجيبون للمواقف استجابات واحدة فانهم يشعرون بالانتماء الى هذه الجماعة .فلكل مجتمع عاداته وتقاليده ونظمه وقوانينه التى تنظم حياة الافراد . بمعنى ان الثقافة تجمع الاشتات وتوحد الجماعات وتحقق تماسكها . فكلما كانت الثقافة مشتركة وكانت الرابطة قوية بين المشاركين فيها وتكون قوة تماسك اى جماعة متمشية مضطردة مع عموم الثقافة فيها ومشاركة جميع افرادها لها . وتكون الجماعة ايضا قليلة التماسك بقدر ماتكون مشاركة افرادها فى الثقافة قليلة او منقوصة .

وبذلك فالثقافة من عوامل التجمع والتماسك حين تتفق وهى من

عوامل التفريق والتفرقة حين تختلف أو حين يقل القدر المشترك كثيرا عن القدر المختلف . فالذى يحقق تماسك الامة العربية وتجمعها هـى الثقافة العربية (دين - لغة - أدب - فن - قيم - عادات - تقاليد عربيـــة) .

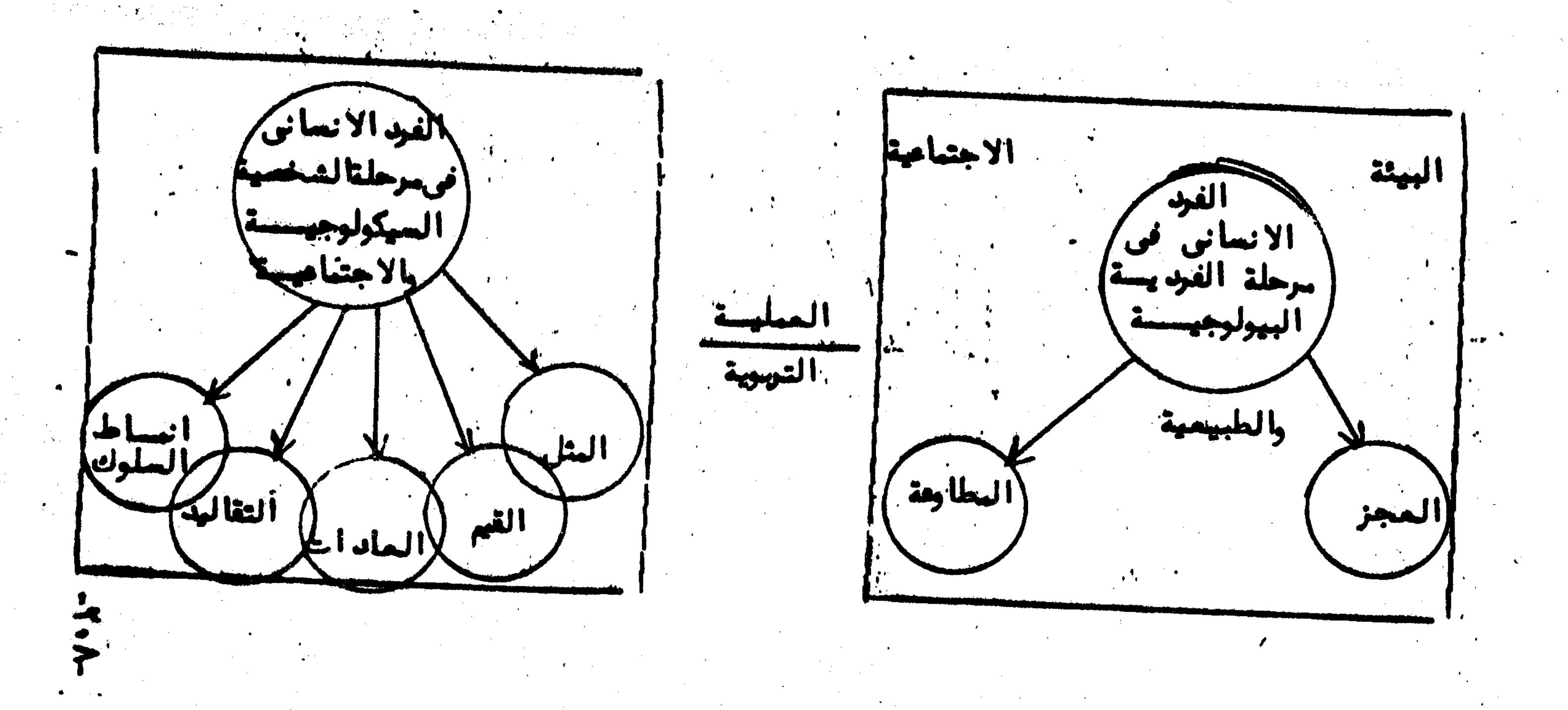
والثقافة تقدم لاعضائها الوسائل المختلفة التى تهيىء لهم التفاعل داخل الجماعة مما يخلق قدرا من الوحدة يمنعها من السقوط فى انواع الصراع المختلفة .

وظيفة الثقافة بالنسبة للعملية التربويـــة :

فكما أن للثقافة وظائفها للفرد وايضا للجماعة فهى كذلك لهـا وظائفها بالنسبة للعملية التربوية . التى تعرف بانها " عملية الانتقـال بالفرد الانسانى من مرحلة الفردية البيولوجية الى مرحلة الشخصيــة السيكولوجية والاجتماعية " . اى هى العملية الثقافية والطريقة التى يصبح بها الوليد الانسانى الجديد عضوا كاملا فى مجتمع انسانى معين .

وهذه العملية التربوية لكى تحدث كما ينبغى وتتحقق الاهـداف من ورائها فانها تعتمد بذلك على صفتين فى الوليد البشرى هذا مـن ناحية وتعتمد من ناحية اخرى على مرونة البيئة التى يعيش فيهـا هذا الوليـــد .

ويتضح ذلك من الشكل التالـــى :


البيئة
الاجتماعية
الفرد
الانسانى فى
مرحلة الفردية
البيولوجية
والطبيعية
العجز
المطاوعة
العملية
التربوية
الفرد الانسانى
فى مرحلة الشخصية
السيكولوجية
والاجتماعية
المثل
القيم
العادات
ألتقاليد
انماط
السلوك

فالصفة الاولى : التى تتوفر فى الوليد البشرى هى عجزه عجزا يكاد ان يكون تاما . فالفرد الانسانى يولد وهو عاجز عجزا لامثيل له فى الكائنات الحية الاخرى يختلف هذا العجز فى شدته وفى طول مدته اذا ما قورن بعجز الحيوانات . حيث ان صغار الحيوانات بعد ولادتها بساعات قليلة او ايام قليلة يمكنها الاعتماد على نفسها فى الحركة والانتقال والغذاء الى غير ذلك من الامور التى يظل الوليد الانسانى عاجزا عن القيام بها لفترة طويلة ـ فالكتكوت الصغير يستطيع ان ينقر الحب بعد خروجه من البيضة بساعتين بل قد ينقر هو البيضة بنفسه للخروج منها . اما الطفل الصغير يظل عدة سنوات يعتمد على الاخرين فى الغذاء وفى الملبس . وقد يمتد اعتماد الفرد على الاخرين فى قضاء حاجياته فى نظامنا التعليم لاكثر من عشرين عاما حيث يظل الفرد فى فترة تعليمه فى مراحلها المختلفة فى حاجة الى الاب والام والاخوات الى غير ذلك مما يستعين بهم فى الانفاق على تعليمه .

وليس هذا العجز بشدته وطول مدته ناحية سلبية فى هذا الوليد الانسانى . بل انه هو سر من اسرار تقدم الانسان وارتقائه وتفوقه على الكائنات الحية الاخرى . فالوليد البشرى بحكم طبيعته العضوية التى لها درجة كبيرة من عدم التحدد الفطرى يستطيع الكبار ان يشكلوا شخصيته الانسانية بالشكل الذى يرغبون هم فى تحقيقه ويمكنهم صب نشاطه فى قوالب مختلفة كما يرغبون . وبذلك تستطيع التربية تشكيل الافراد الانسانيين بطرق مختلفة باختلاف ثقافة المجتمعات وباختلاف نظمها السياسية والاجتماعية .

فلو اخذنا توأمين متماثلين ، اى انهما يشتركان فى جميع الصفات الوراثية الى حد كبير ، وتركنا احدهما منذ ولادته يعيش فى بيئـــة مصرية لتخضع للتربية المصرية ، تشكله حسب اهدافها واغراضها ، وتتناول سلوكه ومناشطه لتوجيهها الوجهة التى تتناسب مع غايات التربية المصرية ، بمعنى انه يتشرب الثقافة المصرية بقوانينها ونظمها ولوائحها وعاداتها وتقاليدها لنشأ هذا التوأم مصريا فى صفاته النفسية والاجتماعيـــة وفى اتجاهاته وعاداته وقيمه التى يؤمن بها ، ولو اخذنا التوأم الاخر منذ ولادته كذلك وتركناه ينمو فى بيئة انجليزية لتتناوله الثقافة الانجليزية تشكيلا واعدادا وتطبيقا لخلقت منه هذه الثقافة مواطنا انجليزيـــا يؤمن بالقيم والعادات والتقاليد والقوانين والنظم السائدة فى الثقافة الانجليزية ، وبذلك نجد ان للثقافة دورا كبيرا فى تحديد نمـــط الشخصية الانسانية لمجتمع معين ، حيث ان اختلاف تشكيل الفـــرد من مجتمع لاخر يرجع الى الاختلاف فى الانماط الثقافية السائدة لهذه المجتمعات ،

والصفة الثانية : التى تساعد التربية على اداء وظيفتها ، بجانب العجز ، هى مطاوعة الشخصية الانسانية ومرونتها ، واختلفت النظريات فيما بينها حول مفهوم الطبيعة الانسانية ، حيث ان النظريات القديمـة كانت ترى ان الانسان طبيعته ثابته جامدة لاتتغير ، فالانسان هـــو الانسان اينما وجد وحيثما كان ، وطبيعته فطرية غريزية يتفق فيهـــا جميع افراد الجنس البشرى بلا استثناء ، اما النظرية الحديثة للطبيعة الانسانية ترى انها مطاوعة مرنة تتشكل بتفاعلها مع العناصر البيئيـة المختلفة بما فى ذلك نمط الثقافة السائد ،

ومطاوعة الشخصية الانسانية ومرونتها يجعل في الامكان .

اكسابها طابعا اجتماعيا معينا يختلف باختلاف ثقافة المجتمع . وهناك الكثير من البحوث التي اكدت اهمية مطاوعة الشخصية الانسانية لهندرج الفرد في الاطار الثقافي العام لمجتمعه مع احتفاظه باطاره الفردى الخاص . ذلك البحث الذى قامت به الباحثة الانثروبولوجية روث بندكت R.Benedict على اربع مجتمعات بدائية . حيث انها توصلت الى ان هناك طرازا سائدا للشخصية في كل من هذه المجتمعات .

فالشخصية الانسانية ليس لها نمط فطرى متحجر تثبت عنـده ولا تتعداه مهما كانت الظروف البيئية التى تتعرض لها وتتفاعل معهـا وانما هى مرنة يستطيع الاطار الثقافى ان يغير منها وان يشكلهـا التشكيلات التى يرغب فيها .

والتربية لاتستطيع اداء وظيفتها وتحقيق اهدافها باعتمادها على عجز الوليد البشرى ومطاوعة الشخصية الانسانية فقط . ولكنها تعتمـد فى ذلك ايضا على الوسط الاجتماعى بعوامله ومقوماته الثقافية المختلفة . فالتربية لاتستطيع ان تقوم بوظيفتها دون وجود نوع من التفاعل بين الذات الانسانية والظروف البيئية بما تشمله من ظروف طبيعية واجتماعيـة وثقافية واقتصادية وسياسية . فلكى يتم التشكيل الانسانى للافراد كان لابد من ان يكون هناك هذه المطوعة وتلك المرونة فى الشخصية الانسانيـة بل كان من الضرورى ايضا ان تتمتع البيئة المحيطة بقدر كبير من المرونة يتيح لها التعامل الفعال مع الافراد الانسانيين .

فالبيئة عاملا من العوامل التى تعتمد عليها التربية وتستغلها فى

تشكيل الشخصية الانسانية • فتعمل على ان تكون هذه البيئة علـــى درجة من المرونة بحيث تضم الاطار الثقافى العام وحيث تسمح كذلـك بتحقيق رغبات الافراد والطبقات داخل هذا النطاق الثقافى العـــام وبذلك يتضح اهمية الثقافة فى العملية التربوية •

x x x x

(مكونـــات الثقافـــة)

لا يستطيع اى فرد انسانى ان يلم بالمجموع الكلى لثقافة المجتمع الذى ينتمى اليه •حيث ان المحتوى الثقافى وما يحويه من انشطـــه مختلفة يجعل من المستحيل على اى عقل بشرى السيطرة عليه كلـــه • وبذلك فان الفرد يتعرف على بعض اجزاء ثقافته دون البعض الاخـــر فهو يتعلم ويستخدم مظاهر معينة من المحتوى الثقافى دون البعض الاخر ليتركه لغيره من الافراد •

واختلفت الاراء حول تقسيم محتوى الثقافة الى عناصره المختلفة فنجد ان اوجبـــون يقسم الثقافة من ناحية محتواها الى قسمين :

القسم المادى : ويشمل النتاج المادى للانسان الذى يمكن ان نمارسه عن طريق الحواس • مثل الملابس • السيارات • الطيارات • الاحذية الاسلحة • مختلف الادوات التى يستخدمها الانسان والممتلكات الشخصية

القسم اللامادى : ويشمل القوانين والنظم والمبادىء والمثـــل العليا والعادات والتقاليـــد والقيم والعناصر السيكولوجيـــة

والفصل بين الثقافة المادية والثقافة اللامادية يساعد على توضيح محتوى الثقافة الا انه لا يشير بدقة الى هذا المحتوى. حيث ينظر البعض الى هذا التقسيم على انه تقسيم غير حقيقي . فاساس الثقافة فى عقول الناس لا فى المظاهر الخارجية التى انتجتها هذه العقول فالاجهزة والالات لا يكون لها قيمة او فائدة مالم تعرف العقول كيفية استخدامها .

وهناك تصنيف اخر يرى ان الثقافة تحتوى على العناصر التالية

× النظام الاجتماعى : ويشتمل على الانشطة والمؤسسات المختلفة التى تنظم علاقات الافراد بعضهم ببعض داخل الجماعة التى يعيشون فيها .

× ايديولوجية: وهى تعنى كل مايتصل بالقيم والعادات والتقاليد والمعتقدات والتقدم المعرفى للثقافة .

× التكنولوجيا : ويقصد بها الوسائل التى عن طريقها يستطيع الانسان استغلال العالم المادى استغلالا يعود عليه بالنفع لتحقيق حياة افضل .

ويقسم " رالف لنتون " الثقافة الى عموميات وخصوصيات ومتغيرات ويعتبر هذا التقسيم لمحتوى الثقافى من احسن التقسيمات من ناحية الشمول والدلالة وهو ما سوف نتناوله فى الصفحات التالية :

(١) ـ عموميات الثقافة: Universals

تشتمل عموميات الثقافة على العادات والتقاليد والافكار وانماط السلوك التى يشترك فيها جميع افراد المجتمع الكبار دون استثناء . وهى تكون الاساس العام للثقافة .

وهذه العموميات تشمل اللغة التى يتحدثها الافراد — طريقة على الملابس وارتداءها — طريقة التحية — طريقة بناء المنازل — انواع العلاقات الاجتماعية المختلفة بين افراد الجماعة — القيم والمثل العليا المتصلة بالدين او بشخصية الجماعة وقوميتها •

وتختلف عموميات الثقافة من مجتمع لآخر : فهى التى تميز مجتمع من المجتمعات عن سائر المجتمعات الاخرى • وهى التى تحفظ الثقافة من الانحلال او التحلل او الذوبان فى ثقافة اخرى•

فاذا عرفنا ثقافة مجتمع من المجتمعات امكننا التعرف على افراد هذا المجتمع من بين افراد المجتمعات الاخرى • عند قيامهم بسلوك معين وقد ادى هذا الى التعرف على جاسوس امريكى كان يعمل فى فرنسا اثناء الحرب العالمية الثانية نتيجة الاختلاف بينه وبين الفرنسيين فى طريقة استعمال الشوكة • ويرجع هذا الاختلاف الى اختلاف عموميات الثقافة بين المجتمع الامريكى والمجتمع الفرنسى •

وهذا الجانب الثقافى نظرا لاصالته وقداسته لايقبل اى تعديل او تغيير ولا تقبل الجماعة نفسها المساس به حتى ولو كان ذلك الى الاصلح والاحسن • فاللغة مهما كانت معقدة صعبة الفهم والتداول فليس من السهل ان تقتبس الجماعة لغة اخرى اوحتى تغير فى نحوها وصرفها او اسلوبها لان هذه اللغة اصبحت فى كيان الافراد واى تهديد لها فانه تهديد للافراد انفسهم •

واشتراك افراد الجماعة فى عموميات الثقافة يؤدى الى ان تتشابه خبراتهم الاجتماعية وتتشابه طرق تفكيرهم •ويؤدى ذلك الى تماسكهم

اجتماعيا . هذا التماسك الاجتماعي الذي لابد منه لاي مجتمع يسعى نحو البقاء والاستقرار .

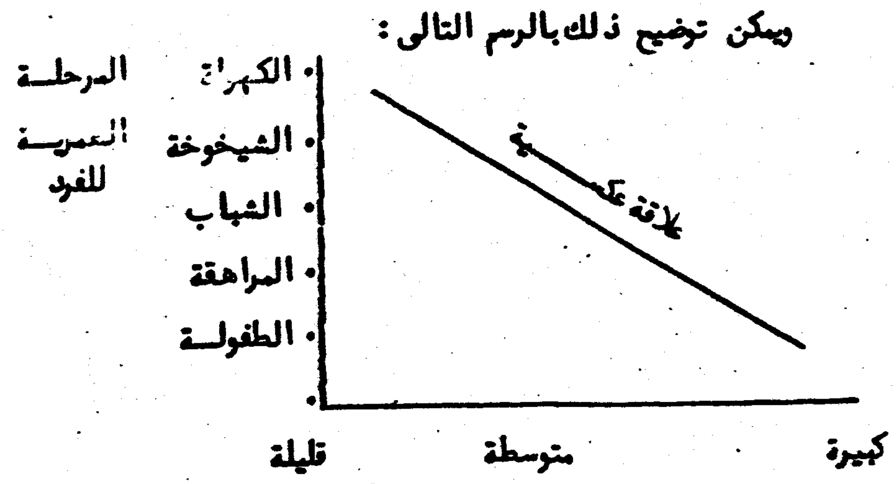
وتساعد عموميات الثقافة في اكساب الافراد اهتمامات مشتركة وميول متقاربة . وتجعل بينهم شعورا بالاهداف المشتركة والمصير الواحد ، وتنمي لديهم روح الجماعة عن طريق التاريخ المشترك والخبرات العامة المتوارثة والتعليم المشترك .

وتتخذ التربية من عموميات الثقافة وسيلة لتوحيد المجتمع وتماسكه حيث انها هي التي تكسب افراد المجتمع الانماط السلوكية المتشابهة عن طريق تقديم تعليم مشترك للجميع على حد سواء دون نظر الى مركز اجتماعي او اقتصادي . وهذا لايعني ان الافراد يكتسبوا جميع عموميات الثقافة عن طريق المدرسة . ولكن هناك بعض عموميات الثقافة يمكن للافراد اكتسابها عن طريق المؤسسات الاخرى مثل الاسرة ، المسجد فالمدرسة كمؤسسة تربوية خاصة تعنى بالعموميات التي يجب على افراد الجماعة ان يكتسبوها وان يوجهوا سلوكهم على اساسها كالقيم والمشاعر والمعلومات والمهارات التي تهيئ للجميع وسائل الاستقرار . وتهيئ للفرد دوافعه ووسائل سيطرته على سلوكه .

وهذا التعليم المشترك الذي يقوم على عموميات الثقافة يتحدد بالدرجة الاولى وفي كل المجتمعات على حد سواء بالمرحلة الاولى من التعليم حيث ان اهداف هذه المرحلة تتفق مع عنصر العموميات . فهي تلك المرحلة التي تهيئ للفرد قدرا مشتركا من الثقافة بحيث يجب ان يتلقاه جميع افراد المجتمع على قدم المساواة يكتسبون فيه قدرا مشتركا من الخبرات والاتجاهات والمهارات حيث ان هناك مبدأ ايديولوجي عام ينص

على ان هناك تناسبا عكسيا بين درجة تقبل الفرد لثقافة مجتمعه والمرحلة العمرية التى يمر بها • فالطفل الصغير يتقبل ثقافة مجتمعه ويتشربها بسهولة اكثر من تقبل البالغ لها وتشربها •

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى :



قدرة اكتساب الفرد لعموميات الثقافة

ولذلك تهتم جميع الدول بالمرحلة الاولى من التعليم فسنت لها القوانين الخاصة واللوائح التى عن طريقها يتحقق الهدف الاساسى من هذا التعليم • فالتعليم الابتدائى يتسم بثلاث خصائص وهى : الالزام والمجانية والعموم •

فالتعليم الابتدائى حق لجميع الاطفال من رعايا " ج • م • ع " الذين يبلغون السادسة من عمرهم • تلتزم الدولة توفيره لهم وفى ذات الوقت فهو التزام مفروض على والد الطفل او المتولى امره • فالالزام هنا يعنى الزام الدوله بان توفر فرصة التعليم الابتدائى لكل طفل من ناحية والزام من والد الطفل او ولى امره ان يتولى ارسال الطفل الى المدرسة عندما يبلغ سن الالزام •

كما ان هذا النوع من التعليم بالمجان ولا يجوز مطالبة تلميذ الابتدائى باى نوع من الرسوم مقابل ما يقدم له من خدمات تعليمية او تربوية . فالمجانية ترتبط بالالزام حيث انه ليس من العدل ان نلزم المواطن بشيء ثم نتقاضى اجره .

ويتميز التعليم الابتدائى بجانب الالزام والمجانية بالعمومية حيث ان جميع التلاميذ يكتسبون نفس القدر من المعارف والافكار وانماط السلوك . وهذا القدر المشترك الذى يهيء لهم اشتراكا فى الخبرات وفى الاتجاهات وفى الاهداف قبل ان يتفرقوا بعد ذلك فى تخصصاتهم المختلفة .

وقد فطنت الدولة اخيرا الى اهمية توسيع القاعدة العريضة التى تكتسب عموميات الثقافة . ولذلك امتد الالزام ليشمل المرحلة الاعدادية واصبح التعليم الابتدائى والتعليم الاعدادى مرحلة واحدة تسمى مرحلة التعليم الاساسى . حيث انه اتضح اخيرا ان مرحلة التعليم الابتدائى غير كافية لاعداد المواطن . اذ ان كثيرا من التلاميذ الذين تركوا المدرسة الابتدائية قبل نهايتها او فى نهايتها لم يتمكنوا حتى من كتابة اسمائهم ويضافوا الى اعداد الاميين الذين لم يتلقوا اى نوع من التعليم .

وقد شهد التعليم المصرى ازدواج فى التعليم او ثنائية فى التعليم منذ نشأته حتى عهد قريب . نشأت الثنائية الاولى عندما فكر محمد على منذ توليته حكم مصر فى بناء جيش قوى مجهز وبعده على احدث النظم الحديثة فى ذلك الوقت . وهذا الجيش يلزمه العديد من الموظفين

الذين يعملون به وفكر محمد على في بادئ الامر ان يستعين ببعض خريجي الازهر ولكنه خشي معارضة الازهريين وثورتهم عليه فاتجه الى اوروبا وبالتحديد فرنسا ليقتبس منها نظامه التعليمي عن طريق ارسال البعثات وترجمة الكتب في مختلف التخصصات .

وبذلك اصبح هناك نظامين في التعليم : نظام التعليم الديني في الازهر ونظام التعليم الحديث الذى ادخله محمد على . وكل من هذين يعد المواطن اعدادا خاصا ويكسبه ثقافة خاصة ليس بينهما ادنى قدر مشترك فهذين النظامين كانا يسيران في اتجاهين متوازيين . فلكل منهما مناهجه وطرق تدريسه وادارته دون النظر الى النظام الاخر . اى يمكن القول بان الازهر كان يمثل دولة داخل دولة . وادى هذا الازدواج الثقافى الى تخريج نمطين من الشخصية تختلف محددات احداهما عن محددات الاخرى وكان هذا عائقا كبيرا نحو اكتساب الافراد لعموميات الثقافة وهى ذلك الحد الادنى من ثقافة المجتمع الذى عن طريقه يمكن اعداد المواطن ليكون مواطنا في مجتمعه يعرف حقوقه ويعرف واجباته ازاء مجتمعه وازاء نفسه .

وقد حاول قانون ١٩٦١ الذى صدر بشان تطوير الازهر ان يقرب بين التعليم في الازهر والتعليم في المدارس الحكومية حيث فرض هذا القانون مناهج المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية على طلاب المعاهد الازهرية في المراحل الثلاث – كما نص القانون ايضا على ان يدخل طلاب الثانوية العامة كليات الازهر بعد ان يمضوا سنة اعدادية تؤهلهم لدخول جامعة الازهر . الا انه في العام الدراسى ١٩٨٢/٨١ اقتصر الازهر على ابنائه فقط في جميع مراحله التعليمية من الابتدائى وحتى الجامعة .

والثنائية الاخرى التى ظهرت فى النظام التعليمى فى مصر تلك الثنائية التى ظهرت نتيجة لظهور المدارس الاجنبية والتى كانت تشمل المرحلة الاولى من التعليم . وكان الهدف التعليمى من هذه المدارس يختلف عما تهدف اليه المدارس الوطنية وبذلك كان المنهج يختلف ايضا عن تلك المناهج فى المدارس الوطنية . ولقد كانت هذه المدارس الاجنبية تهدف الى تكوين افراد اجانب فى ثقافتهم وفى سلوكهم بل وفى لغتهم اذ يكونون مصريون اسماً فقط، اما تكوينا وسلوكا واتجاها ولغة فهم اجانب .

وبذلك لم تقدم هذه المدارس الاجنبية عموميات ثقافة المجتمع لتلاميذها . هذه العموميات التى هى اساس التربية المشتركة بين افراد المجتمع وترتب على ذلك عدم وجود قدر مشترك يربط بين تلاميذ هذه المدارس وبين افراد المجتمع الاخرين . وهذا بلاشك كان ضربة قاسية موجهه الى المجتمع والى الثقافة التى تسود هذا المجتمع اذ ان هؤلاء الذين كانوا يتعلمون فى المدارس الاجنبية ولا سيما فى المرحلة التعليمية الاولى كانوا يتخرجون وولائهم نحو ثقافة اجنبية اخرى وبلد اجنبى اخر .

ولتوحيد المرحلة الاولى من التعليم وجعلها مرحلة مشتركة بين جميع افراد المجتمع كان لابد من التفكير فى الغاء تلك المدارس الاجنبية او اخضاعها للاشراف الحكومى اى لا تترك هذه المدارس دون اشراف وتوجيه ودون شروط معينة اقل هذه الشروط الاهتمام باللغة القومية والتاريخ القومى وجغرافية الوطن اهتماما يتحدد فيما تفرضه الدولة من عدد الساعات ومحتوى المنهج ونظام الامتحان .

اى يمكن القول ان المرحلة الاولى من التعليم يجب ان تكون مشتركة بين طالب الدين وبين طالب التعليم المدنى . بين طالب المدارس الاجنبية وبين طالب المدارس الحكومية . حتى يكون هناك قدرا مشتركا بينهم يستطيعون بعده ان يتخصصوا فى النواحى المختلفة .

(٢) – خصوصيات الثقافة : Specialties

يقصد بخصوصيات الثقافة العادات والتقاليد وانماط السلوك المختلفة والانشطة الاجتماعية المرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا والتى حددها المجتمع للقطاعات المختلفة ويرجع عائدها للمجتمع ككل .

ومن امثلة الخصوصيات الثقافية المهن والحرف . فمهنة التعليم مثلا او الهندسة او الطب او المحاماة . تتكون كل مهنة من هذه المهن من مجموعة من الحقائق والمعلومات والمعارف التى يرتبط بها مجموعة من المهارات وانماط السلوك . ويرتبط بها مجموعة معينة من الاسرار والقيم واداب المهنة . ويعتبر اصحاب المهنة الواحدة هذا المركب المعرفى السلوكى ملكهم ومميزا لهم ويؤلمهم أن يستباح هذا المركب لاى شخص اخر خارج اطار المهنة او دخيل عليها .

ولكل حرفة من الحرف معارفها الخاصة وانماطها السلوكية التى تميزها . فالحدادة والنجارة والسباكة لكل حرفة من هذه الحرف تعاليمها الخاصة وطريقتها الخاصة التى تميزها عن سائر الحرف الاخرى . مع العلم بانه قد يكون هناك قدر مشترك بين هذه الحرف الا انه غير كاف للتوحيد بينها لتظل كل حرفة من هذه الحرف متمايزة عن الحرف الاخرى .

وعلى الرغم من ان هذه العناصر الثقافية لا يشترك فيها جميع افراد المجتمع الا ان الفوائد التي تنجم عنها مشتركة بالنسبة لجميع الافراد على حد سواء • فمع خصوص هذه العناصر المتخصصة فان كل مواطن لابد وان يلم باطراف منها على سبيل المعلومات العامة لا على سبيل الاتقان والتخصص •

فقد لا يكون الفرد عضوا في مهنة التعليم الا انه يستطيع التحدث عن واجب المعلم وسلوكه وما يمكن ان تكون عليه العلاقة بين المعلم وتلاميذه • وقد لا يكون الفرد حدادا ولا يعرف الكثير عن عمل الحدادة ولكنه مع هذا يستطيع ان يعرف متى تكون السكين جيدة الصنع وكيف يفرق بين الصنعة المتقنة والصنعة غير المتقنة •

ومعنى هذا ان الخصوصيات على الرغم من انها قاصرة على جماعات معينة في المجتمع الا ان فائدتها تعم جميع الافراد ومعرفة هذه الفائدة ودرجة اتقانها مشترك بين افراد المجتمع جميعا •

ويدخل في مجال الخصوصيات كذلك الثقافة المتصلة بالرجال والثقافة المتصلة بالنساء حيث نجد ان للنساء ثقافتهن الخاصة بهن فلهن معارفهن وموضوعاتهن واحاديثهن ومهاراتهن المتعددة الجوانب وطريقتهن في ارتداء الملابس والمشي والتخاطب •• الى غير ذلك كما نجد ان للرجال ايضا معارفهم ومهاراتهم وطريقتهم في الحياة التي تميزهم عن النساء • وبالرغم من اختلاف النساء والرجال في الوان من ثقافة المجتمع الا انه قد يتعرف كل منهم على ما يمارسه الاخرون من الوان الثقافة _ ومثال ذلك ان كلا من الجنسين في الثقافة له

الملابس الخاصة به من حيث النوع والطريقة والشكل ولكن هذا لا يمنع ان كلا من الجنسين لديه فكرة معقولة عما هو مناسب لملابس الجنس الاخر

والطبقات الاجتماعية فى المجتمع لها عناصرها الثقافية الخاصة بها . فخصوصيات الطبقة الارستقراطية تختلف عن خصوصيات الطبقة الدنيا تختلف عن خصوصيات الطبقة الوسطى . فلكل طبقة من هذه الطبقات طريقة تفكيرها ونظرتها الخاصة للاشياء وانماطها السلوكية ونوعية تعليمها .

ودور التربية فى خصوصيات الثقافة المتعلقة بالنواحى المهنية والمهارات الفنية يتحدد فى قيام المدرسة بعد المرحلة الاولى بالعمل على ان يتخصص الافراد ذو قدرات واستعدادات معنية فى تخصصات مهنية معينة تناسب هذه القدرات وتلك الاستعدادات . فالمدارس الثانوية الزراعية والصناعية والتجارية ماهى الا لاكساب هؤلاء الافراد خصوصيات الثقافة وكذلك الجامعة ايضا تعد الافراد لمهنة معينة بثقافتها الخاصة المميزة لها .

وخصوصيات الثقافة مهمة عند اصحابها وكذلك عند الجماعة ولكنها ليست مقدسة بمعنى انها يمكن أن تتعدل وتتغير دون أن تشعر الجماعة ان فى هذا التغير وهذا التعديل تهديدا لها وتهديدا لحياتها . ومع ذلك فلا تسلم هذه التخصصات من النضال دفاعا عن نفسها وعن كيانها . فالانتقال من الشعوذة الى الطب كان بعد معركة ضارية بين الدجالين وهم اطباء الماضى وبين الاطباء وهم اصحاب الطب الحديث ـ والانتقال من طريقة معينة فى التدريس الى طريقة اخرى

مستحدثة لم يحدث فجأة وبين يوم وليلة ولكنه حدث بعد صراع طويل بين المؤيدين للطريقة التقليدية في التدريس وبين المستحدثين لطرق حديثة مثل المشروع وطريقة الوحدات .

(٣) _ المتغيرات الثقافية : Alternatives

والمتغيرات تمثل القسم الثالث للثقافة : وهي تلك العناصر الثقافية التي نجدها لدى افراد معينين ولكنها لا تكون مشتركة بين افراد الثقافة جميعهم ولا تكون خاصة بطبقة اجتماعية معينة او افراد مهنة او حرفة من الحرفة اى انها ليست من العموميات او الخصوصيات .

فنظرا لزيادة سرعة الاتصال في العصر الحديث اصبح هناك اتصال ثقافي . وحيث ان الثقافات تختلف فيما بينها من حيث القوة . فهناك ثقافة قوية واخرى ضعيفة . وتستطيع الثقافة القوية غزو الثقافة الضعيفة لتدخل بعض عناصرها الثقافية عليها الا انه يحدث نوع من المقاومة لان هذه العناصر الثقافية تكون غريبة عن الثقافة الضعيفة ولكن اذا استطاع العنصر الثقافي الجديد ان يثبت كفائته وان ينتزع لنفسه التسليم من الجماعة انضم الى اصله سواء كان من العموميات او من الخصوصيات واصبح جزءا من الثقافة ولم يعد متغيرا من متغيراتها .

وازدياد عدد هذه المتغيرات الثقافية في ثقافة معينة دون احداث اضطرابات خطيرة في الثقافة انما يدل على ان هذه الثقافة حية متطورة ديناميكية ويدل على فردية الثقافة واستعداد اعضائها لتقبل كل مايساعد على تطوير حياتهم في ميدان الافكار والمنتجات المادية .

الا اننا يجب ان نشير الى ان تقبل البديلات انما يتم فى اطار الافكار العامة والمعتقدات السائدة وطابع الثقافة العام . فما يقبل من البديلات يكون متفقا فى اتجاهاته مع اتجاهات الثقافة . ويدخل تحت العناصر البديلة الافكار والاراء التى يجاهر بها رجال الفكر والفلاسفة والموضات الخاصة بازياء الرجال والنساء . فارتداء زى معين ذو لون معين او طريقة غسيل معينة قد ينتقل من ثقافة لاخرى بواسطة بعض الرجال او النساء ممن عاشوا فى ثقافة اخرى او قد يدخل عن طريق نجوم السينما فاذا ما انسجم هذا الذى مع اتجاهات الثقافة والتقاليد والعادات فان الكثيرين سوف يريدونه بعد فترة قصيرة من الزمن . اما اذا لم ينسجم فانه ينبذ وفى الحالة الاولى فانه يدخل فى عداد الخصوصيات ثم يدخل بعد ذلك فى عداد العموميات وتستقر فى الثقافة .

اما فى الحالة الثانية فانه يخرج من اطار البديلات ويبعد . ولا يعنى هذا انه اختفى نهائيا فقد يعاود الظهور من جديد ويغزو منطقة الخصوصيات مرة اخرى فاذا ما تكررت المحاولات دون جدوى فانه يختفى نهائيا من الثقافة

والتغيرات التى تدخل ثقافة جديدة تنتهى الى واحدة من ثلاث نتائج

× اول هذه النتائج هو ان هذه المتغيرات الثقافية تستطيع ان تندمج فى الثقافة لتصبح من عمومياتها او خصوصياتها وذلك عندما تستطيع هذه المتغيرات اشباع حاجات الافراد التى عجزت الثقافة الوطنية فى اشباعها وكانت تتمشى مع عادات المجتمع وتقاليده وقيمه ومثله . فكل ما نقرأ عنه وما نعرفه وما نمارسه من الطرق الحديثة فى المهن وفى الحرف كطرق اجراء العمليات الجراحية كاسلوب جديد وكطرق

التدريس الجديدة وما الى ذلك وانواع الاطعمة الجديدة ..

فكل هذه متغيرات تخضع اولا للدعوة ثم التجريب ثم المقاومة لتستقر بعد ذلك وتصبح من تراث أهل الصنعة وتصبح من الثقافة .

x والنتيجة الثانية : لهذه المتغيرات الثقافية انها قد تزول وتختفي وتذوب بين جنبات الثقافة دون ان تترك اى اثر . فعند ظهور جماعات (الهيبز) فى بادىء الامر حاول البعض من افراد المجتمع التشبه بهم فى طريقتهم وفى سلوكهم الا ان المجتمع نبذ ذلك بشدة وعنف . ولم يسمح لهذا المتغير الثقافى دخول المجتمع وسرعان ما اختفى وزال بعد فترة قصيرة .

x اما النتيجة الثالثة هى ان تظل هذه المتغيرات الثقافية متغيرات دون ان تندمج فى الثقافة لتصبح من العموميات أو المتغيرات ودون أن تختفى عنها فهى تظل قلقة مضطربة حائرة .
وفى هذه الحالة تكون هذه المتغيرات تافهة القيمة ضئيلة الاهمية

فرفض المجتمع المصرى للافكار والمبادىء الشيوعية لا يعنى اختفاء هذه الافكار تماما داخل المجتمع . حيث ان هناك بعض الافراد الذين يعتنقون هذه الافكار وتلك المبادىء ويعملون جاهدين على نشرها وادخالها كمتغيرات ثقافية لتصبح خصوصيات الثقافة اولا ثم عمومياتها بعد ذلك . الا ان المجتمع يرفض ذلك بكل شدة وبكل الوسائل حيث ان هذه المبادىء لا تتفق والدين الاسلامى وتظل هذه الافكار والمبادىء حائرة مضطربة مترددة داخل الثقافة المصرية تافهة القيمة ضئيلة الاهمية .

ويجدر بنا الاشارة الى ان هذه المتغيرات الثقافية يجب ان تخضع لاصول التربية حتى لايلفظها المجتمع • فينبغى ان تمر فى فترة من التجربة والمحاولة وان تتدخل التربية بحيث تكسب افراد المجتمع اسلوب التفكير العلمى الذى يسمح بظهور ثقافات متغيرة تساعد على التقدم والتطوير ونمو المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يكون لدى الافراد قدرة للتعرف على سلامة وصحة ومناسبة هذه المتغيرات فى الثقافة لحاجة المجتمع فيتقبلها او يرفضها •

فالتربية هى المسئولة عن تغيير الثقافة ومعالجة تخلفها ان وجد تخلف فيها والغاء الطبقية فى التعليم وممارسة الديمقراطية واداة التربية الاساسية فى اختيار الثقافة المناسبة عمومية كانت او متخصصة او متغيرة هى المدرسة •

وموقف المدرسة ازاء المتغيرات الثقافية موقف شاق وصعب فعليها ان تاخذ هذه المتغيرات الثقافية بحذر وتوجس وعليها ان تنتظر وترقب راى الجماعة فى كل متغير من هذه المتغيرات • ولا تدخل المتغير ضمن برامجها الا بالقدر الذى تقره الجماعة من هذا المتغير • فالمدرسة من قبل لم تكن تستطيع ان تعلم تلاميذها حقائق النسل وتنظيمه وضبطه واساليبه وطرقه لان هذا المتغير لم تكن الجماعة قد اتفقت عليه تماما • اما الان وبعد ان سلمت الجماعة بوجوبه كوسيلة للحفاظ على كيانها فقد ادخلت المدرسة موضوع تنظيم الاسرة وتنظيم النسل والحقائق السكانية ضمن مناهجها وضمن مقرراتها •

x x x x

(أهمية دراسة الثقافة بالنسبة للمعلم)

لقد سبق أن أوضحنا عند مناقشة خصائص الثقافة أن الثقافة تنتقل من جيل الى جيل عن طريق التعلم والتعليم وهى اجتماعية مكتسبة يتعلمها الصغار والكبار كما انها متغيرة بفعل قدرة الافراد على التغيير ، ومن هنا يمكن ان نتبين اهمية دراسة المعلم لها بل اهميتها فى فهم عملية التربية وبنية التعليم - ويتضح ذلك عند مناقشتنا للحقائق الثلاث التاليـــة :

اولا : العملية التربوية : ليست عملية مغلقة قائمة بذاتها بل هى فى جوهرها عملية ثقافية فهى تشتق مادتها وتنسج اهدافها من واقع حياة المجتمع وثقافته . كما ان الثقافة لا تستمر الا باكتساب الافراد لعناصرها وانماطها ومعانيها ولا يحدث ذلك الا عن طريق التربية . فالتربية عملية ثقافية والثقافة ذات طبيعة تربوية .

فالهدف الاساسى للمدرسة فى اى مجتمع اعداد النشء واكسابه ثقافة هذا المجتمع والمدرسة فى عملها مع الناشئين لا تبدأ من فراغ ولكنها تبدأ معهم من حيث انتهت اليه الثقافة التى يعيشون فيها من نظريات وقوانين ومعارف وقيم واتجاهات وانماط سلوك . ومن ناحية اخرى فالمدرسة لا تبدا العمل مع هؤلاء الناشئين وكأنهم اوعية فارغة . وانما تبدأ معهم وقد تكون سلوكهم لما تأثروا به من مؤثرات ثقافية خارج جدرات المدرسة سواء عن طريق الاسرة او المسجد او غير ذلك من المؤسسات الاجتماعية الاخرى التى يتعامل معها الطفل قبل ذهابه الى المدرسة بل وفى اثناء فترة تعليمه وبذلك يتضاعف عمل المدرس ويتضاعف العبء على كاهله فعليه

ان يكون على وعى وبصيرة بالعمليات الثقافية التى يعيش فيها الناشئون ، والدوائر الاجتماعية التى يتفاعلون معها حتى يستطيع ان يحقق الاهداف التى يعمل من اجلها بصورة افضل سواء مايخص التلميذ منها او يخص الثقافة.

فالمعلم يكون قد استطاع ان يقوم بعمله خيرقيام عندما يحسن الاختيار من بين العناصر الثقافية مايتناسب مع مرحلة النمو التى يمر بها التلاميذ ويستخدم ذلك بطريقة تؤثر على نمو الفرد وتتجه بالنمو فى الاتجاه السليم لصالح الفرد ولصالح المجتمع وبحيث لايتنافى مع المثل العليا والقيم والمبادئ التى يعتنقها المجتمع .

فالتراث الثقافى لم يعد قليلا فى كميته بسيطا فى نوعه ولكنه فى العصر الحديث اصبح متراكما معقدا لايستطيع اى فرد من الافراد مهما بلغ من قوة فى الفكر ان يلم بكل جوانب هذا التراث .وهذا يتطلب من المعلم وغيره من القائمين بالعملية التعليمية ان يختاروا العناصر الثقافية المناسبة من هذا الرصيد الهائل على اساس من الوعى والتمييز حيث ان هذا الاختيار يعنى اختيار مجموعة المعارف والافكار والمعتقدات والقيم والاتجاهات والنظريات والقوانين . التى تعمل المدرسة على تحقيقها فى سلوك الناشئين . وبالتالى على المعلم ان يختار طريقة التدريس المناسبة التى عن طريقها يمكن نقل هذه المعارف والقيم والاتجاهات وترجمتها الى واقع وسلوك فى نفوس التلاميذ . وهنا يتضح دور المعلم فى فهم ثقافة المجتمع .

فالمعلم ينبغى الايكون مدرس مادة فحسب بل يجب اولا ان يكون دارس ثقافة فهو الوعاء الحى الذى يشتق منه مادة التعليم واهدافه

واساليبة وكذلك المجال الذى عليه ان يرتفع بمستواه عن طريق تربيــة الناشئين •

ثانيا : ان دراسة المعلم للثقافة ومعرفة معناها والالمام بعناصرهـــا المختلفة سوف يساعده ذلك على فهم تاثيرها على شخصية الفرد ... فالثقافة لاتعيش ولاتستمر الافى سلوك الافراد كما ان نمـــو الفــرد لايتم الافى الثقافة•

واعتبار شخصية الفرد هى الجانب الذاتى للثقافة واعتباره فى نفس الوقت امكانية كبيرة فى تحريك الثقافة يجعل المربى على وعـــى بضرورة قيام المدرسة بدورها فى التوجيه الثقافى للبيئة التى هـــى جزء منها وكذلك بضرورة اختيار الخبرات التعليمية التى تجعل مـــن الناشئين طاقات خلاقة مبدعة ومحركة فى هذه البيئة•

ثالثا : ان دراسة المعلم للثقافة يساعده فى فهم طبيعة التغييــر منها ومجراه حيث ان التغيرات الاجتماعية الحاصلة فى معرفتنا عـــن طبيعة العالم الذى نعيش فيه يوثر على اختيارنا للاطار الاجتماعـــى الذى نتبناه وقابليـــة هذا الاطار من مطالب تربوية ينبغى للمربيـــن مواجهتها واختيار الاجراءات الكفيلة لتحقيقها •

والتربية باعتبارها عملية ثقافية ترتبط بمقومات الثقافة ومتغيراتهـــا عليها ان تسهم فى تكوين التصورات الجديدة التى توجه هذه التغيــرات ومن ثم كان لابد لها ان تكون قادرة على رصد انواع التغيير باتجاهاتــه ثم ترجمتها فيما يقدم للناشئين من خبرات حتى يكونوا بدورهــــم

طاقات خلاقة في احداث المزيد من التغيير وتحويله الى تقدم اجتماعى على اوسع نطــــاق ٠

ومن هنا تبرز مسئولية المربين على اختلاف مراكزهم القياديــــة نحو فهم الثقافـــــة ودراستها لمواجهة القضايا التي يلقيهـــــــا التغير الثقافي على عملية تربية الناشـــئين ٠

* * * * *

المدرسة والمجتمع

المدرسة والمجتمع(*)

مقدمة :

التربية عملية اجتماعية ثقافية تشتق ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعى للفرد ومن كونهم حملة الثقافة لمجتمعهم.

ويحتل الإنسان محور بين وسائط التربية التى يستقى منها الفرد تربيته أو عن طريقها يتمرس الفرد أساليب معايشته فى الجماعة، وهذه الوسائط قد تتخذ صورة تنظيمات أو مؤسسات أو هيئات اجتماعية، وهذه وسائط غير متخصصة فى عملية التربية ولكنها تسهم فى إحداثها..

هذه الوسائط التربوية تتفاعل فيما بينها - وقد يكون الإنسان محور هذا التفاعل بحكم وجوده الاجتماعى والثقافى وبما يمارسه من أساليب العمل أو التفكير وبما لديه من قدرة على التكيف مع ما يحيط به من الظروف ومقومات الحياة.

ذلك أن نصل التربية - بمضمونه الشامل - لا تنفرد به مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع باعتبار أن عملية التطبيع الاجتماعى قرينة لعملية التربية، بل أنها عملية موصولة تشارك فيها جميع الدوائر الاجتماعية التى تتمثل فى وسائط الثقافة كالأسرة والمدرسة وأماكن العبادة وأماكن التثقيف المتنوعة ووسائله إلى جانب التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمهنية وما يستحدثه أفراد المجتمع من وسائل اتصال وتجمع مثل النقابات وجماعات الرفاق.

نشأة المدرسة وتطورها:

يرجع بعض المؤرخين ظهور المدرسة ونشأتها إلى ما قبل الميلاد وذلك نتيجة لتطور الحياة فى الحضارات القديمة، فرعونية كانت أو صينية أو هندية، ويرى البعض الآخر أن

(*) د. ابراهيم الزهيرى: قسم أصول التربية كلية التربية جامعة حلوان.

المدرسة كانت تتسم فى الماضى البعيد بصورة وطريقة غير مقصودة أو غير شكلية. حيث كانت تربية الأطفال والشبان من وظيفة المدرسة، كنتيجة مباشرة لبساطة الحياة البدائية ويسرها.

حيث كانت الأم تهتم بوليدها وتقوم برعايته وتربيته فى الشهور الأولى من عمره ثم يدخل معترك الحياة وهو بعد صبياً بصحبة الكبار إلى الأنشطة الحياتية المختلفة سواء فى السوق أو الحقل أو الدكان أو للصيد أو لرعى الأغنام.

ويشير كلارك Klark إلى أنه لم يكن هناك دروساً أولية فى العصر الحجرى عن كيفية تعلم تقطيع الأحجار، وإنما كان الصبى يتعلمها من تقليد الكبار بدءاً من سن الحجر حتى استخدامه.

ومع تطور الحياة وتقدم المدنية ازدادت حاجات ومطالب الجنس البشرى واتسعت آماله وأحلامه مما ساعد على رفع مستوى قدرته على الكشف العلمى فى شتى مجالات الحياة مع ظهور أفكار واتجاهات جديدة وظهور الفنون وتعدد أشكالها ومظاهرها مع ظهور العلوم فى مختلف المجالات وكذلك ظهور قيم ومعتقدات جديدة لتحل محل مثيلتها القديمة لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة - مع تطور الجنس البشرى من جيل إلى جيل.

ولما كانت التربية تحدث نتيجة مشاركة الصغار فى وسائل معيشة المجتمع، بل أن جميع وسائل المجتمع وعلاقاته سواء المرغوب فيها أو غير المرغوب فيه تؤثر على حياة الصغار فتشكل اتجاهاتهم وطرق نموهم وأنواع هذا النمو.

فبهذا المعنى يعتبر الكبار معلمين - حيث أن أنواع النشاط المتخصصة والمترابطة التى يقومون بها تعتبر القوة الأساسية فى إثارة استجابات أطفال المجتمع وتنميطها. غير أن الكبار لم يكتفوا بهذه الوسائل العرضية غير النظامية فى تربية الناشئين إذ عملوا منذ الماضى البعيد على إقامة مؤسسة خاصة تتحمل مسئولية مباشرة نحو تقديمهم لأنماط الحياة والفكر التى تتميز بها حياتهم الجماعية والتى هى وليد جهود أجيالهم المتعاقبة، ومن هنا ظهرت المدرسة كمنظمة اجتماعية وأصبحت وظيفتها توفير بيئة منتقاة تتكون من مجموعة خبرات لتنشئة الأطفال على أنواع السلوك ووجهات النظر والقيم التى تعتبر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لحياة الجماعة.

ومع تطور المدنية وتعقدها - نمت وظائف هذه المؤسسات وتطورت مسئولياتها - مكانتها مع ازدياد حاجة الناس إلى الاعتماد على أجهزة التربية وإحاطتها باهتمام كبير.

ومع تعدد التخصصات فى مجالات المعيشة وميدان المعرفة واشتدت الحاجة إلى مهارات متعددة للقيام بعمليات الإنتاج المتنوع - حرصت كل دولة وكل مجتمع على رصد الأموال لفتح المدارس والمعاهد والتوسع فيها وإعداد المعلمين الفنيين ووضع اللوائح والقوانين وتنظيم الخبرات التربوية فى صورة مناهج وتوفير الخدمات التعليمية المساعدة وإخضاع كل ذلك لعمليات الإشراف الفنى وتنظيمه فى صورة إدارة تتسلسل فيها المسئوليات والسلطات.

وأصبحت المدرسة بهذه التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المنظمة المتخصصة فى التوجيه التربوى وإعداد الناشئين.

وأخذ الكثير من الآباء والمعلمين والمسئولين ينظرون إليها باعتبارها المنظمة التربوية الوحيدة .. وقويت هذه النظرة نتيجة سرعة هذه التطورات وما تبعها من تعقد الحياة وتحول كثير من المسئوليات والوظائف التربوية التى كانت تتحملها بعض المؤسسات والجماعات كالأسرة ودور العبادة والجماعات الحرفية إلى هذه المنظمة.

ومع التطور التاريخى للمدرسة وسط الأوضاع الاجتماعية المختلفة جعلها تنفرد بنفسها وتزيد من تخصصها بل وتصطبغ بصبغة خاصة وفق الفئات الاجتماعية والطبقات الاجتماعية التى انتفعت منها وبها فى سياق هذا التطور.

لقد عاشت المدرسة فترة كانت فيها «أرستقراطية» التكوين والاتجاه حيث سمح الفائض الاقتصادى لطبقة النبلاء والحكام فى العصور القديمة والوسطى بتوفير الوقت الذى يمكن استغلاله فى التعليم المنظم بينما حرم منها الكادحون من أبناء الفلاحين والعمال.

ثم أخذت الصبغة الدينية فى مجتمعات العصور الوسطى وقام على التعليم فيها فى معظم الأحوال رجال الدين.

وفى العصور الحديثة وبظهور النزعة العلمانية نتيجة الأخذ بأسباب التجارة والصناعة وازدياد مكانة المدينة وجعلها مركز النشاط البشرى وظهور الطبقات البرجوازية

ونمو فكرة الدولة القومية والاهتمام بالعلم وفروعه المختلفة الطبيعية والاجتماعية - اشتد الاهتمام بالمدرسة من جانب الطبقات البرجوازية الجديدة باعتبارها السبيل إلى إعداد الناشئين لمسئوليات الحياة الحديثة وصولاً إلى مصالحها الخاصة.

- وقد أخذ الاتجاه العلماني يسدد برامج المدرسة وأهدافها - فدخلتها اللغة الوطنية والمواد المدنية كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات.

ومن كل هذا ... تطور منهجها ليخدم الحياة الجديدة بطابعها القومي والصناعي والتجاري وعلى الرغم من ظهور الاتجاه الديمقراطي وإعلان مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمام جميع الأفراد ... وفتح مدارس لخدمة هذا المبدأ وعلى الرغم من الإصلاحات والتغيرات التي طرأت على نظم التعليم في كثير من المجتمعات - إلا أن المدرسة استمرت ذات صيغة تقليدية واستمر انفرادها بعملية التعليم.

التربية المدرسية :

المدرسة من حيث وظائفها التي تقوم بها في عالمنا المعاصر هي «المؤسسة أو المكان الذي تتم فيه رعاية الأطفال وانتقاؤهم وتلقينهم وتعليمهم» وهي طبقاً لتحديد المتعامل والمستفيد منها، «هي المؤسسة التي تضم التلاميذ ويضطلع بالعمل فيها المدرسون وعدد من الموظفين فضلاً عن تعاملها مع الآباء والأمهات».

وتقترن التربية بالمدرسة، كمؤسسة اجتماعية، تعنى بالنشء وتعدهم للحياة، وهذا ما يعرف بالتربية المدرسية والتي لا غنى عنها للمجتمعات البشرية بما تشمله من نظم تعليمية وأساليب تربوية ووسائل تثقيفية.

فالتربية التي تعالج الفرد بالمدرسة يمكن تسميتها بالتربية المدرسية (النظامية) في حين أن التربية التي تتم بوسائط أخرى غير المدرسة فتسمى «التربية غير المدرسية» (غير النظامية).

فالتربية المدرسية إذن هي التربية المنظمة ذات الأهداف المحددة والسلم التعليمي المحدد والمنابع المحددة، ولذلك سميت تربية نظامية، لأنها ترتبط بنظام تعليمي متكامل،

وهى أيضاً تربية شكلية حيث أنها تأخذ شكلاً محدداً مرسوماً حدده المجتمع ورسم أبعاده وتسمى أيضاً بالتربية المدرسية لأنها تتم داخل المؤسسة التى يعرفها المجتمع باسم المدرسة.

* دواعى ظهور التربية المدرسية :

١ - تعقد التراث الثقافى فى المجتمع أدى إلى الحاجة إلى أفراد مدربين تدريباً علمياً ومهنياً حتى يمكنهم نقل هذا التراث الثقافى إلى الأجيال المتعاقبة وحتى يتمكنوا من القيام بأدوارهم فى تحقيق أهداف التنمية، ولا يتأتى هذا إلا باهتمام التربية المدرسية بهذا الجانب.

٢ - تقوم التربية المدرسية بتبسيط التراث الثقافى حيث يحتاج هذا التبسيط إلى معلمين مؤهلين لهذا التبسيط والإلمام بتراث ثقافة مجتمعهم إلماماً واعياً.

٣ - تشتمل المؤسسات التربية على مناهج منظمة وطرق تدريس ومناشط وممارسات يومية قد لا تتوافر فى مؤسسات تربوية غير شكلية.

٤ - حاجة المجتمع إلى تنمية قدرات واستعدادات الأفراد فى وسط تربوى على أساس علمى.

٥ - التقدم العلمى والانفجار المعرفى الحادث فى العالم أدى إلى الحاجة إلى ظهور مؤسسات تربوية لدراسة هذه الجوانب العلمية والمعرفية وكيفية الاستفادة منها فى الحياة الواقعية بالإضافة إلى دراسة مشكلات المجتمع دراسة علمية حسب المنهج العلمى فى التفكير ومن ثم الوصول إلى حلول علمية مدروسة دراسة متأنية.

٦ - حاجة المجتمعات إلى استغلال ما لديها من إمكانات مادية ومصادر طبيعية عن طريق استخدام الإمكانات التقنية والتى تتوافر فى مؤسسات التربية المدرسية.

* أسس التربية المدرسية:

تتميز المدرسة بخلقية نشاطها والأسس التي يقوم عليها هذا النشاط - ذلك بالرغم من اعتبارها إحدى الوسائط الثقافية التي تؤثر على نمو الفرد، ولذلك تبرز أهميتها كوسيط تربوى فى التأثير على حياة المجتمع وخاصة فى مراحل التغير السريع.

وتقوم المدرسة وسط المؤسسات الاجتماعية باعتبارها المنظمة الاجتماعية المتخصصة فى توجيه حياة الناشئين من الشباب، وهى تنفرد عن هذه المؤسسات بمجموعة من الصفات تتضح فيما يلى:

أ - أنها بيئة اجتماعية تنظمها تقاليد واضحة وتوجهها الأهداف الاجتماعية والقومية التى ارتضاها المجتمع على أرفع مستوى من التفكير والوضوح.

ب - أنها بيئة اجتماعية تنظمها أسس فنية مستقاه من أبحاث علمية خاصة بسلوك الإنسان وكيفية تعلمه وتوجهه بقصد الارتفاع بمستوى أدائه فى العمل وممارساته الاجتماعية الإنسانية.

جـ - أنها بيئة اجتماعية تقوم على تخطيط واع يستهدف تحقيق آمال وأهداف المجتمع على مدى طويل من أجل الوصول إلى مستقبل أفضل باستمرار.

د - أنها بيئة اجتماعية تتركز فيها المعالجة الفنية الواعية لأفكار المجتمع وأهدافه واتجاهاته مما يجعلها مركزاً من مراكز التوجيه الاجتماعى والقومى عن طريق تشكيلها للناشئين والشباب وتغيير سلوكهم وتوجيههم وفق الصورة التى تحقق للمجتمع أكبر قدر من التقدم.

** وتنقسم أسس التربية المدرسية إلى:

الأساس الأول: الأساس الخلقى أو المعنوى:-

ويتضح ذلك فيما يلى: -

أ - حيث تقوم التربية المدرسية باختيار الخبرة الإنسانية ونقل معناها ومحتواها ونتائجها إلى الناشئين من أجل توجيههم ومن أجل نموهم على عامل أساسى

وهو العامل الخلقي الذي يتسع فيشمل وعي الراشدين بما يختارونه من خبرات من أجل تربية الصغار وقدرة هؤلاء الراشدين على التمييز بينها وبين غيرها وتقويمها ومراجعتها من أجل توفير توجيه أفضل لهؤلاء الصغار في ضوء أهداف مجتمعهم وتصوراتهم عن مستقبله.

ب - تعبر هذه الصفة الخلقية للتربية عن مدى ثقة الإنسان بنفسه فإن الجهود التي تبذل في جميع المجتمعات لتنظيم المدارس وتمويلها والاهتمام بأمرها تقوم على اعتقاد أفراد هذه المجتمعات بأن أنماط السلوك والشخصية لا تتقرر ولا تتحدد عند الفرد منذ ميلاده وإنما هي نتيجة تعليمه ونموه في خبرات الحياة.

جـ - أن المدارس تعبر عن ثقة الإنسان بإمكانية التحكم في مصيره وقدراته على توجيه حياته. فقد أنشئت المدارس لاعتقاد الناس بقدرتهم على تشكيل وسائل معيشتهم والتخطيط لمستقبل حياتهم كما نظمت عندما بدأت الجماعة الإنسانية تدرك أهمية خبراتها الاجتماعية وضرورة الاختيار من بين عناصرها لاستمرارها وتطويرها والمحافظة عليها وتنميتها عن طريق خلقها في سلوك أطفالها الصغار.

وعلى هذا فإن تنظيم المدارس يعني محاولة مقصودة من جانب الجماعات الإنسانية للتحكم في نمط تطورها وذلك عن طريق التوجيه المسئول لخبرات الأطفال التربوية التي يعيشونها، ويهدف الكبار الراشدين إلى أن يجعلوا منهم ومن مجتمعهم شيئاً أفضل وأكثر تقدماً مما إذا تركوا بغير التوجيه والإرشاد والتنظيم، حيث تتضمن التربية المنظمة جهد الكبار لتنظيم بيئتهم حتى لا يترك الأطفال لحريتهم الفطرية دون توجيه وإرشاد.

ويكمن ذلك فيما يتوفر لدى الفرد من قدرة على ممارسة القيم والعادات والوسائل التي تمكنه من تحقيق فكره ونشاطه وغاياته. وهو أساس يشترك فيه الصغار الناشئين والكبار الراشدين.

فالصغار بما لديهم من قدرات وميول وتحمل لمسئولية القيام بأدوار تعليمية وتربوية تؤدي في النهاية إلى تقدم المجتمع، لأن وجود المدرسة تعبير عن قدرة المجتمع على

تشكيل مستقبل أبنائه وتوجيه حياتهم وبالتالى تمكنهم من التحكم فى النشاط الإنسانى وهى تعبير عن أن الإنسان لا يستسلم للقدر ويترك أموره للصدق ولا يركن إلى السلبية والجمود ولكن يستطيع بما لديه من بصيرة وذكاء أن يسلك فى الحياة ويعايش الآخرين وهذه الخاصية تكسب التربية قوة.

أما الكبار فبما لديهم من وعى ونضج فى توفير الفرص وانتقاء الأساليب لممارسة صغارهم ألوان النشاط وأنواع المعرفة التى تعبر عن تصورهم لمستقبل حياتهم.

وبذلك تكون عملية التربية منظمة - بحيث تضمن جهد الكبار لتنظيم بيئة الصغار حتى لا يتركوا لعوامل الطبيعة باعتبار أن حريتهم فطرية وهنا يكون دور الكبار هو توجيه الصغار. وحينئذ تكون التربية المدرسية - تربية مقصودة الموجهون فيها هم المربون.

الأساس الثانى: الخصوصية (الأساس الاجتماعى القومى):

يكمن هذا الأساس فيما يعيشه المجتمع الذى توجد فيه المدرسة بما لديه من ظروف سواء كانت ذات أبعاد تاريخية أو اقتصادية أو جغرافية أو سكانية لها أثرها على أوضاع التربية فى المجتمع.

وإذا كان للتربية المدرسية هذه الطبيعة الخلقية التى تشتق من نشأتها وتطورها فى المجتمعات الإنسانية، فإن لها صفة اجتماعية تتمثل فى تأثرها بظروف المجتمع الذى تعمل فيه وبالتالى فإن التربية المدرسية لها دائماً مكان جغرافى ثقافى ذو أبعاد تاريخيـــة - فهى وظيفة مجتمع بعينه يعيش فى زمان ومكان معينين من التاريخ وتبلغ من ثقافة هذا المجتمع وتعبر عن فلسفتها واتجاهاتها وحاجاتها وعلى الرغم من تشابه التركيب البيولوجى للإنسان فى جميع المجتمعات فإن التربية ينبغى أن تراعى هذه العناصر المتشابهة المشتركة وينبغى أن يكون لأى برنامج تربوى صفات فريدة متأثرة بخصائص الثقافة التى يعمل فيها مهما كانت العناصر العامة التى يشترك فيها هذا البرنامج مع البرامج التربوية الأخرى.

ولعل هذا يجعلنا ننظر إلى التربية على أنها وظيفة المجتمعات الإنسانية المتميزة بتاريخها ولغتها وتراثها ومهاراتها ووسائل معيشتها وعاداتها وقوانينها وأنظمتها ومعتقداتها ومشاعرها وأفكارها الخلقية وآمالها وآلامها ومفاهيمها عن المصير الإنساني ومن ثم ننظر إلى التربية على أنها عامة أو واحدة فى محتوياتها وأهدافها فى كل زمان ومكان - إذ أن المجتمعات البشرية ليست متماثلة فى ظروفها أو متساوية فى درجة تحضرها أو متطابقة فى ثقافاتها وفلسفتها، وإنما لكل منها طرائقه المميزة لحياته وإن تشابهت مجتمعات أخرى.

وهنا ينبغى أن تراعى التربية المدرسية ما يحقق لها ذلك عن طريق برامجها معالجة النشء كل حسب طبيعة مجتمعه وواقع الحياة فيه ومتطلباته.

الأساس الثالث: العالمية (المنظور الدولى):

إن التربية المدرسية لا تقتصر على حياة المجتمع الذى تتم فيه فحسب ولكنها ينبغى أن تتوافق مع الاتجاهات المعاصرة، فلا تتقوقع حول مجتمعها، وهى أيضاً لا تبعد عنه لدرجة الشطط وإنما يكون هناك اتساق بين الجانبين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المجتمعات البشرية ذات حركة ديناميكية متجددة غير جامدة، وحياة البشر دائمة التغير والتطور وهى فى نفس الوقت تتأثر وتؤثر بطريقة أو بأخرى.

وعلى المدرسة فى ضوء الفلسفة العامة والقومية لمجتمعها أن ترسم فلسفتها التربوية الناجمة عن تداخل عوامل الثقافة المتنوعة والمتشابكة والتى من شأنها إبراز التربية فى المجتمع بطابع مميز.

وحتى تتمكن التربية المدرسية من القيام بدورها فى إعداد الناشئين ينبغى مراعاة:

١- أن تكون معالجة المدرسة لشئون التربية فى ضوء فلسفة المجتمع وأهداف التربية فيه.

٢- توافر الوضوح الفكرى عن أهداف المجتمع لدى المسئولين عن التربية.

٣ - اتخاذ الوسائل الفنية والعلمية التى تساعد على تحقيق الأهداف.

٤ - توافر المتخصصين من المربين والمعلمين والفنيين والإداريين الذين يمكنهم تحمل مسئولية العمل التربوى.

٥ - توافر الوعى بأهمية دور المدرسة لدى غيرها من المؤسسات الأخرى.

المدرسة كمؤسسة اجتماعية :

لكل مجتمع مؤسساته الاجتماعية المختلفة، منها المؤسسات السياسية، والدينية، والثقافية، الاقتصادية والتجارية والعسكرية ... إلخ، مع اختلاف كل منها فى البناء والتكوين الاجتماعى، وطبيعة ونوع العلاقات والتفاعلات الاجتماعية داخل المؤسسة الواحدة، كما تختلف باختلاف الزمان والمكان وكذلك باختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والمدرسة إحدى هذه المؤسسات التى أنشأها المجتمع ورصد من أجلها أموال هائلة ووضع فلسفتها ورسم خطوطها وقام بالإشراف عليها وأعد لها البرامج المختلفة للمعلمين والمشرفين الفنيين والإداريين ووضع لها المناهج والمقررات الدراسية، من أجل توفير بيئة اجتماعية صالحة لتنمية الأطفال والشباب الناشئين وتزويدهم بمجموعة من الخبرات المختلفة وتربيتهم على أنواع ضد السلوك بما يتفق مع فلسفة المجتمع وسياساته للتنمية فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ويرى (كليا تريك) أن المؤسسات الاجتماعية هى جميع المنظمات الاجتماعية التى تنظم العلاقة بين الأفراد بهدف الوصول إلى حياة أفضل.

كما يؤكد (ويليام جرهام) أن المؤسسة الاجتماعية تتسم بأن لها مفهوماً ومعنى.

ويقصد «بالمفهوم» هنا أن يكون للمؤسسة الاجتماعية فلسفة وفكر وسياسة وأهداف بالإضافة إلى القوانين والتشريعات التى تنظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد هذه الجماعة.

أما «البناء» فهو التشكيل أو الإطار الاجتماعى الذى يضم مجموعة من الأفراد لكل منهم دور ووظيفة تؤدى فى إطار وعلاقات اجتماعية. ومن خلال تفاعل الأفراد والقيام بوظائفهم وأدوارهم الاجتماعية فإن المؤسسة فى مجموعها تكون قد وصلت إلى تحقيق أهدافها وفلسفتها التى أنشئت من أجلها، وبذلك يتكامل المفهوم مع البناء.

والمدرسة هنا كنظام اجتماعى تختلف عن غيرها من النظم من حيث بيئتها الاجتماعية التى تعكس نوعاً خاصاً من التفاعل الاجتماعى بين أفرادها، ذلك أنه تفاعل متمركز حول الأخذ والعطاء التعليمى، وأنه بهذه الخاصية يشكل الأساس للعمل المدرسى كله، ذلك العمل المتمثل فى السلطة التعليمية وفى العلاقات بين أفراد المجتمع المدرسى.

حيث يتكون مجتمع المدرسة من الذين يعطون العلم والذين يستقبلونه، وهو على هذا النحو مجتمع له استقراره النسبى، وتنظيمه الاجتماعى المتمثل فى توزيع أفراده على أساس السن بين التلاميذ من ناحية والمدرسين من ناحية أخرى، كذلك فى توزيع أفراده على أساس المراكز التى يشغلونها والأدوار التى يقومون بها، ويتشكل إطار العلاقات الاجتماعية أساساً فى ضوء هذا التنظيم الاجتماعى وما فيه من تفاعل اجتماعى متميز.

كما يتضمن هذا الإطار مختلف العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع المدرسى من تلاميذ ومدرسين وإداريين.

فالتعليم لا يتم فقط داخل حجرات الدراسة بالمدرسة، بل إنه يتم داخل المدرسة كنظام اجتماعى يترابط فيه الأفراد بطرق مختلفة، حيث توجد فيه تنظيمات اجتماعية رسمية وغير رسمية، تجمع بين المدرسين بعضهم وبعض وبين التلاميذ بعضهم البعض، وبين التلاميذ والمدرسين، وبين الإدارة المدرسية والمدرسين والتلاميذ والموظفين بالمدرسة.

هذا بالإضافة إلى وجود جماعات النشاط القائم على التعاون والتنافس المتمثل فى النشاط الحر، ذلك أنه نشاط تعليمى هادف يكتمل به تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية بالمدرسة.

وهكذا فالمدرسة كمجتمع مصغر يشبه المجتمع الكبير، ذلك أنها تضم العديد من التنظيمات الاجتماعية والأنشطة والعلاقات، كما تشبه المجتمع الكبير من حيث نظامها الهادف لحفظ الأمن والنظام والسلم داخل نطاقها.

* وظائف المدرسة :

المدرسة هي المؤسسة المتخصصة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم صغاره نيابة عن الكبار الذين منعتهم مشاغل الحياة وحالت دون تفرغهم للقيام بتربية صغارهم.

ذلك بالإضافة إلى أن تطور الحياة وتعقيدها نتيجة تراكم الخبرة البشرية والتراث الثقافي قد حال دون إلمام الكبار به والتعرف عليه بما يستلزم معه وجود المتخصصين في مجالات العلم والمعرفة.

وتتمثل وظائف المدرسة فيما يلي:

أولاً: النقل:

وفي هذه الوظيفة يتم نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل. فتحليل معنى المجتمع والثقافة وعلاقة الشخصية بهما يبرز لنا أهمية العملية الاجتماعية التي تنتقل بها آداب السلوك العامة والقيم والمعاني والأنماط الثقافية من جيل إلى جيل.

وتحدث هذه العملية الاجتماعية في صورة نقل أنواع النشاط والتفكير والمشاعر من الكبار إلى الصغار، ذلك أنه بدون نقل الآمال والآراء - من الكبار الراشدين الذين ينتهي وجودهم المادي مهما طال بهم الزمن - إلى الأجيال الوافدة - فإن الحياة الاجتماعية تنقطع في وجودها.

فالأطفال الناشئين يحتاجون في نموهم الاجتماعي إلى توجيه وإشراف كبيرين - خاصة في المجتمعات الحديثة التي وصلت إلى درجة كبيرة من التقدم التكنولوجي والعلمي، والتي تعقدت فيها الحياة واشتد فيها التخصص وازدادت فيها الحاجة إلى المهارات ومن هنا تبدو أن الحاجة إلي التعليم أمر بديهي في المجتمعات لإستمرار وجودها وتطورها.

وتأخذ عملية النقل هذه صوراً مختلفة - فقد تتم بطريقة واعية للفرد الذي نعلمه، ويمكنه عن طريقها أن يواجه مواقف الحياة على أساس من البصر والمعرفة وتزويده بما يلزمه في الخبرات المختلفة من معارف ومهارات سبق أن ثبتت صحتها في خبرات أجيال أخرى

سابقة، وقد تتم هذه العملية بالضغط الاجتماعى أو الدعاية أو بأى نوع من التعليم يهدف إلى صب الفرد فى قالب معين.

مع ملاحظة أن محتوى النقل الثقافى وطريقته يتحددان فى ضوء نوع المواطنة التى نهدف إلى تنميتها ونوع المجتمع الذى نريد أن نحققه وكذلك فى ضوء طبيعة العصر الذى يعيش فيه التلاميذ.

مع ضرورة إخضاع هذه العملية للتقويم والتقدير المستمرين نتيجة تغير الثقافة الإنسانية فى سرعة كبيرة وتراكم المعرفة بدرجات متزايدة وتشابك الثقافات الإنسانية.

ثانياً: الاحتفاظ:

تقوم المدرسة بالاحتفاظ بهذا التراث والعمل على تسجيل ما يجد، فلو اكتفينا بمعارف التراث الثقافى القديم ولم تعلم الكتابة ولم نسجل بها ما يوجد لضاع التراث الجديد وحرمت الأجيال القادمة الانتفاع به. فالمدرسة إذن تسجل بطريقة تعليمنا الكتابة التراث الجديد.

ثالثاً: التبسيط:

تقوم المدرسة بتبسيط التراث الثقافى وخبرات الكبار وتقريبها فى نظام تدريجى يتفق وقدرات الأفراد. وهكذا يتدرج الطفل فى تعليمه من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد.

فالحياة المدنية المعقدة ونظمها وعلاقاتها المتداخلة المتشابكة يصعب على الطفل استيعابها والمساهمة فيها ومن ثم يشعر الطفل بالحيرة والضياع إذا ما ترك فى خضم الحياة.

لذلك فالمدرسة كمؤسسة تربوية متخصصة تكون أول مكان يقوم بتزويد الطفل بالبيئة الاجتماعية المبسطة، فهى تنتقى الملامح الأساسية للبيئة الاجتماعية الخارجية وتمثلها فى بيئتها المدرسية كى يتمكن التلاميذ من الاستجابة إليها والتفاعل معها.

كذلك تستحدث المدرسة نظاماً تقدمياً يتمثل فى طرق التدريس ومناهج الدراسة وأنشطتها المختلفة تستخدم فيها الخبرات التى اكتسبها التلميذ وتجعل منها أساساً لنمو خبراته وتعميق بصيرته لما هو أكثر تعقيداً.

غير أن وظيفة التبسيط قد تحول عملية التربية فى بعض المدارس إلى عملية سطحية تبعد التلاميذ عن مواقف الحياة الحقيقية. وذلك إذا اقتصرت على مجرد تزويدهم بنتائج المعارف والعلوم فى صورة مبسطة وتحويلها إلى كتب مدرسية قليلة الصفحات مختصرة المحتوى.

رابعاً: التنقية والتطهير:

وفى هذه الوظيفة تقوم المدرسة بتنقية وتطهير التراث الثقافى وخبرات الكبار من كل ما يفسد نمو الطفل ويؤثر فى تربيته تأثيراً سلبياً.

فعمل البيئة المدرسية يتمثل فى حذف كل ما هو غير ملائم من البيئة الخارجية كى لا يؤثر فى عادات الطفل واتجاهاته. ويكون ذلك بإقامتها وسطاً نقياً للتفاعل، فكل مجتمع يحتوى على بعض أنواع السلوك الضارة والنسبيات المترسبة من أجياله السابقة وواجب المدرسة هنا يتمثل فى حذف هذه السلبيات والإبقاء على ما يؤثر إيجابياً فى نمو الفرد والمجتمع.

والمدرسة فى اختيارها للأفضل من أنواع السلوك ونظم الحياة وعلاقاتها إنما تصارع للإبقاء على هذه الأفضلية بهدف تنمية المجتمع وتطويره.

فدور المدرسة هنا إذن يتمثل فى نقل التراث الثقافى والمحافظة عليه إنما يتمثل فى تنقيتها له لتحسين مجتمع المستقبل.

إلا أنه يجب ألا تتضمن هذه النظرة إلى المدرسة على أنها بيئة مثالية، بمعنى سموها عن المجتمع وارتفاعها عن مشكلاته وأهدافه وإنما تتضمن قيام المدرسة بوظيفتها هذه باعتبارها وسيلة المجتمع فى تنمية اتجاهات مرغوب فيها وتحقيق أهدافه النامية المتطورة على أساس من دراسة عناصره المختلفة ومشكلات الحياة واستنباط الحلول للتغلب على هذه المشكلات وتنمية القدرة على التمييز والتفكير عند التلاميذ.

خامساً: إقرار التوازن بين مختلف عناصر البيئة الاجتماعية:

حيث تقوم المدرسة بتوفير بيئة اجتماعية أكثر إتزاناً مع البيئة الخارجية مما يؤثر فى تنشئة التلميذ وتكوين شخصيته تكويناً يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع ومن العمل على تطويره.

فالبيئة الاجتماعية خارج المدرسة تضم جماعات عديدة متباينة، ولكل من هذه الجماعات أهدافها ونظمها وعلاقاتها التى تنعكس فى تأثيرها التشكيلى لشخصيات أعضائها - إن اختلاف هذا التأثير وتعارضه وعدم اتزان يؤثر فى قدرة التلميذ على التكيف مع المجتمع الكبير.

فالطفل حين ينشأ فى جماعته الأولى وهى الأسرة ثم ينتقل إلى جماعة أخرى كجماعة الأصدقاء أو النادى فإنه يعانى من صعوبة التكيف مع الجماعة الجديدة نظراً لانطوائه داخل جماعته الأصلية - ولكن البيئة المدرسية توجد الاتزان بين العناصر المختلفة والأوضاع المتعارضة فى البيئة الخارجية وتعمل على تحرير كل فرد من الانطواء داخل جماعته ليدخل بعد ذلك فى معترك الحياة فى البيئة الأوسع.

ويتم ذلك باتاحة الفرص لكل فرد بحيث يتحرر من كثير من قيود طبقته الاجتماعية التى ولد فيها ويكون أكثر تفاعلاً واتصالاً ببيئته الشاملة، وهذه الوظيفة تؤدى إلى التماسك الاجتماعى وتذويب الفوارق بين الطبقات.

سادساً: الاقتصاد الثقافى:

المدرسة فى هذا العصر الحديث تجد نفسها أمام وظيفة جديدة تفرضها عليها طبيعة التغيرات الجذرية التى يتميز بها هذا العصر فقد تراكم التراث الثقافى بشكل لم يسبق له مثيل، بسبب التفجر المعرفى وسباق المعلوماتية العالمى، واتسع نطاقه باتساع نطاق الخبرات الإنسانية وتشابكها وسهولة انتقال نتائجها من مكان لآخر، ومع نمو قدرات الكشف والابتكار والتقدم السريع والمذهل فى وسائل الاتصال التى جعلت الكرة الأرضية مجرد قرية صغيرة - وصل الإنسان إلى نتائج كثيرة فى فروع العلوم الطبيعية والرياضية

وازدياد مرونته وقدرته على استنباط النظم الاقتصادية الجديدة التى تنظم وسائل الإنتاج وإدارته، كما تنوعت النظم السياسية والاجتماعية والخدمات المختلفة.

من هنا كان لابد من تقديم كل ذلك إلى الأجيال القادمة فى صورة واضحة ولكن فى إطار يراعى فيه الاقتصاد حتى يتمكن الناشئون من الوصول إلى نتائج الأجيال السابقة والقائمة فى أقل وقت ممكن وأقل جهد ممكن.

مع مراعاة عدم اختزال التراث الثقافى لسهولة نقله أو الاقتصار على جانب دون آخر أى أنه يعنى حسن الاختصار والتمييز بين العناصر القديمة والجديدة وتحقيق التكامل السليم بين فروع المعرفة مع جعل الرصيد من ذلك سهل التناول سريع التأثير والمعالجة.

من هنا فالمدرسة مطالبة لقيامها بهذه الوظيفة - بابتكار الوسائل والأساليب الجديدة للخروج من نطاق الوسائل والأساليب التقليدية فى تنظيم المادة الدراسية وتقديمها وتوصيلها للناشئين.

سابعاً: الخلق والابتكار:

إذا كانت نقطة البداية للمدرسة هى الإنسان الفرد، فإن موضوعها هو طبيعة هذا الفرد، حيث نموها واتساع المجال لتحقيق هذا النمو بلا حدود.

إذ من المسلم به فى ضوء مناقشة طبيعة الفرد أنها ليست ثابتة محدودة بعوامل بيئية ثابتة أو أنها فطرية تحكمها عوامل غريزية جامدة وإنما هى مرنة متكاملة فى تفاعلها مع البيئة فى تنوعها وتعددها.

ومن ثم فإن وظيفة المدرسة هى أن تمكن الفرد من الخروج عن حدود جماعته الأولية إلى حدود الجماعات الكبيرة وإلى الخروج عن تشرب ما يوجد فى ثقافة هذه المجتمعات إلى أن يكون قوة فى تغيير هذه الجماعات والإضافة إليها والمشاركة فيها إيجابياً.

فالمدرسة مطالبة بأن تنمى ما نسميه بالطبيعة الثالثة للفرد وهى التى تعبر عن نفسها فى نمو ذكاء هذا الفرد ونمو سلوكه على نحو يجعله فرداً فى ذاته مبدعاً خلاقاً فى ثقافته وبيئته.

وقد تعد هذه الوظيفة أعلى وظائف التربية المدرسية مرتبة وخاصة فى المجتمعات التى تعيش تغيرات جذرية تحتاج من الأفراد خلقاً وإبداعاً وابتكاراً وتجديداً في أساليب حياتهم وفى القيم الجديدة وتحقيقها فى علاقاتهم وأنظمتهم.

ومن هنا تتضح وظيفة المدرسة فى الإسهام فى توجيه عمليات التغير على أساس كونها المركز الذى يطلق طاقات الأفراد الذين هم بداية التغيير والمحركين له والمنظمين لاتجاهاته.

وإذا كانت هذه هى وظائف المدرسة فيجب:

١ - أن تكون صورة مصغرة للحياة الاجتماعية الراقية يدرب فيها التلاميذ على محبة العمل وإنجازه وعلى التعاون الاجتماعى والاقتصادى لمصلحة الجماعة والوطن.

٢ - أن يجد التلميذ فيها الفرص المواتية لتنمية مواهبه وميوله وتوجيهه إلى الدراسات أو المهن التى تناسبه وأن تعنى بالفردية بين التلاميذ.

٣ - أن تنمى عند المتعلم صفات المواطن الصالح والشعور بالأمن والطمأنينة والرغبة فى التضحية والقيام بالواجب لأنه واجب وتقدير الفضيلة نفسها.

٤ - أن تكون مجتمعاً مشبعاً بالتعاطف والتفاهم بين الرئيس والمرؤوس وأن يسودها جو من الديمقراطية.

٥ - أن يجد المتعلم فيها المثل الأخلاقية العليا والمثل الجماعية فيما يقع عليه نظره وما يسمعه.

٦ - أن تكون قوية الصلة بالأسرة من جهة والمجتمع من ناحية أخرى حتى تعمل على إصلاح ما فيهما من عيوب وأخطاء.

* عمومية العلاقة بين المدرسة والمجتمع :

فالمدرسة ليست نظاماً اجتماعياً معزولاً بل هى جزء من نظام اجتماعى أكبر هو المجتمع.

وهى بذلك تحمل علاقة متبادلة مع هذا النظام الكبير، وهى المرآة التى تعكس الحياة الثقافية فى المجتمع كما أنها تؤثر فيه عن طريق تزويده بالأفراد الذين تشكلهم وتدربهم للعمل فيه.

إن وجود العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع على هذا النحو، يعنى أن التغيير الثقافى فى المجتمع سواء أكان اقتصادياً أو اجتماعياً أو سياسياً سيؤثر فى أهداف المدرسة ومحتوى الدراسة وطرقها.

ومن المستحيل فصل المدرسة عن المجتمع، إذ أن المجتمع يتكون من أفراد لهم عادات وتقاليد ونظم مشتركة، والمدرسة تتلقى أبناء هذا المجتمع وتهيئهم لاحتلال مكانهم فى المجتمع كأعضاء ومواطنين صالحين لأن يعيشوا فيه مع غيرهم، فهى إذن تعد له، بخلق جو وبيئة لها من العادات والتقاليد والقوانين والنظم ما لا يتنافى مع المجتمع الخارجى.

ولذلك تنظر التربية الحديثة إلى المدرسة باعتبارها مجتمعاً صغيراً شبيهاً بالمجتمع الكبير الذى تقوم فيه، ويقول «جون ديوى» أن الفشل الكبير فى التربية اليوم يرجع إلى إهمال مبدأ أساسى هام هو أن المدرسة ما هى إلا مجتمع صغير وأن الطفل يجب أن ينشط ويوجه فى عمله وتفكيره عن طريق حياته فى هذا المجتمع.

وقد أخذت المدرسة على عاتقها ومسئوليتها تكوين هذا المواطن الذى يريده المجتمع. وقد اعترفت الأسرة بعجزها فى تكوين هذا المواطن وحدها ونظرت إلى المدرسة باعتبارها البيئة المتخصصة فى عملية التربية.

فالمدرسة تقوم بإعداد الطفل وتنمية قواه ومواهبه إعداداً فردياً تتيح له الفرص للنمو الكامل وإعداداً اجتماعياً يوجه هذا النمو لينسجم مع نمو بقية أعضاء المجتمع ليحقق رغباته وليفهم نظمه ويتقبلها ويحترمها ويعمل على إصلاح الفاسد منها.

والمجتمع بما له من نظم وقوانين وحضارة متغيرة، يجب أن تساير المدرسة المجتمع فى هذا التغير وإلا تتخلف عنه وتكون قد قصرت فى وظيفتها إذ ليس من المعقول أن تكون تجارب التعلم ومعارفه وأخلاقه تمثل عصراً مضى وانقضى فيمثل هذا التعلم عندما يخرج للحياة العملية يشعر بالنقص وعدم القدرة على تكييف سلوكه وتفكيره للعالم الذى يعيش فيه فيشعر بأنه غير وأن المجتمع فى غنى عنه.

ودلالة الاتصال الوثيق بين المدرسة والمجتمع أنها تتمثل في كون المدرسة تقوم بعملها وتمارس دورها من خلال مضمون اجتماعي تستمده ثقافة المدرسة من ثقافة المجتمع.

وانطلاقاً من هذه القاعدة، يمتد إطار العلاقات الاجتماعية من داخل المدرسة ليشمل العلاقات بينها وبين المجتمع الخارجي، ففيه يوجد أولياء أمور التلاميذ والجماعات والمرافق والمؤسسات ذات علاقة تؤثر في حيوية المدرسة وقيامها بدورها.

ومن ثم يمكن إقامة علاقة طيبة بين المدرسة والمجتمع من خلال ما يلي:

١ - تدعيم مجالس الآباء، وتنشيط دورها ليتلاقى المدرسون وأولياء الأمور كطرفين مسئولين عن تنشئة الطفل ونموه والاتفاق على توحيد سياسة معاملة الأبناء وحل المشاكل الاجتماعية والصحية التي تعترض الأبناء.

٢ - تشكيل المجالس الاستشارية من أهل الخبرة في المجتمع في الشئون التربوية والتعليمية لمساندة المدرسة في أدائها لرسالتها ودعم دورها في المجتمع في المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية.

٣ - جعل المدرسة مركز إشعاع للمجتمع وذلك لتأكيد علاقاتها الطيبة مع المجتمع عن طريق تعريف الآباء وغيرهم من أفراد المجتمع بمجالات النشاط المدرسي وذلك بدعوتهم لحضور البرامج التي تقدمها المدرسة في المجالات الرياضية والاجتماعية والفنية والترويحية من أجل تنمية الثقة بينهما وزيادة معرفتهم بالاتجاهات العلمية والفكرية والفنية المعاصرة بما يساعد على إثراء المعلومات وإشعاع الفكر والعلم والفن في المجتمع.

٤ - دراسة وبحث مشكلات المجتمع على الطبيعة، وذلك بالاتصال المباشر بالبيئة، والتعرف على أوضاعها ودراسة مشكلاتها عن طريق تناول بعض موضوعات الدراسة تناولاً محسوساً واقعياً بالخروج إلى البيئة وعمل الزيارات للمنازل والمرافق والمؤسسات حيث يجمع التلاميذ المعلومات ويبحثون عن الحقائق المتصلة بموضوع الدراسة وتحسس أبعاد المشكلة.

ويرجع ذلك إلى أن الدراسة الواقعية المحسوسة تعطى نتائج تعليمية إيجابية لأنها أكثر ثبوتاً وتأثيراً وتشويقاً من الدراسة النظرية داخل الفصول.

٥ - تستطيع المدرسة الإسهام فى تنمية المجتمع وتعليم الكبار بما لديها من إمكانيات معنوية ومادية وبذلك يكون لها دور فعّال فى النهوض بالمجتمع - وتتضمن عملية تنمية المجتمع القيام ببعض العمليات التى تستطيع المدرسة أن تشارك فيها كما يلى:

أ - إثارة وعى الناس بالمشاكل التى تعوق تقدمهم سواء صحية أو زراعية أو صناعية أو اجتماعية.

ب - دراسة هذه المشاكل وتحديد أبعادها وأسبابها ونتائجها.

جـ - التفكير فى إيجاد الحلول المناسبة فى ضوء الإمكانات المحلية المتاحة.

د - المساعدة فى تخطيط وتقسيم مراحل العمل وتوزيعه على الأفراد والجماعات وفق استعداداتهم.

هـ - المساعدة فى التنفيذ وفق إمكانات المدرسة كفتح فصول الدراسة لتعليم الكبار، وورش الأشغال لعمل التجارب المتصلة بتحسين مستوى إنتاج الصناعات المحلية أو الريفية وغيرها.

* خصوصية العلاقة بين المدرسة والمجتمع :

وتتضح هذه الخصوصية فى علاقة المدرسة بمؤسسات المجتمع المختلفة، حيث يتكون المجتمع من مؤسسات سياسية واقتصادية وثقافية مختلفة، تتفاعل وتتكامل فى نسق اجتماعى واحد، بشكل كلاً متكاملاً لتحقيق أهدافه وغاياته، ولكل مؤسسة من هذه المؤسسات علاقة عضوية بالمدرسة كوسط تربوى اجتماعى ثقافى لتنشئة المواطنين، وهى علاقة عضوية فى تفاعل مستمر دائم باستمرار المجتمع وبقائه فهى مرة تقوم بدور المؤثر أو الفاعل ومرة أخرى تقوم بدور المتأثر أو التابع. فدورها إذن قد يكون مكملاً أو مشاركاً لبعض مؤسسات المجتمع.

وتتمثل هذه العلاقة فيما يلى:

أولاً: علاقة المدرسة بالمؤسسات السياسية:

إذا كان النظام السياسى قد جاء نتيجة تطور اجتماعى طبيعى، فإن إستمرار وجوده يرتبط بمدى قدرته على تحقيق ما يناط به من وظائف وأهداف - مع ملاحظة أن أى نظام اجتماعى قد يعجز عن تحقيق وظائفه ما لم تساعده النظم الأخرى - سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

لذلك فالوظائف التى تناط بالنظام السياسى عادة يمكن للنظام التربوى أن يلعب دوراً مساعداً فى تحقيق النجاح الحاسم لها وفى تحقيق أهدافها وذلك عن طريق أداته الرئيسية وهى المدرسة وذلك بغرس وتنمية الإطار الفكرى القومى من خلال المقررات الدراسية.

ثانياً: علاقة المدرسة بالمؤسسات الاقتصادية:

التربية المدرسية بمراحلها المختلفة ترفع وتزيد من إنتاج الفرد وإنتاج المجتمع أو ما يسمى الإنتاج القومى من حيث الكم والكيف.

وقد أثبتت بعض الدراسات مثل دراسة إدوارد دينسون E. Denison أن حوالى ٧٥٪ من معدلات النمو الاقتصادى الأمريكى بين عامى ١٩٥٠ - ١٩٦٢ يرجع للعنصر البشرى والقوى العاملة من حيث الكم والكيف فى الإنتاج وأن ٢٥٪ منه يرجع إلى رأس المال الطبيعى كما وجد أن حوالى ٢٣٪ من معدلات النمو الاقتصادى ترجع إلى التعليم المدرسى.

حيث يعتبر ميدان التعليم من الميادين ذات الأثر الفعّال فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية باعتباره الطريق الذى يتدفق فيه وتخرج منه القوى العاملة على مختلفة مستوياتها من المهارة والدراية والخبرة.

فضلاً عن أن عملية التعليم بمضمونها وأساليبها تستطيع أن تكون أداة فعّالة فى خلق الرغبة فى الاندفاع إلى مجالات التقدم. فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية لا تستطيع

أن تحقق التنمية الشاملة إلا إذا اعتمدت على التربية فى تغيير اتجاهات سلوكية معينة موجودة بالفعل وفى اكتساب الأفراد لأنماط سلوكية وفكرية جديدة.

ويعتبر التلاميذ من أهم المدخلات فى العملية التعليمية فى مراحل التعليم المختلفة حيث تؤثر اتجاهاتهم فى العملية التعليمية إلى درجة كبيرة فضلاً عن أنهم فى النهاية يكونون المخرجات الرئيسية للنظام التعليمى، لذلك تكون تنميتهم هى هدفه الأساسى.

ويرى الاقتصادى النرويجى Odd Aukrust أن أهمية العامل البشرى فى التنظيم والمهارات المعرفية والمعرفة الفنية لا تقل أهمية عن رأس المال الطبيعى فى النمو الاقتصادى وبالتالى تكون التربية المدرسية هى عملية استثمار من الدرجة الأولى سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع إذا ما وجهت توجيهاً صحيحاً.

ثالثاً: علاقة المدرسة بالمؤسسات الثقافية:

تشترك المدرسة مع المؤسسات الثقافية المختلفة كالإذاعة والتليفزيون والصحافة والأندية والمكتبات فى وظيفة رئيسية تعمل كل منها من أجل تحقيقها، وهى عملية التربية الثقافية، والتوجيه الاجتماعى وتنشئة المواطنين فى شتى المجالات، وهى عملية تربوية لأنها تشمل الفرد فى مؤسسته فتعمل على تنميته فى جميع جوانبه النفسية والعقلية والفكرية والجسمية.

إلا أن المدرسة كمؤسسة اجتماعية تختلف فى جمهورها وخصائصها عن أى مؤسسة ثقافية وذلك يرجع إلى:

١ - أن جمهور المدرسة بشتى صورها وأنواعها هم التلاميذ والطلاب، من الأطفال والشباب يتميزون بسمات جسمية وعقلية وفكرية ونفسية ترتبط بمراحلهم العمرية بخلاف جمهور المؤسسات الثقافية.

٢ - طبيعة العملية التربوية داخل المدرسة فى تفاعلها وعلاقاتها تتم فى إطار نسق اجتماعى بما تمثله من أنماط ومشاعر وأحاسيس وتبادل علاقات اجتماعية حيوية بين الأفراد وبعضهم البعض مباشرة بخلاف المؤسسات الثقافية التى يتم غالباً التعبير عن المشاعر والعواطف بطريقة غير مباشرة.

٢ - أن المتعلم يأتى إلى المدرسة بصورة منظمة ومقصودة قد تكون بإرادته أو بضغوط اجتماعية أو اقتصادية للحصول على المؤهل الدراسى بخلاف الوسائط الثقافية الأخرى التى لا تلزم الفرد بالمشاهدة أو الاستمتاع أو المشاركة فى البرنامج التربوى أو التعليمى.

ونظراً لاشتراك المدرسة مع المؤسسات الثقافية الأخرى فى أنها مؤسسات تربوية - ذات تأثير خطير وهام، لذلك يجب أن يحكم التنسيق والتكامل العلاقة بين المدرسة وهذه المؤسسات

رابعاً: علاقة المدرسة بالأسرة:

المدرسة هى الأداة التى تعمل مع الأسرة على تربية الطفل فالأسرة لا تستطيع القيام وحدها بعملية التربية جميعاً، لأن وقت الأسرة لا يسمح بالإشراف المستمر طوال مرحلة الطفولة والمراهقة فالبلوغ، أى إلى مرحلة الرجولة، ولأن التربية عملية تخصص تحتاج إلى مربين لهم خبراتهم ومعرفتهم بطبيعة الطفل وما تحتاج إليه من وسط مناسب وأدوات ومعلومات وجو يستثير نشاطه ورغبة فى العمل والتعليم، ولأن المربين يتجردون عادة من شفقة الوالدين المتطرفة أحياناً والتى قد تصل فى التساهل واللين إلى حد تشجيع الأطفال على العبث والسلوك الشاذ.

لذلك يحتل التعاون بين المدرسة والأسرة أهمية كبرى - حتى يصلا بتربية الطفل إلى الهدف المنشود، وحتى لا يحدث بينهما تناقض يترتب عليه تفكك فى شخصية الطفل واضطرابه وفقدان الثقة فى المدرسة أو الأسرة أو كلتيهما.

وهذا التوازن بين المدرسة والأسرة ضرورى لتكامل نمو الفرد واتجاهه اتجاهاً واحداً مشتركاً. فإذا كانت الأسرة لا تحترم نظام المدرسة مثلاً فلا تساعد التلميذ على الحضور إليها فى المواعيد المقررة - تعطلت وظيفة المدرسة وعوقب التلميذ وضاعت عليه فرص التربية فيها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إذا كانت المدرسة تكلف التلميذ من الواجبات ما لا يستطيع القيام به بسبب حالة الأسرة المادية أو الاجتماعية ارتبك التلميذ

وقصر فى واجبه ونمت فيه كراهية الأسرة أو المدرسة وربما لجأ إلى سلوك شاذ يتخلص من هذه الواجبات.

خامساً: العلاقة بين المدرسة والمؤسسات الدينية:

لا شك أن الدين قوة لا تماثلها قوة ذات أثر ضخم فى تحريك الأحداث التاريخية. ولا يمكن لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شئ تستطيع أن تلغيه الجماعة - لأن الفرد يستطيع أن يمارسها سراً بينه وبين نفسه ويستطيع أن يستغنى عنها فى علاقته مع الجماعة.

فإذا وعينا بأن العقيدة الدينية ليست مجرد تشريعات تسن وفرائض تؤدى وإنما هى سلوك «الدين المعاملة» قدرنا على الفور ضرورة التربية لتوحيد سلوك المواطنين تلك الوجهة التى تستهدف العمل بالمثل العليا التى أرشدنا إليها الله سبحانه وتعالى.

ومن ثم تكون المدرسة أمام مسئولية هامة تقع على عاتقها بالتعاون مع دور العبادة والمؤسسات الدينية على ألا تقتصر تلك المسئولية على مجرد تعليم الدين فتلك مهمة معرفية - وهى بالطبع مهمة - إلا أنها لابد أن تتكامل مع البعد الآخر وهو العمل والتطبيق.

المراجـــع

١ـ عصام الدين حواس : استراتيجية بناء الانسان المصرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠.

٢ـ عبد الباسط محمد حسن : التنمية الاجتماعية مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٧.

٣ـ فاروق عبده فليـــه : التربية وقضية الانتاج ، مكتبة النهضـــة المصرية ١٩٨٧.

٤ـ على عبد الرازق جلبى : دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤.

٥ـ السيد محمد الحسينى وآخرون :
فى التنمية الاجتماعية دار المعارف القاهرة ط ٤ ١٩٧٩

٦ـ انظـر : مؤتمر الامم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا من اجل التنمية فى فيينا ١٩٧٩

٧ـ صـفاء زاهـر : التعليم ونظريات التنمية ، دراسة تحليلية نقدية مجلة الدراسات التربوية ، الجزء الاول ، نوفمبر ١٩٨٥ (عالم الكتب ـ القاهرة).

٨ـ سامية محمد جابر: الانحراف الاجتماعى بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٤.

٩ـ نويل تيميز : علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية (ترجمة غريب محمد سيد احمد) دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨١.

١٠ـ سيد عويس: المعوقات الثقافية والتنمية ، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، مايو ١٩٧٣.

١١ـ سعد الدين ابراهيم:

نحو نظرية سوسيولوجية للتنمية فى العالم الحديث فى استراتيجية التنمية فى مصر ، المؤتمر العلمى السنوى الثانى للاقتصاد بين المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٨.

١٢ـ صلاح الدين ابراهيم: المدخل الى التربية ـ كلية التربية جامعة المنصورة ـ قسم اصول التربية ـ ١٩٨٤.

١٣ـ وزارة التربية والتعليم (المدخل الى العلوم التربوية ـ سلطنة عمان) ١٩٨٩.

المراجع :

١ - حامد عمار: فى اقتصاديات التعليم، ط٢، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٥٨.

٢ - سعيد إسماعيل على: فلسفات تربوية معاصرة، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٩٨ يونيو ١٩٩٥.

٣ - صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، ط١٥، ١٩٨٢.

٤ - عرفات عبد العزيز سليمان: ديناميكية التربية فى المجتمعات (رؤية عصرية مقارنة) - القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩١.

٥ - فريدريك هاربيسون، وتشارلز أ. مايرز: التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى - استراتيجية تنمية الموارد، ترجمة (إبراهيم حافظ)، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٦٧.

٦ - فيليب كومبز: أزمة التعليم في عالمنا المعاصر، (ترجمة: أحمد خيرى كاظم، جابر عبد الحميد) - القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١.

٧ - محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية (الأصول الثقافية للتربية) - القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٧.

٨ - محمد لبيب النجيحى: الأسس الاجتماعية للتربية، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.

٩ - منير المرسى سرحان: فى اجتماعيات التربية، القاهرة، ط٢، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.

10 - Dension, E.: The Sources of Economic Growth in United Stat, New York: Committee for Economic Development, 1962.

11 - Dewey, John: The School and Society, Chicago Univ., of Chicago Press, 1915.

12 - Dewey, Hohn: Democracy and Education, An Introduction to The Philosophy of Education, New York, MacMolan Company, 1916.

13 - Odd Aukrust: Investment and Economic Growth Productivity measurment Review No. 16, February 1959.

14 - Willavd Waller: The Sociology of Teaching, John Wiley and Sans, Inc. 1952.

15 - William O. Stanly and Others: Social Foundations of Education, New York, The Dryden Press Inc. 1956.